

230  
C89  
c.1

~~7 11 1853~~

DAT DUE

JAFET LIB.

~~30 SEP 1977~~



Gift Oct 2nd 1888

تقدمة من انشا سرائي مجلة الكلية القراء

من المخلص  
مصطفى  
طه

230  
C89 W A  
C 1

راجيا تقريرا وكم الفاضل



# لماذا اتاهي

« ان كل مالي من الدين استخدمه في حياتي اليومية . فاني لا أريد أن أحمل أنقلا أنا في غنى عنها . ولا أود أن أثقل كاهلي بالنظريات التي لا طائل نحتها . لان الديانة التي أدين بها هي مئة بالمئة عملية »

تأليف

الركنور فراتيك كرايه

عربه بتصريف قليل

الار شمير ريت انطون بوس بشير

28277

وعنى بنشره

يوسف تومالستاني

صاحب مكتبة العرب بالنجالة بمصر

« جميع الحقوق محفوظة للمغرب »

Gift. Cat. May 1928



المطبعة العربية بمصر

١٩٢٦

## فهرس الكتاب

	صفحة
كلمة العرب	١
توطئة	٨
من اعتراف المؤلف	٩
الديانة العملية	١٠
مدينة سكانها حفاة	١٥
لماذا أنا مسيحي	٢١
لماذا أنا مسيحي ، من الوجهة الشخصية	٢٦
ان ولادتي في محيط مسيحي لها بعض التأثير على مسيحيتي .	٣٢
لا أثر للرجاء بالسماء أو الخوف من الجحيم في مسيحيتي	٣٦
ان ايماني بالمسيح غير مبني على شهاداته الرسمية	٣٩
أنا مسيحي لان يسوع قد أظهر لي بكمال ما يوجب القناعة والرضى حقيقة الشخصية الالهية	٤٥
أنا مسيحي لأن المسيحية ثلاثم غرائزي	٥٦

- صفحة
- ٦٤ أنا مسيحي لأن مبادئ المسيحية تزيد الحياة  
عزماً ونشاطاً
- ٧١ « كما لو » : لست مسيحياً لأنني أعرف أن تاريخ  
المسيح حقيقي ، بل لأن هذا التاريخ يأتي بأثمار نافعة  
لحياتي عندما انصرف ناظراً إليه « كما لو » كان  
حقيقياً .
- ٨١ أنا مسيحي لأن دعوة المسيح موجهة إلى الانسانية  
عامة وليس إلى جنس واحد أو أمة واحدة
- ٨٦ أنا مسيحي لأن تعاليم يسوع صالحة لجميع الأمم  
والشعوب .
- ٩٢ أنا مسيحي لأن المسيحية هي القوة الوحيدة في الارض  
التي تعدنا بوحدة العالم في مملكة واحدة
- ١٠٤ أنا مسيحي لأنني أعتقد بأن يسوع هو أنضجُ فكري  
من جميع معلمي الانسانية
- ١١٠ انني باقتفائي لخطوات يسوع إنما انقذ نفسي من الاوهام  
العظيمة التي ذهبت ببصر الانسانية وبصيرتها



	صفحة
الوهم في ان الطبيعة البشرية شريرة	١١١
الوهم في ضرورة العقاب	١١٩
الوهم في ان التنازع ضروري للترقي	١٢٨
الوهم في أن السعادة ميسورة نوالها	١٣٥
الوهم في ان الخير سلبي	١٣٩
الوهم في منفعة القوة	١٤٤
الوهم في ان العقل أساس الاداب	١٥٠
الوهم في السلامة	١٥٩
الوهم في تفوق الكسل على العمل	١٦٨
الوهم في منفعة الافراد في العمل	١٧٥
الوهم في ان الكفر حرية	١٧٨
الوهم في تقسيم الناس إلى طبقات	١٨٣
أنا مسيحي لانني أجسد في المسيحية أفضل الآمال في الخلود.	١٩٠
ان المسيحية افضل طريق إلى الابدية	١٩٥
ماذا أقصد عند ما أقول أنا مسيحي	١٩٩

	صفحة
كيف أفهم الدين	٢٠١
ان المسيحية في عقيدتي طريق تؤدي الى الحياة وليس	٢٠٦
الى الهرب من الحياة	
السيادة الحقيقية التي أجدها في يسوع	٢١١
ماذا أقصد بالتجدد الروحي	٢١٤
ماذا أقصد باتباع يسوع	٢١٧
ماذا أقصد عند ما ادعو المسيح مخلصي	٢٢٧
كيف انظر الى الصلاة	٢٣١
كيف انظر الى الروح القدس	٢٣٦
ما لا اقصده عند ما أقول أنا مسيحي	٢٣٩
انني لا اخص بمسيحتي عقيدة من العقائد المقررة	٢٤٠
انني لا اخص بمسيحتي الخضوع لأي نظام من النظام	٢٤٧
دون غيره	
انني لا اقصد بمسيحتي أنني قدس طاهر	٢٤٩
ان مسيحتي لا تضطرنني الى اتباع تعاليم يسوع بتدليل	٢٥٣
أو الاقتداء بحياته بخنوع	

	صفحة
ليست المسيحية في عقيدتي نظام محرّقات ومقدسات	٢٥٦
الجوهر الحقيقي الذي أنظر إليه في المسيحية	٢٦٤
ما هي القوة المجددة في المسيحية؟ ماذا يغير فكري من مبادئها؟	٢٦٨
ماذا أرجو من مسيحتي	٢٧٥
المسيحية في الشرق	٢٨٠
لماذا أتمني إلى الكنيسة	٢٨٦
أنا هو لا تخافوا	٢٩٥
محاضرة العرب، « هل نموت؟ »	٣٠٦



Handwritten text in Arabic script, consisting of approximately seven lines. The text is very faint and difficult to decipher due to fading and bleed-through from the reverse side of the page.



## كلمة المعرب

الدين جزؤ من الوجدان وأكبر تعزية لبني الانسان .  
ولذلك نرى الامم على تعاقب أدوار التاريخ تبني آدابها  
وأخلاقها وتصرفاتها على أصوله الأولية ومبادئه الأساسية .  
وهذه الاصول والمبادئ قريبة بعضها من بعض ، إن لم نقل  
واحدة ، في جميع أنحاء المعمور . فهي كالأنهار والجداول التي  
تحيط العمران وتنعش قلب الانسان ، يسير كل منها في جهة  
تختلف عن الجهة التي يسير فيها الآخر ولكنها تنبع كلها  
من قلب واحد هو قلب الارض ، وتسير الى عمق واحد هو  
البحر . أما الاختلاف الظاهر في استعمالها والانتفاع بها فغير  
كائن في طبيعتها ، بل هو نتيجة التباين الطبيعي في رغبات  
الناس الذين يستخدمونها وفي حاجاتهم وأمياهم وغاياتهم .  
وفي عقيدتي أن جل ما يقوم بين ذوي الأديان من الخصومات  
والعادات لا أثر للأديان فيه ، بل هو ثمرة الاختلاف في

مقاصد الزعماء ومطامع الرؤساء : لأن أتباع كل دين ،  
كجأوري كل نهر ، تتوقف منفعتهم من دينهم أو نهرهم على  
مقدار استخدامه في حياتهم ، وليس على التعصب للراغبين  
في اتخاذه وسيلة لاشباع أنانيتهم والبلوغ به الى قنّة المجد  
الباطل والفخر الزائل .

فالمشترعون الحكماء جاءوا بشرائعهم هدى للضالين من  
الناس عن السراط المستقيم . ولكن هذه الشرائع كانت  
ولا تزال في حاجة إلى من يوصلها إلى أذهان الناس ، ويفرس  
أصولها في أعماق قلوبهم ويتعهد بها بالعناية لكي تنمو وتثمر  
في حياة الانسان بعيدة عن كل ما يقيد نموها أو يقف في  
سبيل حريتها وإثمارها . ولذلك ما برحت من أقدم الأزمنة  
إلى اليوم عرضة لطموح ذوى الغايات من المؤمنین على  
تنفيذها ، يتخذونها سلماً يصعدون بواسطتها الى قنن غطرستهم  
وكبرياتهم ، ضارين بروحها عرض الحائط ومحوطينها بطائفة  
من التقاليد البلاء التي تحولها إلى أوهام وقشور تتبرأ منها  
روح المشرع المقدسة وتأبى أن تطيعها أية النفوس الحرة  
العازمة في الارض . وقد نتج من جميع ذلك أن فقد الدين

غايتهُ الجوهريّة كدين فصار في الناس مذهباً أو طائفة  
أو حزباً أو غير ذلك من مصنوعات البشر ، ينتسب اليه  
الانسان لمجرد التقليد ، ويمارس طقوسه وفرائضه كالآلة الصماء  
وهو في عمله مُسير في الغالب غير مخير .

فهذا مسيحي ، وذلك مسلم ، وذلك يهودي لان والد  
كل منهم أو جده أو المحيط الذي ولد فيه مسيحي أو مسلم  
أو يهودي . ولكنه ، هو ، الذات السكّانة في أعماقه ، قلما  
وقف يفكر في قلبه قائلاً : لماذا أنا مسيحي أو مسلم أو يهودي ؟  
لماذا أنا كاثوليكي أو سني أو بروتستانتي أو شيعي ؟ يذهب  
الى الكنيسة أو الى الجامع أو الى الكنيس ، ويردد الصلاة  
مع المصلين ، غير أنه كثيراً ما يفعل ذلك وهو لا يدري لماذا  
يفعله ، غير ان أباه وأمه وجاره وأهله يفعلون ذلك .

وماذا عساه يسمع ويتعلم هنالك ؟

يسمع ويتعلم ان دينه مُنزلُ السموات ، وان جميع  
الأديان الاخرى كاذبة لا حقيقة دونها ، وأنه وأتباعه وخدم  
سيسيرون الى الفردوس ويتنعمون في جنات السموات ،  
وان جميع الناس الذين لا ينضمون الى دينه ، وان شئت فقل

حزبه أو طائفته ، سينحدرون الى الجحيم ، الى النار المؤبدة  
المعدة لا بليس وملائكته . يتعلم ان مجرد الانتساب الى حزبه  
يجعله أكمل وأفضل من الخارجين عن طاعة رؤسائه ، فلا  
يلت أن يشعر بنفور وكرهية لهم . وكثيراً ما كان ويكون  
هذا النفور أصل جميع الحروب التي قامت وتقوم في العالم .  
هذه حقيقة يؤلمنا أن ندونها في مقدمة هذا الكتاب ،  
ولكن متى كانت الحقيقة غير مؤلمة ، وخصوصاً لنوى الغايات  
المارقة عن طريقها القويمة ؟

فالدين في حاجة الى المخلصين الذين يدركون جوهره  
ويحفرونه على صفحات قلوبهم قبل ان يبنوا مساكنه على  
شفاههم وفي زوايا شوارعهم . الدين في حاجة الى المخلصين  
الذين يعملون تعاليمه حقائق واضحة في جميع أعمالهم قبل أن  
يحتفظوا بها في صدورهم وعلى رفوف مكاتبهم . الدين  
في حاجة الى المخلصين الذين يحبون الله لأنه تعالى أبوم الرؤوف  
العطوف ، ويحبون الانسان قريباً كان أم بعيداً لأنه أخوهم  
الرفيق أمام وجه الشمس . الدين في حاجة الى الذين يعملون  
الخير لاجل ما في الخير من اللذة والطمأنينة وليس خوفاً



من العقاب أو طمعاً في الثواب كما كان يفعل المراءون الذين  
وبخهم المصالح الاكبر بقوله: «انهم قد استوفوا اجرهم» الدين  
يحتاج الى العمل الكثير في حقل الفضيلة والخير. « لان  
الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون » الدين يحتاج الى المخلصين  
الذين لهم غيرة علي لبابه ولكن عن ادراك ومعرفة . الدين  
في جميع فروعها ، وسائر طوائفه يحتاج الى ان يكثر بين  
أبنائه القائلون مع الدكتور فرانك كراين ، مؤلف هذا الكتاب ،  
فيلسوف اميركا وانضج فكر في هذا العصر « ان كل مالي من  
الدين استخدمه في حياتي اليومية . فاني لا أريد ان أحمل اثقالاً  
انا في غنى عنها . ولا اود ان اقل كاهلي بالنظريات العقيمة التي  
لا طائل تحتها . لان الديانة التي ادب بها هي مئة بالمائة عملية »  
هذا هو الرجل الذي أقدمه الى قراء العربية الاحباء  
بهذا الكتاب الذي يضم بين دفتيه خلاصة درس حكيم في  
الدين العملي القويم الذي هو محجة كل دين وكل شريعة  
على الارض .

ولي رجاء الى القارئ الأديب أن يعمن النظر في كلمات  
المؤلف التالية قبل أن يشرع في مطالعة الكتاب : « ليس

هذا الكتاب بحثاً لاهوتياً ، بل هو ترجمة حياة صاحبه الذي  
يكره المباحثات النظرية البعيدة عن الحياة . وهو لا يرغب  
في أن يغير عقائد أحد من الناس لكي يصبغها بصبغة فكره  
وعقائده ، بل كل ما يرمي اليه ايضاح بعض النتائج التي وصل  
اليها في ما مر به من الاختبارات رجاء أن تكون ذات فائدة  
للذين يطالعونها .... فكل ما أقوله في هذا الكتاب ليس من  
باب الجدل والمحاكمة لاظهار تفوقي أو أنايتي ، بل هو اعتراف  
بسيط أود أن أظهر فيه حقيقة عقيدتي بطريقة أحافظ بها  
على الصراحة والامانة والاستقلال الذاتي .... وانني أرجو  
من القراء أن يتذكروا دائماً في قراءة هذا الكتاب اني انما  
أكتب عن نفسي فقط بملء الصراحة ، ولست بما أكتب  
أنتقد أحداً من الناس لانه يعتقد غير ما اعتقد

وقد رأيت ان اضيف الى الكتاب اكلاماً للفائدة خلاصة  
محاضرة القيتها في اواخر السنة الماضية على المهاجرين من  
ابناء الوطن الكرام في عاصمة الجمهورية المكسيكية ،  
موضوعها : « هل نموت ؟ » - « ورائدي في كل ذلك رأي  
الحكيم الصيني القائل : لئن حملت فرداً واحداً على البحث

في موضوع يرفع نفسه ، ويرهف اخلاقه ، ويتعمدى فيه  
حدود شخصيته المألوفة ، فذلك خير لي الف مرة من أن  
أخضع ملايين الشخصيات لرأي واحد ومذهب فرد. لان  
اخضاع الالوف عبودية ، اما كسر قيود الفردية فثروة  
وعظمة وحرية !»

الارستقراطية انطونيبوس

بشير

أميركا الشمالية سنة ١٩٢٦



## توطئة

كم هو مفرار مسجيني؟

ان كل مسيحيتي تنحصر في ما استطيع  
ان استخدمه في حياتي، وما زاد على ذلك فقد  
القيت به في سلة المهملات.



## من اعتراف المؤلف

قد وضعت هذا الكتاب اجابة لاقتراح صديقي جون .  
م . سيدال رئيس تحرير المجلة الاميركية . فقد قال لي مرة :  
« ان هنالك كتاباً اودّ لو تؤلفه يوماً ما ، كتاباً تسميه  
« لماذا انا مسيحي » . وانني لو اثق بانك لو بسطت الحقيقة  
المجردة في مثل هذا الكتاب فانه يكون كتاباً ممتعاً . »  
وانني على ثقة بأن قد بسطت الحقيقة المجردة في كتابي  
هذا . اما إذا كان هذا الكتاب ممتعاً ام لا فذلك ما يجدر  
بالقارىء ان يحكم فيه لنفسه .



## الديانة العملية

« ان كل ما لي من الدين استخدمه في  
حياتي اليومية . فاني لا أريد أن أحمل أثقالا  
أنا في غنى عنها . ولا أود أن أثقل كاهلي  
بالنظريات التي لا طائل تحتها . لان الديانة  
التي أدين بها هي مئة بالمئة عملية . »

لست متطرفاً في تفاؤلي فاعتقد بأن ما أسطره في هذا  
الكتاب معصومٌ عن النقد الحاد ، لانني أعرف انني أتكلم  
عن الدين ، واكثر ما يعتقد الناس في الدين أنه موضوع قد  
أغلقَ البحث فيه وليس من المواضيع المفتوحة أبواب البحث  
فيها لكل راعب بحّاث . فان أغلب الناس قد وطّءوا أفكارهم  
على الديانة التي يدينون بها ، أو أنهم قبلوا نظريات سواهم من  
الناس على علاتها ، فباتوا لا يعملون فكرتهم في بحث ما اذا  
كانت تلك النظريات صحيحة أم لا ، بل هم يجهدون عقولهم  
ويقضون أعمارهم في السعي وراء البراهين التي تثبت تلك  
النظريات وتؤيد صحتها

على أن الدين لسوء الحظ يُرافقه في الغالب التعصبُ  
الأعمى أكثر من أي موضوع آخر سواه . لأنه لا يدعو  
الناس الى التنقيب عن حقيقة لا يعرفونها ، بل انما يدعوهم  
الى الايمان بما يبسطه امامهم . فالانسان يكون كاثوليكياً أو  
بروتستانتياً كما يكون جمهورياً أو ديموقراطياً ، أو كما يكون  
أماريكياً أو المانياً أو فرنساوياً . وكثيراً ما يكون الدين ارثاً  
يرثه الانسان عن جدوده كما يرث كل ما هو في ملكهم وتحت  
مطلق تصرفهم . ومن هنا نشأت العقيدة السائدة في العالم  
أن الذي يغير دينه خائن ما ثن

وما لا شك فيه أن هذه العقيدة لها الفضل الاكبر في  
حفظ الملايين من البشر في طاعة الكنيسة ، ولكنها في الوقت  
ذاته تبعد عشرات الملايين عن الكنيسة

غير انني اعتقد بالعكس من ذلك ان الدين أرفع وأسمى  
من أن يكون دعوة الى الحرب أو الى التحزب والكبرياء  
والافتخار ببلاد دون أخرى أو بحزب دون حزب أو ما  
شاكل ذلك .

فالدين في عقيدتي هو الحياة . هو جوهرُ تقديري  
للحياة حق قدرها، والصلة الفضلى التي تصل بيني وبين قوات  
الحياة . ولذلك فهو قضيةٌ يجب عليّ درسها ، قضية تنمو  
بنموى وتتقدم بتقدمي . أجل ، وايس الدين صخرة صلبة  
قاسية مستقرة على حالة واحدة ، بل هو شجرة جبارة تنمو  
وتخرج براعمها وتتعالى أغصانها «وتعطي أثمارها في أوقاتها»  
لذلك آمل أن ينظر القارئ الى هذا الكتاب نظرتة  
الى تقرير بسيط للموضوع الذى نحن فى صدده كما يبدو لى ،  
لا الى كتاب جدل عقيم

واننا اذا نظرنا الى الدين كما ينظر اليه الكثيرون فربما  
لا تكون ديانتي مستحقة للاعتبار . لاننى واثق بأن فريقاً  
من الناس يقول اننى ضال، وفريق آخر يقول اننى لا أدين  
بدين البتة . ولكننى لن أبحث فى ما يقوله هذا أو ذاك الفريق  
بل سأحصر بحثى فى نقطة واحدة وهى : أن كل ما لى من  
الدين أستخدمه فى حياتى اليومية . فاننى لا أريد أن أحمل  
أثقالاً أنا فى غنى عنها . ولا أودّ أن أثقل كاهلى بالنظريات  
التي لا طائل تحتها . ولكننى على الاقل أستطيع العاذلين



عذراً وأقول ، ان الديانة التي أدين بها هي مئة بالمئة عملية  
فقد طالما أدهشني أن أرى الناس يتبجحون بإيمانهم ،  
ويفتخرون بديانتهم ، مرددين عقائدها ومترنمين بصلواتها  
وأناشيدها ، ولكنهم لا يعملون بما يعرفون بل يحسبون  
العاملين مرأين دجالين. لان كل انسان يدعي أنه يعيش على  
وفق ما تتطلبه كنيسته منسه وانه عامل بكل ما يفرضه عليه  
إيمانه يمدّه الناس متطرفاً متعصباً .

أما أنا فاني لا أتردد في الاعتراف بأنني أستخدم في  
حياتي اليومية كل الديانة التي أوّمن بها. واما ما تبقى مما يؤمن  
به غيري فقد طرحته في سلة المهملات .

بيد أنني لست أدعي العصمة والكمال. ولا أعتقد بأن  
الله ينتظر مني أن أكون كاملاً نظيره تعالى ، كما أنه لا يريد  
ولا يتوقع من النبتة الصغيرة أن تصير في الحال شجرة كبيرة  
وكل خطيئة ارتكبتها هي نقصان في . وعليّ أن أسمى جهدي  
الى البحث عن هذه الخطيئة والتخلص منها لكي أتقدم في  
معراج الكمال في هذا العالم وفي العالم الثاني

أما قسمة الانسانية الى صنفين ، صنف الأبرار وصف  
الاشرار ، صف الخالصين وصف الهالكين ، وكل ذلك بقوة  
المقدر المقدور ، فهي في رأبي قسمة خرافية كاذبة ، ونتيجة  
منطقية لعبودية النظام القديم الجائر فان الحياة كثيرة العُقد  
والعقبات فلا تستطيع أن تستخرج منها شيئاً بالمجادلات  
والمباحكات العقيمة .

اننى لست بالسعيد لانى قد وصلتُ الى محجتي ، بل  
أنا سعيد لانى لا أزال مسافراً اليها  
ولستُ براض مطمئن البال الى حياتى لانى بارئ قديس ،  
بل انما تقوم طمأنينتي في اعتقادى بأن في وسعي أن أتقدم  
أبدأ الى حالة أفضل وأكمل من حالتى



## مدينة سكانها حفاة

منذ بضع سنوات كتب أحدم مقالة تحت عنوان :  
« في كل مكان » ، أوردها في قالب حكاية يريد ان ينتقد بها  
تصرفات الذين يسمون أنفسهم مسيحيين .

وخلاصة الحكاية أن رجلا قدّر له ان يسافر للمرة  
الاولى في شغل له الى مدينة « يوبيك » ( وهي كلمة لاتينية  
معناها في كل مكان ) . فوصل في أحد أيام كانون الاول الى  
محطة السكة الحديدية . وكانت الرياح شديدة باردة والثلوج  
تملأ ساحات المدينة وطرقها . وعنده ما خرج من المحطة  
ومشى بضعة اقدم رأى نساء يمشين هن مرتديات افخر  
الملابس وأتمن الحلى والى جانبهن رجال عليهم ثياب ثقيلة من  
الجوخ المبطن بالفرو ولكنهم يسرون مع النساء حفاة الاقدام .  
وكانت أمائر الهيبة ودلائل الثروة والرخاء تبدو على جميع من

رأى من سكان المدينة، ولكنهم كانوا حفاة باسره لا أحذية في  
أقدامهم . وكانوا يسرون أمامه في الشوارع متعرجين على  
الجانبين متألمين متوجعين من شدة البرد والرضوض التي  
أحدثها الجليد والحجارة في أقدامهم .

وعند ما ذهب إلى الفندق ليستأجر لنفسه غرفة يبيت  
ليلته فيها رأى أن الكاتب والخدام وجميع من في الفندق من  
رجال ونساء حفاة . وفي صباح اليوم التالي جلس إلى مائدة  
أنيقة ليتناول فطوره وكان إلى جانبه شيخ جليل تدل مظاهره  
على أنه من أهل الفضل واليسار فشرع بجاذبه أطراف الحديث .  
وكان الشيخ يجيبه عن كل سؤال يسأله بملء الرقة واللفظ  
ولذلك تشجع المسافر وسأله قائلاً :

« عفوك ياسيدي عن تظفلي ، فقد لاحظت في هذه  
المدينة أن جميع الرجال والنساء يسرون في الشوارع حفاة ،  
وكل منهم يتألم متوجعاً من رضوض قدميه وشدة البرد والجليد .  
فهل لك أن تخبرني عما يدعوهم إلى ذلك ؟ »

فرفع الشيخ عينيه وأجابته مشفقاً عليه ، « عجيب سؤالك  
ياصاح ، فهكذا يجب أن يفعلوا . »

أما المسافر فإنه لم يكتبف بهذا الجواب بل عاد الى محادثة رفيقه ، ولكنه لم يستطع ان يأخذ منه جوابا يصح السكوت عنده . لان الشيخ اظهر له ان الاحذية ضرورية جداً لحفظ القدمين من البرد والاذية ، وانه يجب على كل انسان ان يلبس حذاء في رجليه ، ولكنه لم يستطع ان يخبره لماذا لم يكن أهل تلك المدينة يفعلون ذلك .

ثم نزل المسافر الى المدينة يتجول في أزقتها وشوارعها وكان يمد في سيره بنايات عظيمة غاية في الزينة والزخرفة ، تفوق معظمها وعلوها جميع أبنية المدينة . فوقف أمام واحدة منها وإذا بالخدم يكس أدراجها بعناية ومهارة فوقف به وسأله قائلاً :

« ما هذه البناية يا صاح ؟ فاني رجل غريب في هذه المدينة وقد لاحظت أن فيها غير واحدة من هذه البنايات الفخمة . »

فأجابه الخادم قائلاً : « هذه معمل أحذية . »

فقال له الغريب : « وهل يصنعون أحذية ههنا ؟ »

فأجاب الخادم : « كلا ! بل هم يخطبون في كيفية صنع

الاحذية، ويترنمون بذكر الاحذية، ويصلون لاجل الحصول  
على الاحذية . »

ثم نظر الغريب الى الحائط فرأى اعلاناً مكتوباً بالحرف  
كبيرة خلاصته ان رئيس المعمل الاعلى للاحذية سيلقي محاضرة  
في كل أسبوع موضوعها « الاحذية » . وفي جملة المواضيع التي  
كان الرئيس مزماً أن يطرقها : « أصل الاحذية » ، و « تاريخ  
صنع الاحذية » . و « أجناس الجلد » ، الخ ، ثم أخبره الخادم  
أن كل الاشغال والحرف كانت تقفل أبوابها في كل أسبوع  
بأمر الحكومة ، ولم يكن يؤذن لاحد أن يفتح حانوته أو معمله  
في ذلك اليوم ما عدا أصحاب معامل الاحذية التي كان يجتمع  
اليها الشعب من سائر أنحاء المدينة ليرنموا بذكر الاحذية  
ويصلوا لاجل الحصول عليها ويسمعوا الخطب والمواعظ التي  
تلقى في شأنها ، ولكن لم يكن في تلك المعامل من حذاء واحد ،  
وكان جميع القادمين اليها والعاملين فيها « حفاة »

وأخيراً وجد المسافر في أحد الازقة الضيقة حانوتا  
صغيراً وفيه رجل الماني اسكافي يصنع زوجاً من الأحذية .

فاستراه في الحال ورجع به إلى الفندق وقدمه هدية للشيخ  
الذي تعرف إليه في وقت الفطور .

و شد ما كانت دهشته عندما رفض الشيخ ان يقبل هديته  
مؤكدآله انه لم يسبق من ذي قبل ان شريفنا من أشرف  
المدينة قبل مثل هذه الهدية ، وان من كان يجرأ على لبس  
الاحذية كان يحسب متهوراً متعصبا ومداجيا مراغيا .

وما أجمل انطباق هذه القصة على الحالة التي وضعت  
لأجلها . فإنه لما تنفطر له القلوب ان يمتن الدين ، وهو  
القوة المثلى الفعالة في العالم لتكوين الاخلاق وتعميم السعادة  
والغبطة ، ويحتقر حتى يستحى الانسان أن يدعي بأنه يؤمن  
به ويطبق حياته وأعماله عليه .

فقد امسى البحث في الدين مستحيلا في الاجتماعات  
العمومية ، لان الناس ينظرون الى الدين نظرم الى حزب من  
الاحزاب السياسية او مبدأ من المبادئ الشخصية . وما ذلك  
إلا لأن زعماء الاديان قد زادوا عليها في كل زمان ومكان

زوائد فارغة عمياء وحوطوها بالتقاليد الرثة البلهاء حتى صار  
يعسر ادراك جوهرها والبلوغ الى غايتها  
واذا كان هذا الكتاب الذي أبسط فيه اعترافي الصريح  
واجعل نفسي فيه عبرة لغيري سيولد في من سيقراه ثقة  
بذاته ، ويبعث في قلبه حرارة الايمان بالله ويحرضه على اتباع  
تعاليم المعلم الصالح يسوع ومبادئه الاولية واقتفاء مثاله في الحياة  
فذلك حسبي وبه اكتفى .

على اني اعتقد بان اكثر الناس مسيحيون اكثر مما  
يخيل اليهم .

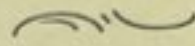
اعتقد بان الناس افضل من افضل النظم التي يضعونها  
ليقيسوا بها فضائلهم .

اعتقد بان الطبيعة البشرية صالحة سليمة بذاتها وان  
غاية يسوع من تعاليمه انما كانت لاجل استثمار هذه الطبيعة  
استثماراً تدريجياً فطرياً





## لماذا أنا مسيحي؟



« ان الخلافات المستحكمة على مر الاجيال  
بين الطوائف المسيحية لا أثر لها في ذهني  
البتة. فاذا سالتني ما اذا كنت مؤمنا بالتثليث  
أو موحداً ، فكأنما أنت تسالني اذا كنت  
بابوياً أو ضد البابا »

انني أودّ من صميم قلبي أن أبسط الاسباب التي تدعوني  
الى أن أسمى نفسي مسيحياً بملء الصراحة والوضوح وبكمال  
الاخلاص والامانة . واني لوائق بأن هذا الاعتراف  
سيساعد الكثيرين من المسيحيين على فهم مسيحيتهم . لاني  
عوضاً عن أن أعتقد بأن هنالك كثيرين ممن يسمون أنفسهم  
مسيحيين ولكنهم يتصرفون على عكس ما تتطلبه منهم  
المسيحية فانا اعتقد بأن هنالك اكثر من الكثيرين ممن هم  
بالحقيقة مسيحيون يتصرفاتهم وأعمالهم ولكنهم لا يسمون  
ذواتهم مسيحيين . فكم هنالك من المسيحية الحقّة الكامنة في  
ضماير الالوف العديدة ممن لا يهتمون بتعصبات الكنائس ،

ولا يُعَنَوْنَ بما تفرضه عليهم من الزواجر والنواهي. ففي أثناء خدمتي الروحية قد خبرتُ أخلاق الكثيرين من الناس الذين لم يكونوا أعضاءً لا في كنيسة ولا في غيرها من الكنائس، ولكنهم « لم يكونوا بعيدين عن الملكوت »، بل ربما كانوا أقرب إلى الملكوت من أبنائه الواهمين انهم قريبون منه. وقد عرفتهم بحياتهم العملية قوادماً مخلصين يتفانون في سبيل تأييد مبادئ المعلم الصالح في حياة البشر.

أما المشاحنات والمجادلات التي قامت في الكنيسة على ممر الاجيال فاني أعترف أن لا شأن لي فيها البتة. لاني اعتقد بأنها جميعها لم تأت بشمرة صالحة واحدة. ويمكننا أن نسميها حروباً عظيمة استمرت أجيالاً طويلة، ولكن كلاً منها في نظري هجومٌ قبيحٌ بعيدٌ عن روح المسيح. واني استطيع ان أقول ان جميع المجادلات والمباحثات النظرية التي انتهت الى نتيجة واحدة، هي سكوت القائمين بها، لم تبلغ ما بلغت اليه الا عن طريق النسيان وتصادم الزمان. أما اذا كان الناس لا يبحثون اليوم في القضايا اللاهوتية القديمة من مثل ما اذا كان الروح القدس ينبثق من الاب وحده أو من

الاب والابن معاً ، أو في شروط المعمودية ومادة العباد ، أو في حقيقة الاختيار السابق والمقدر ، أو في الخير والفتير — فإن ذلك لم ينتج عن ان أحد الفريقين المتناظرين قد اثبت عقيدته بالدليل والبرهان فاقنع خصمه واخمه بل لان الناس قلما يعبأون اليوم بمثل هذه المناظرات . فكلا الخصمين قد سما الخصام ولم يربح احدٌ منهما على رفيقه ، ولذلك ترك كل واحد من المتفرجين مقعده وسار في طريقه

وانا اذا عملنا النظر في جميع القضايا اللاهوتية التي كان يقوم عليها الجدل في سابق الايام نرى انه ما من واحدة منها نستطيع ان نعدّها من جواهر الحياة الضرورية وقد ادرك الناس هذه الحقيقة بعد اختبارات متواصلة ولذلك عرضوا عن البحث فيها . وفي عقيدتي ان المسيحية قسمٌ جوهرى لا تقوم الحياة بدونه . والمسيحية التي اؤمن بها اليوم هي كل ما يدخل في حياتي اليومية . فأنا لا استحي ان اقول انى افرح بالرب لانى استطيع ان انتفع به في حياتي كما اقول انى افرح بالشمس لانى اقدر ان انتفع بها في حياتي كل يوم . وان اعظم الاناشيد التي استطيع ان اقدم بها شكري

لله انما هي في استثمار ماله تعالى من السلطة ذلي لما فيه ازدياد  
نموي واكتمال تقدمي الى ملء قامته ، واقبح تجديف يمكن  
ان اقترفه ضد الله عزت قدرته انما هو في ان انخرط في  
عبادته بشفتي بتمتمة الالفاظ فقط ثم لا البث ان اسير مع  
رغبات نفسي الامارة بالسوء متناسياً امره

ولذلك اوضح بما استطيع من الايجاز الاسباب الجوهرية  
التي لاجلها اسمي ذاتي مسيحياً . ويسرني اني على ام الاستعداد  
لايضاح هذه الاسباب الآن لاني قد تنجيت من عهد عن  
المركز الذي كنت اشغله من ذي قبل كخادم من رجال  
الدين . واشتغل اليوم بشغل عالمي ، واسمي معروف من  
الملايين من الناس بواسطة مقالاتي التي اسطرها في الجرائد  
اليومية وقليلون منهم الذين يعرفون اذا كنت عضواً في  
الكنيسة أم لا .

واني امحض شكري مقدماً للقارىء العزيز الذي ينظر  
في كلامي الى بساطته والحقيقة التي يرمى اليها من غير ان  
يشغل فكره في اصلي وفصلي ومذهبي ودياتي . لاني اريد

ان اتكلم ببساطة كمخلوق بشري له حق الكلام في هذا  
الوجود. اما الحقيقة الناصعة فهي ان الخلافات المستحكمة  
على ممر الاجيال بين الطوائف المسيحية لا اثر لها في ذهني  
البتة. فان سألتني اذا كنت مؤمناً بالتثليث أم موحداً،  
كاثوليكياً او بروتستانتياً، مشوديستا او معمدانياً، فكأنما  
انت تسألني اذا كنت باباوياً او ضد البابا.



## لماذا أنا مسيحي

من الوجهة الشخصية

« ليس هذا الكتاب بحثاً لاهوتياً ، بل هو  
ترجمة حياة . لانني لا أريد أن أجادل  
وأناظر بل أنامورد فيه حقائق اختباراتي »

ليس هذا الكتاب بحثاً لاهوتياً ، بل هو ترجمة حياة  
صاحبه الذي يكره المباحثات النظرية البعيدة عن الحياة ، وهو  
لا يرغب في ان يغير عقائد احد من الناس لكي يصبغها  
بصبغة عقائده بل كل ما يرمي اليه إيضاح بعض النتائج التي  
وصل اليها في ما مر به من الاختبارات رجاء أن تكون ذات  
فائدة للذين يطالعونها .

قد جزت الستين من العمر وأنا اكتب هذه السطور .  
وقد قضيت القسم الاكبر من حياتي ، وهو ما بين الخامسة  
والعشرين والخمسين ، خادماً للانجيل ومبشراً بالكلمة .  
وعند ما بلغت الخمسين تركت وظيفتي في الكنيسة ووقفت  
نفسى على الكتابة في الصحف اليومية والمجلات الشهرية .

ولذلك فان حياتي قد اصبحت منذ عشر سنوات حياة عامية ولم تبق لي علاقة ما بالدوائر الاكليريكية .

على اني لا ازال اسمي نفسي مسيحياً . وكما افهم هذه الدعوة اعتقد بان مسيحياتي اليوم هي افضل جداً من مسيحياتي عندما كنت متجنداً في خدمة كنيسة متخذاً الوعظ مهنة لي . لانه يلوح لي انه يصعب على الانسان الذي يتخذ المسيحية حرفة له ان يكون مسيحياً حقيقياً . لان الحرفة من اشد اعداء التضحية والاخلاص . ولذلك فالكهنوت محك صادق للراغب في المسيحية ، لا يلبث ان يظهر حقيقته في وقت قصير وما اقل ذوى الكهنوت الذين يستحقون الاعتبار لعبقريه مسيحياتهم واني اؤمن بأن افضل الوسائل لتكوين الاخلاق المسيحية كائن حينما يرغب الانسان الى تحصيل معاشه بعرق جبينه . وافضل الطرائق المعاشية للانسان انما هي في العمل النافع لذاتك ولغيرك . لان المسيحية ليست عملاً يجب عليك انجازها بل هي طريق تؤدي بك الى القيام بذلك العمل . ولا تقوم المسيحية بالأقوال المنمقة والترانيم المزوقة بل قوامها الروح التي توحى اليك كيف تتكلم وكيف تترنم . واكثر ما نرى

ان الذين يجهدون عقولهم في اختيار الألفاظ يخسرون في  
الغالب جمال الروح.

على اني لا اقصد بهذا التعريض بأحد البتة ، ولا  
التنقص من كرامة إنسان او انتقاد افكاره ، سواء كان من  
ذوى الكهنوت ام من غيرهم من المبشرين والزملاء . فان لهم  
ملء الحرية في التبشير والتذيع ما استطاعوا لاقتياد الناس  
الى طرقهم ومبادئهم . بل ربما دخلت معهم في مباحثاتهم  
ومناقشاتهم إذا رأيت لى من ذلك خدمة اقوم بها للعالم .  
ولكنني لا اريد ذلك الآن . لان كل رغبتى في هذا الكتاب  
تنحصر في ان أظهر بكمال الاخلاص والامانة الاسباب التى  
تدعونى الى ان اكون مسيحياً في الوقت الحاضر . فابسط  
اختبارأتى الماضية من الجهة الواحدة ثم اصحبها بأرائى  
ونظرأتى الحاضرة

فقد اسمعتُ بأن عشتُ الى اكثر من السن الاعتيادى  
ومرت بى ادوار متعددة في جميع فروع الحياة . فعاشرت  
الفقراء والاغنياء على السواء ، الجهال والعلماء ، الفلاسفة  
والحكماء ، الاذكياء والاغبياء . واتيح لى ان اقرأ كتباً عديدة



في المذاهب والاديان ، فمنها من يؤمن ويمدح ومنها من  
يكفر ويقدم ، ومنها من يحتقر ويضحك ساخراً من كل  
مذهب ودين . وقد رلى ان أصغى الى مشاهير الوعاظ المؤمنين  
كما كان لى ان اسمع نوابغ الزنادقة والمعطلين . وقد جربت  
تجارب عديدة وخبرت جماً من الدروس المفيدة ، وكانت  
مجانى تشتد في كل يوم لمعرفة كل ما في الوجود . فكننت  
تارة احترق غيرة وطوراً تتأجج في قلبى نيران الشك والكفر  
في عهدى الفتوة والشباب . وبالاجمال فقد رأيت نفسى في  
مقدمة السابقين كما رأيتنى في مقدمة المتوانين

وها قد بلغت الى السن الذي أصبحت فيه كل عقائدى  
ومبادئى راسخة ثابتة في ذهنى ، وتقررت فيه جميع علاقائى  
بالحياة ، وقد استقرت عقيدتى في الوجود ولن يتغير شىء  
جوهري بعد من مذاهبى في الانسانية او في مركزى منها .  
غير انى بعد كل ما مر بى من الحوادث ورايت من المعجائب  
والغرائب المتناقضة ، ما برحت اسمى نفسى مسيحياً . وربما  
كانت للبعض لذة في معرفة ما يدعونى الى ذلك

ولكى لا يسىء القارىء فهمى لجهله الأسباب التى حملتنى

على ترك وظيفتي في الكنيسة اوضح ما يأتي بكل صراحة :  
فأنا لم اترك خدمة كنيسة لخلاف بيني وبين رعيتي قط ، كلا ،  
ولم اترك شعبي ومركزى بسبب هرطقة او تعليم غريب مناف  
لعقائد كنيسة ، بل انما تركت الخدمة في الكنيسة لانى  
رأيت في الكتابة العمومية قوة تجذب قلبى الى العمل ، قوة  
تستلذها روى اكثر من أن اكون خطيباً مستأجراً  
لطائفة واحدة من الناس .

كثيراً ما نقرأ عن افراد من رجال الدين يتركون خدمة  
كنائسهم لاجل راحة ضمائرهم المشككة في عقائد الكنيسة  
التي يخدمونها . غير انى لست من هؤلاء لانى كنت وما  
برحت انظر نظرة غير المكترث لمثل هذه القضايا والشكوك .  
ولم يحدث أقل انزعاج مثل هذا في حياتى . لانى ما زلت  
اعتقد بأن الكنيسة كرمة فسيحة الارحاء ، ولا بد أن يكون  
فيها كثير من العيدان اليابسة والفروع الذابلة ، غير انها تحتوى  
على الكثير من الدوالى اليانعة الآتية بأثمار الحق النافعة .  
وقد وقفت حياتى سجابة خدمتى الروحية على هذا القسم  
الثانى من محتويات كرمة الكنيسة . وانى ، ولا شك ، لو

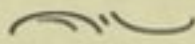
اتيح لي ان اصنع كنيسة جديدة لصنعتها من المواد والاساسات  
الضرورية الثابتة دون غيرها، ولكن الكنائس لا تصنع صنعا،  
بل هي تنمو نماء، والنمو لا يكون بدون نقصان وعيوب .  
ولكن إذا أزعجت العيوب فريقتاً من الناس ، وثبتت  
همهم ، فهل نسي أمثال هؤلاء أنه حيث لا يوجد العيب  
والنقص لا توجد الحياة ، وأنا أعني بالحياة النمو من الادنا  
إلى الافضل

أنا صحافي اليوم يا صاح ، فاذكر هذا ولا تدعه يندّ عن  
ذهنك . واعلم أن هذا الكتاب لم يسطره كاهن دفاعاً عن  
دعوتيه أو تأييداً لطائفته ، بل انما كتبه رجل عامي ايضاحاً  
لحالته ولرأيه الخاص في ديانته . وانني وأنا بحالتي الحاضرة  
قلما بهم أحداً من الناس إذا كنت مسيحياً تقياً أم لا . بل أنا  
قادر أن أعيش ولو خيل لي الناس اني بوذي أو يهودي أو  
كافر زنديق . ولذلك فأنا مسيحي لانني أحب ان اكون  
مسيحياً حياً مجرداً عن أية غاية أو مصلحة ، ولانني اعتقد بان  
المسيحية أفضل طريق تؤدي بي الى السعادة والغبطة في حياتي .



## إن ولادتي في محيط مسيحي

لها بعض التأثير على مسيحيتي



« اني أحترم الماضي لان منه نشأ الحاضر،  
واحترم الحاضر لانه يحتوي على المستقبل »

ان للعائلة المسيحية التي وُلدت فيها ، وللأمة المسيحية  
التي انا واحد منها ، وللمدينة المسيحية التي رُضعت لبانها ،  
وللعصر المسيحي الذي اعيش فيه تأثيراً يندأ في مسيحيتي .  
اعترف بهذا بجملة الصراحة ولا استحي باعترافي

غير ان هذا لا يعنى بته انى اقبل بأية عقيدة مجرد ان  
أبى قبلها ، او انى أو من بأيّ مذهب كان لاتي ورثته عن  
تقاليد جدودي . ولكنه يظهر بكمال الايضاح انى قد وجدت  
في عائلتي وفي محيطى عاملاً قوياً شجع ما في قلبى من  
الاستعداد للسير على الطريق المسيحية . وقد كان على ان  
اجاهد اضعاف ما جاهدت للبلوغ الى مسيحيتي لو انى  
وُلدت بين برابرة افريقيا او غيرها من البلاد الهمجية . ولكننى

سعيد لاننى ولدتُ في عصر النور وورثتُ مدينة عظيمة عن  
اسلافي اعترف بما قدمته لي شاكرًا ممتنًا  
فقد وصلت الى المسيحية بعد جهاد كبير في العالم ،  
وتقبلتها بعد اختبارات نحو النفي سنة . ومع ان هذا التاريخ  
سلسلة من الاغلاط فان الاغلاط في الغالب لمن اوفر  
مظاهر الاختبار تهديبا وتعلما .

بيد اننى ارى ان اسلافي كانوا يخنفون طهارة تعاليم  
يسوع في اثناء الالفين سنة الأخيرة بمخاطبها مع مظاهر  
الوثنية الغاشمة ، فكانوا يضحون طهارة تعاليم المسيح على  
مذابح انانيتهم واهوائهم ورغبات جهالتهم . ولكن يلوح لي  
أيضا انهم عرفوا على ممر الزمان انهم قد ضلوا عن السراط  
المستقيم الذي رسمه لهم المعلم الحكيم فاستحووا من ضلالهم  
وحزنوا على نمرغهم في حماته . فان كل الجرائم التي ارتكبتها  
الكنائس ، والاستبداد الذي تسرب الى قلوب قادتها ،  
والاضطهادات التي لحقت بالابرياء من اجلها ، والتعديت التي  
اصابت نبالها كبد الانسانية بسببها ، انما نتجت جميعها عن  
نقصان في افهام الزعماء الذين تبعوا يسوع من غير ان يفهموا

روح يسوع ، ولكن هذا النقصان قد زال برجوع الذين  
اصيدوا به الى المبادئ المسيحية الاولية .

انى احترم الماضي ، ولكننى لا اغمض عيني عن عيوبه .  
احترم الماضي لان منه نشأ الحاضر ، ولاننا اذا درسنا الماضي  
واختباراته ، وعرفنا ما جرى فيه من التقدم والتقهقر نستطيع  
ان نمجى مستقبلا أفضل وأجل من مستقبلنا .

وأؤمن بالنشوء التدريجى والارتقاء المتواصل ، لان كل  
راغب في الدرس والمعرفة يجب أن يؤمن بهما . فكل ذى  
علاقة بالحياة نام غير مصنوع . والمسيحية نفسها انما نشأت  
عن اليهودية التى كانت أفضل الطرق الأدبية التى بلغ اليها  
العالم قبل مجيء المسيح . ويسوع نفسه انما جاء ، كما قال :  
« عند ملء الزمان » . ولذلك فهو ثمرة الكمال فى شجرة  
الزمان . وقد كان على المسيحية أن تنمو بعده لكي تجتاز  
عواصف الشبية وتكبح الجامح فيها فتتأصل فى القلوب  
البشرية إلى الابد .

أجل ، ان المسيحية لا تثبت او تسقط لمجرد انها نظام  
نظري فائق الطبيعة ، وغير منظور ، بل لانها نظام عملي

منظور وقد خبره الوف الالوف من ابناء المعمور وعرفوا  
فوائده في كل فرع من فروع الحياة .  
والعالم مع شروبه الحاضرة هو أفضل بما لا يقاس مما  
كان فيما مضى من الزمان . فان الشعور ضد القادة ، والنفور  
من الظلم والمعيشة البهيمية ، والحرب والخصام ينموان عاماً  
فعاماً في الصدور . وأهم ما يسبب هذا النمو انما هو تأثير  
ذلك الناصري المسكين ومثاله وتعليمه



## لا أثر للرجاء بالسما

### أو الخوف من الجحيم في مسيحي

« ان للمجازاة والمكافأة بعض التأثير  
على سلوك الانسان ولكنهما لا تبنيان حجراً  
واحداً في بنيان أخلاقه »

لست من الناظرين الى نظام الثواب والعقاب كما يفهمه  
وينظر اليه اكثر الناس . لانني لا أعتقد بأن حكومة الله أو  
شرائع الطبيعة ترغبان في مثل هذا النظام . ولا أنكر اننا  
بطبائعتنا تتأثر بما نتوق اليه من الاشياء المستحبة وما نخافه من  
الاشياء المستكرهه ، ولكن مثل هذه التأثيرات تتسلط في  
الغالب على صغار الاولاد وتزول كلما تقدمنا نحو البلوغ .  
ففي سن البلوغ تتم السيادة للضمير والارادة التي ترفض  
مالا ينطبق على الوجدان في سبيل ما هو اكثر منه انطباقا  
واقناعا . وكلما تقدم الانسان في الايام تتدلل أمامه المصاعب  
وتزول من ذهنه المخاوف التي كانت تخطر له في سن الصبا ،  
فيحتقر الخوف ويحترم الشجاعة والجرأة حينما وجدتهما . وربما



كانت هذه الشجاعة وهذه الجرأة من الحاجات اللازمة لكيانه  
كرجل بالغ لزوم الرغبة والخوف له كولد صغير  
أما أنا فليست مسيحياً مجرد اعتقادي بان المسيحية  
تساعدني على البلوغ الى السماء ، لان معرفتي لما سيحدث بعد  
الموت ضيقة محدودة ولا تستطيع أن تكون قوة فعالة تميل  
بحياتي كيفما ارادت . كلا ، ولا للخوف من الجحيم أقل تأثير  
على مسيحتي ، لانني اعتقد بأن الرأي القائل بالعذاب الجهنمي  
والنار الابدية غريب عن طبيعة الاله الذي أو من به

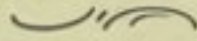
على اني لا أنكر البتة أن اتباع خطوات يسوع يؤدي  
ني الى الغبطة والسعادة وأن الابتعاد عنه يؤدي الى الشقاء  
والتعاسة . ولكن هذا لا يتعدى الظروف التي تحيط بشكل  
الحياة . فقد ربت الحكمة الالهية الكائنة في الطبيعة ان جميع  
العائشين عيشة معتدلة على مقتضى الشرائع الطبيعية يكونون  
في الغالب سعداء ، وان الذين ينقضون هذه الشرائع ترافقهم  
الآلام والمصائب . أما الاهتداء الى معرفة هذه الشرائع  
فمن خصائص تهذيب الفرائض الطبيعية وهو يساعدنا على  
تكييف ذواتنا للحياة على وفق شرائع الوجود وان لم نفهمها

في اكثر الاحيان . ولكن انْ أُبني اختياري لنوع الحياة التي  
أحياها على كل شكل معين من البركة اناله في الآخرة ، أو نوع  
هائل من التهذيب يحل بي في الجحيم ، فذلك بعيدٌ جداً عن  
ان يكون حقيقة في ذهني أو ملائماً لرجولتي  
انني اكون سعيداً ههنا ، في هذه الحياة ، اذا تبعت  
مبادئ يسوع ، واكون تعيساً ههنا ، في هذه الحياة ، اذا  
رفضت هذه المبادئ أو شككت في صحتها . ولما كان هذا  
الوجود مزيناً بالنظام ، وكانت الشريعة التي فيه واحدة كما  
على الارض كذلك في الكواكب والنجوم كما في هذه السنة  
كذلك بعد مليون سنة ، فان الافتراض الذي يتبادر الى ذهني  
هو هذا : اذا كنت سأظل حياً بعد الموت فاني سأظل سعيداً  
بايماني بيسوع واقتفاء خطواته ، وبالعكس سأكون تعيساً  
شقياً ان ضللت عن السير وراءه . هذه عقيدتي بكاملها وليس  
للسماء أو للجحيم دخلٌ فيها البتة



## ان ايماني بالمسيح

غير مبني على شهادته الرسمية



« ان يسوع هو اسمى مثال للعظمة الحقيقية في تاريخ الجنس البشري. ولا احتاج في مسيحيتي الى شهادة أو برهان على هذه الحقيقة. لانه لا يهمني من أي جهة من الاحراج جاء الى العالم. »

انني أو من يسوع واتخذه معلماً لي ، وبملاء اختياري اسمي ذاتي تلميذاً له ، ولكن القوة التي تدفعني الى ذلك انما هي مستمدة من أقواله وأفعاله المدونة على صفحات الانجيل . فاننا لا أو من يسوع ، مثلاً ، لانه ابن الله فحسب ، لان فريقاً من الناس يقول انه كان الهاً حقيقياً ، وغيرهم من يقول انه لم يكن سوى رجل عظيم ، غير ان لي رأياً في هذا الموضوع مثل غيري من الناس ، ولكن ليس لهذا الرأي أقل تأثير على عقيدتي بزعامة يسوع ، فانا اعتقد باننا معلمى الوحيد ولا فرق عندي أكان الها هبط من السماء وقضى بضع سنوات على الارض ، ام كان اماماً من كبار الحكماء وقد عاش عمره

كما يعيش جميع الاحياء ، ففي الحالتين أرى ان ما قاله وما عمله  
كاف لتعليمي وسعادتي .

ان ايماني يسوع غير مبني على انه حُبَلَ به وولد بدون  
معرفة رجل ، فان هذه العقيدة قد طالما حى وطيس الجدل  
بين الناس بسببها ، فمنهم من آمن بها ومنهم من أنكرها ،  
غير انها لا تؤثر البتة في مسيحيتي

ان مسيحيتي لا أثر لوحى الكتاب فيها بته ، فسواء كان  
الكتاب موحى به من الله أم لم يكن ، وسواء كانت الفاظه  
ومعانيه منزلة كلها أو كانت المعاني منزلة دون الالفاظ  
والعبارات ، فان معلمى يسوع هو هو في عقيدتي مهما  
اظهرت لى من المقدمات والنتائج لتأييد الوحي او لنفيه

ان سلطة يسوع كائنة في تعاليمه المكتملة لحاجات الناس  
وليس في عجائبه ، فان العجائب يمكن ان تقدم بمض البراهين  
لكثيرين من الناس عن عظمة يسوع كزعيم ، غير انها لا تؤثر  
بى من هذا القبيل ، لان الحقيقة القائلة ان رجلا يستطيع ان  
يحول الماء الى خمر ، ويشفى الايدي اليابسة ويقم الاموات  
يمكن ان تدهشنى وتقنعنى بانه كان ذا قوة فائقة ليس لى قوة

مثلها ، ولكنها لا تظهر لى الصفات التي تؤهلها لان يكون  
مرشداً روحياً لى

اكثر الناس لا يصدقون بأحد من الزعماء ما لم يعرفوا  
القوة التي وراءه ، أما انا فكل ما اود ان أعرفه من الزعيم  
القوة الكائنة في شخصيته ، فاذا جاءنى أحد بحقيقة ما ، فانه  
سواء عندي كان ذلك الرجل ملكاً او اسكافاً ، وانه لا سهل على  
ان اعرف اذا كان قوله حقاً أم لا بتطبيقه وتجربته في حياتى  
وليس بالبحث والفحص اذا كان يحق له ان يقول مثله قولاً  
اننى اجد في تعاليم يسوع وحياً عميقاً سامياً يكشف لى  
اسرار الحياة البشرية ومكونات القلوب الانسانية ، واهتدى  
بها الى مفاتيح المعرفة العظيمة التي تربط الناس بعضهم ببعض  
ممالاً أجده في أية تعاليم اخرى من تعاليم المعلمين والمصلحين  
وانك لعاجز عن ان تجرده من الصفة التي تجعله ربا ومعلماً لى  
بيرهانك النظرى انه لم يصنع عجيبة قط من العجائب المنسوبة  
اليه او انه لم يولد من امرأة عذراء ، بل انك لا تقدر ان  
تجرده من هذه الصفة حتى تقدم لى سيداً أفضل منه ، فاذا  
قدمت لى معلماً اغزر حكمة وأوفر عطفاً واكثر تأثيراً وجاذبية

للقلوب من معلمى فحينئذ اترك يسوع ، وليكننى لن اتركه  
قبل ذلك الحين ،

على اننى استطيع ان اقول اليوم نفس ما قاله احد  
تلاميذه الاولين : « يا معلم ، الى من نذهب وكلام الحياة  
الابدية هو عندك ؟ »

اما البرهان على حقيقة وجود يسوع وحياته فليس  
ضروريا في مسيحيتى ، فان فيكتور هيجو او يوسيفوس  
او شكسبير يمكن ان يكتبوا الى تاريخه . ويسوع لا يثبت او  
يسقط في عقيدتى بناء على شهادة المؤرخين الذين دونوا ترجمة  
حياته فان هؤلاء كانوا اتباعا ليسوع ولم يكن يسوع لهم تابعا .

ولا يهمنى من اى جهة من الاحراج والجبال جاء الى  
العالم . لان بلاده وجدوده واصل ذريته قلما تؤثر في مسيحيتى  
وكل المجادلات والمعادنات في حوادث تاريخ حياته هي حشو  
فارغ في نظرى . فهو بالرغم من جميع هذه المباحثات  
الكائن الاسمى الذي عرفته البشرية حتى الساعة ، والمثال  
الاعلى للحكمة واللاهوت والمحبة في تاريخ هذا الجنس

البشري . ولا احتاج في مسيحيتي الى شهادة أو برهان على هذه الحقيقة الواضحة في ذهني .

فان الديانة التي أدين بها ليست ديانة سلطة أو قوة تحتاج إلى دعامة وتثبيت . وربما أكون أكثر صراحة إذا قلت ان سلطة يسوع كلها على قلبي مستمدة من حقانية تعليمه وليس من المصدر الذي جاء منه هذا التعليم .

فهو يخبرني أفضل من كل معلمي العالم ، كيف يجب أن أعيش على هذه الارض ، وما هي الطريق الفضلى التي استطيع أن أمشي عليها في عواصف هذه الحياة المضطربة ، وكيف يجدر بي أن أعامل عائتي ، وأصدقائي وأعدائي وأقربائي . ولذلك فهو أنقى ينبوع أستقي منه مياه تهذيبي ، لانه كما قال جوهرت : « ان التهذيب يقوم في كل شيء يساعدها على البلوغ الى القناعة في حاجات أجسادنا وأفكارنا »

ان يسوع هو مأمور الاجراء الروحي الذي أنا في حاجة ماسة اليه لقضاء حاجاتي الروحية ، ولا أسأله أكثر مما أسأل أي مأمور اجراء آخر من القائمين بقضاء حوائجي الجسدية « هل تقدر ان تقوم بعملك ؟ »

وانى أرجو من القراء ان يتذكروا دائماً في قراءة هذا  
الكتاب انى انما اكتب عن نفسى فقط بملاء الصراحة، ولست  
بما اكتب أنتقد أحداً من الناس لانه يعتقد غير ما أعتقد.  
فان فى العالم كثيراً من الافكار التى لا يستطيع ان تقبل الحقيقة  
مالم تدعمها قوة خارجية. ويمكن ان تكون لهذه الافكار من  
الطمأنينة والراحة ما فكري وأزود. بيد أنها ليست أفكارى.  
أجل، ولا يتحكم بى يسوع ويأمرنى بمقدار ما يخاطبني  
ويعلمنى. ولا يقودنى كما يقود الانسان رجلاً أعمى بمقدار ما  
يفتح عينى وبطاقنى لاسير وحدى. وكالمعلم الصالح لا يشغل  
كاهلى بالفرائض والرسوم بمقدار ما يوقظ فى اعماقنى الرغبة  
فى اقتباس الحكمة والفهم. وليست الاقوال التى قالها حقيقية  
لمجرد انه هو قالها، بل انما قالها لانه عرف أنها حقيقية.  
واننى لا أصدق كل ما قاله لانه كان ذا صلاحية لان يقول  
مثله قولاً، بل انما أومن به عن قناعة وتسليم فى أعماق قلبى  
بان كل كلمة منه حقيقة خالدة، وأما المجادلات والمشاحنات  
فى الاصول الشرعية والتفاسير القانونية والصلاحية للسيادة  
والرئاسة والنيابة فلها قلما تهمنى.



## أنا مسيحي

لان يسوع قد أظهر لي بكمال ما يوجب  
القناعة والرضى ، حقيقة الشخصية الالهية

« إن خادم الجميع هو أعظم من  
ملك الملوك »

انا كيف نظرنا الى طبيعة يسوع ، سواء اعتبرناه الهاً  
أم معلماً عظيماً أم زعيماً متطرفاً ضالاً ، فاننا لا نستطيع ان نشك  
في ان خلاصة رسالته قد انحصرت في ان يعلن لنا طبيعة الله .  
ففى سائر اعماله وجميع أقواله نراه يضرب على وتيرة واحدة  
خلاصتها قوله ، « من رأى فقد رأى الاب » وانه لسواء  
عندى مغلوطينا كان ام محققانى اعتقد بأنه ما من معلم آخر  
فى العالم استطاع ان يصور لنا الله عز جلاله بصورة أفضل  
واكمل من صورة يسوع . فلو اتيج لى ان اتخيل صورة لله  
لما كان فى وسعى ان أرى صورة تستحق اعتبارى وتستدعى  
عبادتى واحترامى مثل صورة يسوع المسيح .

وقد ميز يسوع صورة الاله التي قدمها للعالم بصفتين  
خاصتين. فظهر الله أولا كصديق، ثم اظهره كخادم للوجود  
وليس كملك الجبار

وهاتان الصفتان قد كان لهما ، اكثر من أية حكمة أو  
تعليم كان في العالم، الفضل الاكبر في اصلاح العادات والتقاليد  
وتهذيب النظم وترقية الاخلاق في سائر انحاء الارض

اولا، اظهر الله كصديق عطوف . فعزز بذلك العقيدة  
الجليلة التي ظهرت اولاً في بلاد اليهودية ثم كادت تضمحل  
تحت تأثيرات الامواج الوثنية التي غطت بتيارها جمال الايمان  
اليهودي عند ما جاء يسوع الى العالم . وقد كان ظهور هذه  
العقيدة للمرة الاولى في الاشعار المنسوبة لداود . فان كان  
داود قد كتب المزمور الثاني والعشرين أم لا فانه ولا شك  
قد كتبه أحد اليهود الذي كان من غير اقل معارضة في  
مقتبل الشباب . واننى أتمثل امامي ، الراعي الصغير داود ،  
يرعى قطعان ابيه ، ويراقب الخرفان المتجمعة حواليه عند  
حلول المساء : وقد طالما فكر ، كما يفكر كل منا ، بالانغاز

المظيمة والقضايا الهامة المحيطة بالوجود وما فيه من الكائنات الحية وغير الحية ، وتاه في صحاري الحيرة يسائل نفسه كيف يكون الشخص الذي يقطن في السماوات ويحرك بكامله جميع الكائنات . ولا شك ان ذلك الراعي الشاب كان شاعراً ، وللشعراء طريقة مختصة بهم يوضحون بها حقيقة غير المنظور وغير المعبر عنه بأمر تنظرها وتشعر بها ، « فيطلقون على اللاشئ الاثيرى اسما ويقيمون له مسكناً » أجل ، انى اتمثل ذلك الراعي الشاعر واكاد أراه الآن بعينى وان لم يكن حاضراً ، ينظر الى الخرفان المجتمعة حوالبه طلباً للحماية والوقاية فتشرق فى قلبه أشعة علوية تُشعره ان فى هذا الكون وفى هذا الحقل الجميل الذى انت فيه توجد صورة واضحة للخالق العظيم الذى تنشد صورته . فيترنم فى الحال بتلك الانشودة الخالدة ، التى هى أشد أشعار العالم وقعاً فى القلوب وتأثيراً على النفوس ، الانشودة التى عزت من القلوب وأزالت من مخاوف بنى الانسان اكثر مما فعلت جميع أشعار الارض ، بل انها بالحقيقة قد أنارت مشاعل الحياة فى قلب مغاور الموت :

« الرب راعيّ فلا يعوزني شيء »  
« في مراعى خصيبة يقبلني ، ومياه الراحة يوردني »  
« يرد نفسي ويهديني الى سبل البر من اجل اسمه »  
« اني ولو سلكت في وادي ظلال الموت ، فلا أخاف  
سوءاً .

« لانك معي .

« عصاك وعكازك هما يعزياني »

هنا نجد العالم مميزة اليهودية البارزة . ولاجل هذه  
الانشودة قيلت الآية ، « لان الخلاص هو من اليهود » فان  
هذه الفكرة لمن أفضل ما عرفه العالم في الفداء : الله صديق  
عطوف . انك لا تستطيع ان تجد عقيدة مثل هذه في كتب  
هوميروس واكيلا ، ولا في كتب أي عاقل عالم أو حكيم  
من حكماء اليونان ، كلا ولا في تعاليم كنفوشيوس وبوذا  
وجموراني . ولذلك فانها فريدة قلائد اليهودية .

وقد كانت هذه الفكرة الالف والياء في جميع تعاليم

يسوع في الخالق العظيم

فقد علمنا ان نصلي قائلين ، « أبانا » . وهذه الكلمة قد  
بعثت حرارة المحبة في جميع أنحاء العالم . وظلت هذه الفكرة  
سائرة في طريقها المحفوفة بالآخطار وثبتت حتى الآن بالرغم  
من جميع المقاوّمات والتحرّيفات ، في وسط جميع العقائد  
العقيمة والنظم السقيمة ، والمنطق الناعم والسفسطة الفارغة .  
ولا تزال حتى الساعة نقيه قوية متجملة بجمال الشباب .  
وانني مدين ليسوع ولداود بما عندي من القوة التي استطيع  
ان اقاوم بها جميع المتعطرسين من ذوى السيادة والعجرفة في  
التاريخ واصرخ بهم قائلاً ، « ليس الله ملكي الجبار بل هو  
صديقي الحميم »

أما الصفة الثانية التي وصف لنا بها يسوع العزة الالهية ،  
فهي ان الله ليس بسلطان الوجود المتجبر بل هو خادمه  
الوضيع .

وكما سبقت فاوضحت في كتابي « الله والديموقراطية » (١)  
اكرر الآن ، ان العالم كان يعتقد فيما مضى ان السيد المطلق

---

(١) كتاب « الله والديموقراطية » من خيرة مؤلفات المؤلف وقد فرغنا  
من تعريبه مؤخراً وسنقدمه للطبع في أول فرصة ملائمة ان شاء الله - العرب  
( ٢ - ٤ )

للكون هو ملك جبار مثل ملوك الارض واسيادها . وقد  
نتج ذلك كله لان الناس لم يكونوا يفهمون معنى العظمة  
الحقيقية . فكانوا يقولون ان الله يجب ان يكون اعظم شخص  
في الوجود . ولما كان الملك المثال الاعلى للعظمة في ذلك  
الزمان ، لذلك وجب ان يكون الله ملكا مثل سائر الملوك .  
ولاجل هذا عم الاعتقاد بين المتقدمين بان الله ملك بجميع  
مظاهر الملك . ولذلك كانوا يتوهمون انه بالغ الانانية ، معجب ،  
متصلف ، غيور ، ظالم . رهيب . لا يستطيع احد ان يدنو  
من عرشه . ولكن يسوع لم يكن على شيء من صفات هذا الاله .  
فهو لم يجلس على عرش ، ولم يسع الى كرامة او شرف  
لذاته ، وكان يخدم الناس سحابة حياته لاجل منفعتهم عوضاً  
عن ان يحكم عليهم بالعمل لاجل منفعته الخاصة . وقد فعل  
ذلك لانه كان يعتقد بان عمل الخدمة هو افضل كثيراً من  
عمل السيادة . وعلى ذلك قوله : « من اراد ان يكون فيكم عظيماً  
فليكن للكل خادماً »

وقد حدث لي من مدة حادث قاد هذه العقيدة مرغمة  
الى منزلي ثم الى فكرى . فقد افقت من نومي في احدى

الليالى مفتكراً ان هنالك قارعا يقرع باب غرفتى . وكانت  
الساعة الثانية صباحاً وهي ساعة الظلمة الساكنة . وبعد بضع  
ثوان ثبت عندى ان ما سمعته لم يكن قارعا غريباً يطرق  
باب غرفتى بل انما كان قارع قلبى يقرع فى العروق الضوارب  
فى عنقى على وسادتى . وفى تلك اللحظة سمعت قاطرة  
القطار تنفخ وتصفر وهي تسير على الخطوط الحديدية قرب  
منزلى . فقلت على الفور للقاطرة ولقلبي : « سيرا ولا تبطننا  
فانما حران فى سيركما ولا سلطة لى عليكما . اننى لا ادرى  
من يسير بهذه القاطرة ، كما اننى لا ادرى ممن يجعل قلبى  
خافقاً نابضاً . فانى ولا شك لا سلطة لى على ادارة حركته  
او على تكيف نبضاته . ومع اننى استطيع ان اوقفه عن  
الحركة بسكين حاد او بقليل من السم ، ولكننى ان اوقفته لا  
استطيع ان احركه ثانية . »

فقلت إذ ذاك فى نفسى ، ان الرب هو الذي يتحرك فى  
قلبي . وظلمت أراه سحابة تلك الليلة عاملاً نشيطاً يحرك  
المضخة المركزية فى قلبى التي ترسل دم الحياة الى سائر أنحاء  
جسدى ، وهو يشتغل بصبر وثبات غافلاً كنت أم مستيقظاً .

جاءت الى ذهني في تلك اللحظة الآية القديمة ، « إن حافظ  
اسرائيل لا ينام ولا يوسن »

فخطر لي اذ ذلك انه سبحانه وتعالى ، هو الذي يدير  
رحى رثتي ، وينقى مجارى دمي ، منتصباً كأنه كماوي  
ماهر في مصنع معدني ، محولا الغذاء بطرائق الكيمياء  
العضوية الغامضة الى مادة تمتزج باللحم والدم ، وقائداً كل  
ذرة من دمي في طريقها المتعرجة في الشرايين والاعوية  
الشعرية ، وهو لا يفعل ذلك لي دون غيري من الناس بل  
لكل مخلوق بشري على وجه الغبراء ، ولسائر المخلوقات  
الحيوانية الحية في العالم ، للمواشي المنتشرة على الوف التلال  
ولجميع طيور السماء وحياتان البحار ، ويراغب النمو والاضمحلال  
وألوف الطوارىء الخارجية التي تطراً على حياة العالم النباتي ،  
وفوق كل ذلك فهو يقود السيارات في سيرها ويدير حركة  
المجرات اللامعة في مسالكها الغريبة

ولخيل الى في تلك الساعة انه قد اتيج لي ان أتمتع بنظرة  
جديدة من الله ، وانني كموسى كدت أرى ما أخفي عنا من  
إلهنا ، وان هذه هي العظمة الغير المتناهية بكمالها التي لا يستطيع



انسان ان يدركها ، وهذا هو الجلال اللامع الذي لا يحيط به  
وصف، الذي لا ينظره امرؤ ويعيش . بل وثقت بانى قد لقيت  
الخدام العظيم لجميع الانام وهو مكب على عمله

أجل ، ان مثل هذه العظمة الحقيقية تفوق ببارق انوارها  
جلال رب الجنود وسلطان الوجود الذى يمثله ابناء المسارح  
جالسا على عرش من الجواهر تحيط به السارافيم والشاروبيم ،  
كما تفوق اشعة الشمس الالامعة بانوارها فوق قنن الجبال  
أنوار الشموع الضئيلة فى المسارح المزدهجة بالجموع

هذا هو التعليم الذى أعطانا يسوع ، ان الله ليس  
بالسلطان القاسى بل هو أب رؤوف وان جميع الناس هم أبناء  
متساوون أمامه، وهذا التعليم هو اساس الديموقراطية الحرة  
التي دكت الصروح القائمة على أسس الاستبداد والاستعباد  
بعضها وراء بعض

وانى لست بالمسيحي لاجل ما صنعه يسوع معى فحسب ،  
بل انا مسيحي لما يصنعه مع العالم الذى اعيش فيه والامة التي  
انا فرد منها

على ان القوة المتأتية من معلم اجمع العالم على اكرامه

واحناء الرأس لاخلاقه ومبادئه كيسوع - انما هي في الحقيقة بعيدة الغور ولا يدركها الا الثاقبوا النظر من الصادق الایمان لان امراء الكنائس المستبدين العميان في تعصبهم وكبرياتهم لا يشعرون الا وقد هبطت قصور تشاخصهم ومحبتهم للتفريق والتحزب كل لطائفته عند ما يتذكر التابعون لهم ما كان عليه رئيس الكنيسة الاعظم من التواضع والمسكنة. والملوك والسلاطين وغيرهم من ذوى السيادة وارباب السلطة لم تقمع شهواتهم وطموحهم للسيادة والصدارة قوة في العالم كما فعلت بهم قوة يسوع الحقير المسكين الذى لم يستطع احد ان ينزع صورته من اذهان العالم بل ان البلوطو قر اطي في هذه الايام التى نعيش فيها يشعر بأنه يجب عليه ان يبرر ذاته بأن يفعل شيئاً تكون فيه مصلحة عامة وقوة مُفحمة لاعتراضات الرأي العام ، لانه لا يقدر ان يهرب من امام الخيال الذى يتهدده ، خيال ذلك الفقير المسكين الذى جاء الى العالم ودعى ابن الله وقضى عمره يصنع خيراً ويحسن الى جميع المحتاجين . ولذلك نرى رو كفلر يضطر الى انشاء الكليات لمقاومة الامراض ولتعميم وسائل التهذيب . وكارنجى يُرغم على بناء المكاتب العمومية

والبذل في السبل السلامية. وهنري فورد يشعر باضطراب الى  
تبرئة ذاته فيستخدم الالوف في مصانعه . والنقطة الرئيسية  
هنا ليست ان هؤلاء الثلاثة هم رجال أفاضل ونماذج صالحة  
لغيرهم من الناس، بل النقطة الهامة ان هؤلاء الثلاثة وأمثالهم  
من الفاعلين فعلهم في العالم انما هم مضطرون الى ان يقيسوا  
ذواتهم وافكارهم بمقياس حياة يسوع . لانه ليس في العالم من  
طريقة للتخلص من مقياس هذا الانسان . فنحن نستطيع ان  
نطبق حياتنا عليها أو أن نرفضها . ولكننا لا نستطيع أن  
ننكر وجودها ، ولا ان تتناسى أمرها



## أنا مسيحي

لأن المسيحية تلائم غرائزي

« ليس في المسيحية ما يناقض الانسانية »

إن البرهان الاسمي على أية حقيقة كانت في الوجود  
انما هو كائن في الغرائز . ومن اقوال أمرسون ، انه عند ما  
تكون لدى الله قضية يريد ان يبحث فيها مع الجنس البشري  
فانه يفرس براهينه ويأتي بادلته عن طريق الغرائز الفطرية

كلما فكرت برجاحة فكري وغزارة ذكائي وفطنتي ،  
أرى ذاتي أوفر شكاً بفكري واكثر تردداً في احترام فطنتي  
لان الاختبار قد علمني ان المنطق كثيراً ما تغلبه الشهوة  
وتغشاه امواج الرغبة ، وان البرهان على ما نريد أن نؤمن  
به كثيراً ما يكون سائماً غاشة للاقناع . لذلك فان حجج  
المتشرعين وبراهين المنطقيين لا تؤثر بي البتة في القضايا  
الحيوية الهامة التي جل اعتمادي فيها على غرائزي . لان  
المشاحنات والمباحثات يربحها في الغالب الفريق البارع في

التعبير عن أفكاره بالالفاظ البراقة والماهر في ميادين المنطق  
واستخدام سيوف السفسطة الفارغة

فانا أحب امرأتي ، مثلاً ، وأحب اولادى واصدقائى  
وبلادى ، ليس لاننى قد طرحت قضية محبتهم أو عدمها  
على بساط البحث في فكرى لكي أرى ما يتأتى لى من المحبة  
أم عدمها ، بل انما أحبهم لاننى أسير وراء رغبة خفية في نفس  
قد عرفت بالاختبار انها اكثر من المنطق قوة ، وانها مثله يمكن  
ان يعتمد عليها في أية ساعة لتأتى بأشهى الامار وخير النتائج  
غير اننى اذا تكلمت عن الغرائز فانا اتكلم عن جميع  
انواعها العاملة في اعماقى . ففى كيانى غريزة العطش ، والجوع  
والدفاع عن الذات ، والحرب ، والطمع ، والحب الجنسى ،  
والرغبة في حفظ النوع ، والعدالة ، والانتقام ، ومحبة الجمال ،  
والخوف ، والشجاعة ، والتقوى وامثالها . ومن مجموع هذه  
الغرائز تتكون انسانيتى

واننى لا أعتقد بأن بعضاً من هذه الغرائز شرير ويجب  
على أن استأصله من كيانى . بل أثق بأنها جميعها صالحة ،  
لان الله قد وضعها فى ، « وما قدسه الله لا تنجسه أنت »

وكل ما احتاج اليه ان ارتب هذه الغرائز كلاً في  
موضعها واضبطها وأقرر لكل منها عملها حفظاً لصحتي  
وسعيّاً الى الاعتدال في طبيعتي . لانني احتاج الى ان اكون  
انساناً بكل ما في الانسانية من القوة

وإذا خرجت واحدة من هذه الغرائز ، اما عن اهمال  
أمر العناية بتدريبها ، أو عن اعطائها اكثر مما يحق لها من  
العناية ، عن اعتدالها وعملت على الخراب والدمار فان ذلك  
لا يعنى انها غريزة شريرة ، بل انما يظهر انها خرجت عما  
رُسم لها من العمل . لان غرائزي هي بطبائعها كالخيول  
الجامحة . وأنا لا اعتقد بأنه يجب عليّ ان أقتل امثال هذه  
الخيول لمجرد انها جامحة ، بل يجدر بي ان أطبعها واروضها  
حتى انتفع منها لتجملني وتحمل اثقالى

وقد وجدت بعد الدرس والاختبار ان المسيحية افضل  
نظام لترويض هذه الغرائز وتدريبها فى المسالك الصالحة .  
لان الانسان أشبه بالآلة البخارية التي تجرّ القطار والغرائز  
التي فيه هي البخار ، لان كل ما فيه من القوة مستمد من  
غرائزه . أما الارادة والذكاء فليس فيهما شيء من القوة

الجسدية ، ولكنهما مُديران منظمان . ولذلك فاني اعتقد بأن غرائزي هي البخار، وجسدي هو حديد الآلة البخارية ، وعقلي هو الخادم الذي يشعل النار ويسوع المسيح هو المهندس البالغ الدراية في تسيير هذا القطار حيثما شاء غير ان بعضاً من هذه الغرائز هي حيوانية محضة وقد ورثتها على ممرّ الوف السنين من الحياة الحيوانية التي ترجع الى عهد الانسان الاول المنحط والى الهمجية والبهيمية الاولى ولهذا الغرائز مركز خاص في جسمي ، وهو مركز طبيعي نافع لا بدّ منه لكياني . ولكن اذا لم تتسلط ارادتي على هذه الغرائز وتحكم عليها في جميع حركاتها وسكناتها لكي تتجه أبدأ في السراط المستقيم فانها تقودني الى الموت والهلاك فالحبة الزوجية مثلاً ، التي هي واحدة في الانسان والحيوان ، انما تحفظ من ان تنحط وتسفل الى درجة تؤذي وتضر في المجتمع الانساني باخضاعها للغرائز المتهذبة على مرور الايام كالاعتدال ، والامانة والتضحية ونكران الذات في سبيل خير الآخرين وسعادتهم

بيد اني اذا قلت ان المسيحية خير مروض وافضل

مُدرّب للفرائز البشرية فانا لا أعنى بالمسيحية مجموع الموضوعات التي أمرَ بها تفرُّ من ذوي الانانية والتعصبات الطائفية التي لا غاية دونها سوى السيادة والعجرفة بل أنا ارجع دائما الى المباديء المسيحية الاساسية التي يسلم العقل الصحيح بأنها قد أعلنت وأظهرت في حياة يسوع وفي تعاليمه

وإذا شاء أحد أن يُصرَّ على أن المسيحية والكنيسة واحد، وان تعاليم يسوع هي نفس التعاليم التي وضعتها بعض الكنائس المسيحية في أزمنة مختلفة، فاني أصارحه القول أن أى بحث يجرى بيني وبينه انما هو عقيم وبغير فائدة . لانا اذا لم نرجع الى نصوص الانجيل البسيطة ونستخرج منها خلاصة مقاصد يسوع ومبادئه، ونميز بينها وبين جميع الزوائد الغير الضرورية فانه ليس من فائدة ترجى من ابحاثنا ولا من جميع أعمالنا وأقوالنا في هذا الموضوع

على اننى لا أقصد بهذا أن أجرد الكنيسة من فضلها لان الكنيسة محقة في جميع عقائدها الاولية . والتأثير الصالح الذي تمدته جميع الكنائس المسيحية هو أفضل عامل في الهيئة



الاجتماعية على ترقية الاخلاق وزرع بذور الفضيلة في أفكار الرجال والنساء على السواء

ولكن اذا أمعنا النظر في تعاليم يسوع نرى أنه قد حصر القوة الكبرى في ثقته بغريزة واحدة ، هي غريزة المحبة . والمحبة ليست ثمرة من ثمار الفكر أو نتيجة من نتائج المنطق بل هي غريزة طبيعية لا تقوم الحياة بدونها . وقد قال يسوع : انها ، أي المحبة « كمال الشريعة » ، وهي الآية الذهبية لتصرف البشر بعضهم مع بعض

واننى لا أجد في حياة يسوع ما ينافي بالمبادئ الانسانية ، ولا أعرف أن في المسيحية تعليماً يأمرني بأية طريقة كانت على تقييد عواطفى وتخنيثى أو ينزع من الحياة البشرية شيئاً من حرارتها وكهربائيتها وجمالها وعزمها . ولكن هنالك عدداً كثيراً من الطوائف وأصحاب الاوهام في المسيحية الذين يقتربون أمثال هذه الجرائم باسم المسيحية . ولا شك عندى أن القارىء الاديب يدرك هذه النتيجة لذاته

أما أنا فانى أعتقد بأنه ليس فى اتباع يسوع ما ينزع ولو جزءاً قليلاً من انسانيتى . وأما ما يفرضه البعض من

وجوب الابتعاد عن جميع رغبات هذه الحياة ، ونكران  
الذات ، والاعراض عن جميع طبيبات هذه الارض ، وقهر  
الذات بأنواع التعذيبات المختلفة ، وانه يجب ان نقضي الحياة  
بالتأملات الروحية — فانه قلما يهمنى

فان كلمة « طهارة » اكثر ما يستعملها الناس في غير محلها ،  
بل كثيراً ما يستعملونها بصورة تدعو الى الهزء والسخرية .  
لان الانسان يكون طاهراً بالحقيقة اذا تسلطت مبادئه السامية  
على ما في جسده من القوات والرغبات تسلطاً قانونياً . أما  
اذا لم تكن له رغبات جامحة ليكبحها ويتسلط عليها فاني لا  
أستطيع أن أدعوه طاهراً . وقد قال ريتشارد جرانت هويت ،  
أن العفة كلمة كثيراً ما يسيء الناس استعمالها ، فانها لا تعنى  
العذراوية دون غيرها ، فان أمهاتنا عفيفات كاخواتنا ، بل  
ربما كانت الأم المتزوجة اكثر عفة من ابنتها غير المتزوجة  
ومن شر اللعنات التي علقت بأفكارنا من العالم القديم  
أن الصلاح فضيلة سلبية . ولذلك وجب على المسيحي أن  
يحتفظ بملء الصرامة على القيام بمضمون الوصايا التي لا أول  
لها يُعرف ولا آخر بوصف وفي أول كل منها « لا تفعل .... »

ولكن المسيحية الحقيقية هي عكس ذلك ، هي تنشيط  
جميع القوى العقلية ، والعمل على جعل الحياة أوفر ثماراً  
وأكثر خصباً. والمسيحيون يجب أن يكونوا، «ملح الارض»  
و«إذا فسد الملح فبماذا تملح الارض؟» وأما الدافع الذي يدفع  
بعض الناس الى تسمية المسيحيين بالمستخثين الجبناء ، ويجرثهم  
على الاعتقاد بأن الطريقة الوحيدة للوصول الى وجود مزدحم  
ممتلئ من الغبطة والسعادة انما هي طريق الرذيلة والتطرف  
في كل شيء - فانما هو خبَلٌ في عقولهم . لان الكتاب  
المقدس يصيب من الوجهة العلمية عند ما يصف الخاطيء  
بالمجنون . وقد قال يسوع انه جاء لكي نكون فرحين به ولكي  
يكون فرحنا كاملاً» ولذلك فاني مسيحي لان اقتفاء خطوات  
المسيح هو أفضل نظام رأيت حتى الساعة لجعل حياتي غنية كاملة  
بالفرح الكامل



## أنا مسيحي

لان مبادئ المسيحية تزيد الحياة عزماً ونشاطاً

« الايمان بالحياة عقيدة أولية »

شارل واغنار

قال شارل واغنار المشهور ، « الايمان بالحياة عقيدة أولية » . واني أوّمن بهذه العقيدة الاولية من اعماق قلبي . لان أول ما أوّمن به في هذه الارض هو الحياة . وهذا الايمان بالحياة هو أصل لجميع أنواع إيماني . فهو أعمق من النهي ومن جميع أوليات العقل وما يبلغ اليه الادراك من النتائج والحقائق . فالايمان بالحياة سابق للايمان بالحقيقة أو الايمان بالصلاح بل هو سابق للايمان بالله . لاننا اذا أمعنا النظر في الموضوع نرى أن الحقيقة والصلاح والله نفسه يتوقف الايمان بهم على علاقتهم بالحياة ، بحياتي كما بحياة كل انسان على وجه الارض

هذا هو حجر الزاوية لكل شيء في الحياة . لان كل عقيدة تسقط أو تثبت بالنسبة الى تأثيرها في الحياة . وليس

هذا الايمان ضرباً من ضروب الانانية ، لانه حالة بسيطة عليها تتوقف سلامة العقل وطمانينته . فلا أهمية للتاريخ في نظري ولا لما مضى من الازمنة والحوادث ، ولا لما سيأتي في مستقبل الايام ، ولا لسائر أنحاء المعمور المتفرقة حوالي في جميع الارض ، إلا بالنسبة لعلاقتها بي

فان نظرت الى الوجود ، مع صرف النظر عن كل ما فيه سواي ، فاني أرى أن الوجود بدأ حين ولادتي ، وأن نهاية العالم ستحل حين موتي . لان القيصر أو شارلمان لم يكونا شيئاً في نظري حتى أتيت الى العالم ، وكل ما سيحدث في العالم بعد مئة أو الف سنة من موتي قلما يهمني إلا من الجهة النظرية .

لاجل هذا فان جميع المسيحية التي عندي والتي أبذل حياتي في سبيلها وأود أن أدرس عنها في كل فرصة ، إنما هي ما يُشعر بي بطريقة من الطرق . وهناك كثير من المواضيع الدينية التي يملأ البحث فيها مجلدات ضخمة ويستغرق حياة المئات من الاساقفة والكهنة ولكنه في عقيدتي قلما يهمني أكثر

من البحث عن حدود كامتشاتكا أو في هل الدجاجة أصل  
للبيضة ام البيضة أصل للدجاجة  
انني أعتبر المسيحية لانها ترفع طبيعة الحياة وتزيدها  
عمقاً وصلاًحاً. ولذلك فقد غلط القائل أن مبادئ يسوع  
تقيد الحياة وتذلها. لان البعض من مبادئه التي ينجيل الى  
الناس أنها تقيد الحياة إنما يكون الواهمون ذلك قد أساءوا  
فهمها ولم يدركوا الغاية منها. فعند ما تعلمنا يسوع بتضحية  
الذات مثلاً، أو بحمل الصليب، فأنما هو يقصد بذلك أن  
يجعلنا أكثر قوة وأشد عزيمته. وقد رأيت هذه النتيجة  
واضحة في حياتي. فقد بذلت جهدي وكل ما في قوتي لكبح  
الجامح والاناني الوحشي من عواطفني وذلك باخضاعها  
لناموس التضحية في سبيل منفعة الآخرين فكانت النتيجة  
أن ازدادت سعادتني وتوفرت لدي وسائل القناعة والطمأنينة  
على أن المسيحية لا تريد أن تخلصنا من الجهاد في سبيل  
الحياة، لان ما في الحياة من العزيمة والطموح لا يتجدد بدون  
الجهاد، والمسيحية ليست وسيلة للتخلص من المسؤولية  
والواجب، بل هي تأمرنا بحمل المسؤولية الواجبة. ولا هي

بالوعد الذي يؤكد لنا انه سنحظى بمن يعتنى بنا ، ولكنها  
بالاخرى تساعد كل واحد منا ان يعتنى بذاته

وقد قال يسوع مرة : « تعالوا الىّ يا جميع المتعبين والثقيلي  
الاحمال . احملوا نيري وتعلموا مني . » فالغاية من النير ليست  
مساعدة الثور على التخلص من حملة بل هي اختراع يستطيع  
بواسطته على القيام بواجباته . وأنا لا أريد ان أخلص مما  
يفرض علي في الوجود من الواجب والمسؤولية مهما كان  
نوعهما لان الحياة لا معنى لها بدونهما . غير انني في أشد الحاجة  
الى معرفة ما يساعدني على اجتياز العقبات التي تقوم في طريق  
حياتي مكابلا باكاليل الفخر والانتصار .

أما الفروض والتحديات التي يجدها كل انسان في  
المسيحية فهي أشبه بالمناجل التي تقضبُ بها الاغصان اليابسة  
في اشجارنا لكي تنمو الشجرة أوفر قوة وأكثر انماراً .

فالمسيحية في نظري ليست عقبة في طريق الحياة .  
وأما الرأي القائل ، باننا يجب ان نتألم ونشقى في هذه الحياة  
ونقهر ذواتنا بسائر انواع التعذيبات ، وان مخلصنا سينظر إلى  
إماتتنا ويعوض علينا في العالم الآتي بالخيرات والبركات فرأي

بعيد عن فكري لانه اقرب الى الوثنية منه الى المسيحية  
وغاية ما اطمح اليه في مسيحتي أن أجد ما ينهض  
بوجودي وينقي بناييع حياتي ويسمو بعواظني وافكاري  
يوما فيوما هنا على هذه الارض . وأنا مسيحي لان المسيحية  
وحدها تستطيع ان تقدم لي هذه الخدمة . على اني لا أقول  
ان المسيحية لا تنقل المؤمنين الى السماء بعد موتهم ، بل كل  
ما اقله انه اذا لم تكن المسيحية صفة أخرى غير هذه الصفة  
فانها قلما تؤثر بحياتي إذ ذاك .

ان الكنيسة القائمة في قلب الجبانة ( المقبرة ) تحيط بها  
القبور من كل جهة هي رمز لكنائس الاجيال المتوسطة  
المظلمة ، اما كنيسة التي اطمح اليها فيجدد بها ان تكون  
في مركز الاعمال من المدينة ، في قلب جدول المصالح  
الانسانية . لان الغاية الاولى من الكنيسة انما هي في ان تزيد  
مياه الجدول نقاء وعتوبة وصفاء .

غير ان اكثر التأثيرات غموضاً في المسيحية كقوة  
اجتماعية انما هي تأثيراتها في تكييف حياة الامم والشعوب  
فقد اخبرني احد المسافرين القادمين حديثاً من الشرق انه في



اثناء اقامته في بلاد الصين لم يسمع عن حركة قامت في البلاد  
لاجل ترقية اسباب الرفاهية لعامة الشعب إلا وكان منشأها  
بين المرسلين المسيحيين .

اجل ان يسوع المسيح هو القائد ، الغير المنظور الهادي  
الذي قلما يشعر به احد ، لحركة العمال ، او على الاقل لذلك  
القسم من حركة العمال الذي هو ذو فائدة دائمة للانسانية .  
لان منه قد صدرت العقيدة القائلة ، بان كل نفس انسانية لها  
مقامها الضروري في الوجود . ذلك لان تعاليمه قد طهرت  
العالم واستأصلت من عقولهم جرثومة العبودية ، وقضت  
على الاستبداد واستعباد الاسياد لعبيدهم ، واضطرت ذوى  
السيادة من الحكام والسلاطين ان يحسنوا احوال السجون ،  
وطردت من هيكل الحياة غربان القساوه والهمجية التي قد طالما  
عاشت وسمنت على لحوم البؤساء من المساكين والفقراء .  
واننا اذا نظرنا الى الحياة الانسانية على ما هي اليوم من  
الكرامة والاعتبار ، اذا نظرنا الى الايدي العطوفة تمتد الى  
العميان ، والمقعدين ، والعرج ، واذا نظرنا الى الهمجية التي  
سادت على بني الانسان فيما مضى من الازمان نزول رويداً

رويداً ندرك ولا شك ان القوة الفعالة التي احدثت كل هذا  
التقدم العجيب في العالم انما تفيض من قلب هذا الرجل  
المسكين يسوع .

فهو الذي جعل للحياة وجهاً جميلاً يبعث في قلب الناظر  
اليه رجاء سعادة وأمل ، وحل بنسمة من روحه القدسية في  
قلب كل انسان ، فصار الجميع ينظرون بفارغ الصبر الى الزمن  
السعيد الذي يصبح فيه العالم فردوساً علوياً تسود فيه المحبة ،  
وارضاً مقدسة اجدر من هذه الارض المنجسة لسكنى  
ابناء الانسان ،

وفي تلك السنين البعيدة السعيدة ،  
تزهو الزهور معطرة الفضاء بعيرها ،  
ولا يبكي الاولاد سوى دموع قليلة عند موت آبائهم .



## « كما لو »

لست مسيحياً لأنني أعرف أن تاريخ المسيح حقيقي  
بل أنا مسيحي لأن هذا التاريخ يأتي بأثمار نافعة لحياتي عندما  
أتصرف ناظراً إليه « كما لو » كان حقيقياً  
« الحقيقة بنت العمل »

وليم جامس

أقول بملء الصراحة أنني لا أستطيع أن أدعي أنني قد  
بحثت ونقبت عن حقيقة حياة يسوع المسيح فكانت نتيجة  
أبحاثي القناعة بصحة المكتوبات عنه والايمان به من صميم  
قلبي . ولا شك أن القراء الكرام اذا عمدوا الى الصراحة  
المجردة فهم مثلي يعترفون بأنه يندر ان يكون بينهم من درس  
الكتب القديمة ، وقرأ الشهادات الرسمية عن يسوع ثم جاء  
إيمانه بعد ذلك نتيجة لدروسه وبلوغه الى الحقيقة . ولكن  
المسيحية قوة عظيمة في العالم ، والمسيح قائم في قلب الانسانية  
نوراً مُشعماً بالايمان والرجاء والمحبة . أما كيف جاء المسيح  
الى العالم ، أو كيف نشأت المسيحية على التدقيق : فانه ليس في

الالف واحد يعرف ذلك . لاننا اذا قلنا اننا واثقون بأن  
المسيح قد وُجد في العالم حقاً ، فاننا نعني ان لنا إيماناً عظيماً بما  
جاءت به الكتب والتقاليد ودونه المؤرخون والشهود وغيرهم  
ممن وصلت اليها هذه المعرفة بواسطةهم . وان تأملنا بعين  
مجردة في الحقيقة الواحدة لرأينا أن هذا المثل ينطبق على  
كل واحد منا .

وربما آلم قولي هذا الكثيرين من الناس ، ولكنني  
كمسيحي قلما يهمني حدثت حياة المسيح كما دوت في الكتب  
أم لا فللناس حريرتهم أن يصرحوا بأنهم لا يستطيعون أن  
يخلصوا من خطاياهم ما لم يكن هنالك مخلص حقيقي يخلصهم  
من غير أن يزعجوا نفوسهم بالجهاد وراء خلاصهم ، وأنهم  
إذا لم يثقوا بأن يسوع شخص حقيقي وأن قصته ليست  
خرافة من خرافات الاقدمين ، فانهم يشعرون أنهم واهمون  
عبثاً وخادعون لذواتهم

غير انني وأمثال هؤلاء لدى الحقيقة سواء نعمل العمل  
بعينه . فكل واحد منا يتصرف « كمالو » كانت القصة

حقيقية. فنحن واضعون أمامنا تاريخ يسوع قياساً لنا، وبهذا  
القياس يقيس كل منا حياته وأعماله  
ولذلك فإننا لا نعيش في عالم أحلام ، ولا نحن ساعون  
الى بناء صرح شاهق على لا شيء البتة ، بل بالعكس من  
ذلك فنحن نعمل عن فكر وصواب وشعور على نفس الطريقة  
التي نسير عليها في تصرفاتنا في جميع شؤون الحياة وأنواع  
الفكر الانساني .

فالمسيحية إذن قوة عظيمة ، قوة تلطف الاخلاق ،  
وترتب الافكار وتكبح جماح العواطف . وما كان الانسان  
في زمن من الازمان ليستطيع على إدراك جوهر قوة قط  
من قوات الوجود .

والمسيحية شريعة مثل سائر شرائع الطبيعة المقدسة .  
وكل ما نستطيع أن نعمله ازاء أية شريعة من شرائع الطبيعة  
إنما هو التسليم بمضمونها والخضوع لها « كما لو » كانت حقيقة  
منزلة ، والفحص الدقيق عن تأثيرها وعملها في حياتنا  
فنحن لا نعرف ما هي الكهربية، وكل ما نعلم عنها اننا  
نستخدمها في حياتنا ونلاحظ عملها وتأثيرها. فنعرف كيف

تفتح لها الطريق للظهور وكيف تغلق الابواب دونها .  
ونعرف كيف نسيرها على الاسلاك ونبعثها في الفضاء لكي  
نستخرج منها النور ونولد منها القوة . وقد ظهر حتى الآن  
كثيرٌ من الآراء في حقيقتها ، والناس بظنونهم وتصرفاتهم  
« كما لو » كانت هذه الآراء حقيقية قد تم لهم أن ينيروا  
بيوتهم بنورها ، ويسخروا بها الهواء لحمل رسائلهم ، ونقل  
مخاطباتهم واحاديثهم . وها قد مضى علينا زمن ونحن نتصرف  
بهذه القوة في جميع فروعها ومظاهرها حتى صرنا نستطيع  
أن نصرح بملء الثقة بأنها تنفع اذا استعملت كذا وكذا .  
ولكن لم يعرف أحدٌ منا من ذى قبل جميع ما نعرفه الآن  
عن هذه القوة الخفية ، غير اننا بلغنا الى ما نعرفه اليوم عنها  
منذ شرعنا في عملنا « كما لو » كانت حقيقية ، ملاحظين النتائج  
المتعددة الناجمة عنها ومقررين بهذه الطريقة دون غيرها  
الحقيقة التي بلغنا اليها في شأن الكهرباء

وليس في العالم من يعرف ماهية الجاذبية . غير أن أحد  
حكماء القرن السابع عشر قد قرر بعد البحث الدقيق أن اجزاء  
المادة يجذب بعضها بعضاً ، وهكذا تعلم الناس على مرور الزمان

وتعدد الاختبارات أن يستخدموا هذه القوة وقيسوها  
بالموازين .

وفي كتب العلم الشيء الكثير عن شرائع القراية الكيماوية  
وعن مزيج الاوكسيجين والهيدروجين وغيرهما ، وعن  
وجود الجواهر الفرد والا لكترون ، وعن أنواع أصغر  
أجزاء المادة التي يكاد لا يوجد مجهر<sup>ه</sup> ( ميكروسكوب )  
يستطيع أن يهتدى إليها ، وعن حركاتها ومواطنها . وجل<sup>ه</sup>  
الاذكياء من العلماء ، ان لم نقل كلهم ، يصدقون ويؤمنون  
بأن جميع هذه القرارات حقائق راهنة لا تنقض . ولكن  
الطريقة الوحيدة التي أدت بهؤلاء العلماء الى الاقتناع بأن  
هذه المواد كائنة في الوجود على النحو المرقوم إنما هي افتراضهم  
وتسليمهم بأنها حقائق راهنة ومن ثم مراقبة مظاهرها وما  
تأتي به من الثمرات في الحياة

فاذا قلت والحالة هذه اني أتصرف « كما لو » كانت  
الرواية عن يسوع حقيقية وان إيماني يستقر في النتائج الحاصلة  
من هذا التصرف فانما أدقق وأبحث كأعظم الكيماويين  
وأكابر المتخصصين من علماء الكهرباء . لانني لا أبنى إيماني

على أساس من الوهم بل أنا أبنيه على الصخرة الوحيدة التي  
عليها يثبت هيكل الايمان راسخاً لا تؤثر فيه العواصف  
والارياح، على صخرة الاختبار والتعرّف الى حقيقة الاشجار  
من حقيقة الأثمار .

على أن كل عقيدة تبنى على مجرد المعرفة السابقة يمكن  
أن تثبت صحتها أو يظهر بطلانها. لان دعائم منطقنا واهية  
فلا نستطيع أن نعتمد عليها في أية قضية من القضايا الهامة في  
الحياة. ولو أن كل ما يُثبت صحة الدعوة المسيحية منحصر  
في المستندات التاريخية التي ورثناها عن الآباء وبينات  
المنطق التي جاءنا بها علماء الكلام لكان إيماننا بناء متزعزعا  
متقلقلًا . ولكنه لا يستند الى شيء من ذلك . لانه يستند  
على أساس من الصوان الصلد المدعو « كما لو » . وليس هنالك  
من طريقة للمعارض يفسد علينا بها رأينا هذا إلا أن يؤتينا  
بمثل هذه الـ « كما لو » التي نستند نحن عليها ويظهر لنا انها  
تأتي بأثمار أفضل وأشهى من أثمارنا

وقد أصاب وليم جايمس كبد الصواب في تعريفه للحقيقة  
بقوله ، « الحقيقة بنت العمل » . وأوضح ذلك بأوفر صراحة



جون ديوى فى كتابه « تجدد الفلسفة » ، وهو من خيرة  
الكتب الفلسفية التى ظهرت فى الخمسين سنة الاخيرة .  
وخلاصة ابضاحه أن جميع الفلاسفة الذين عاشوا قبل باكون  
قد وقعوا فى غلطة واحدة هي افتراضهم أن الحقيقة شىء ذو  
هيئة ملموسة محدودة ، كقطعة من حجر أو خشب أو غير  
ذلك ، ولذلك كانوا يعتقدون بأنه كان على جميع العقول  
البشرية أن تفتش عن هذه الحقيقة الملموسة ، وكم قضى من  
مئات الفلاسفة والحكماء وهم يبحثون وينقبون عنهم يهتدون  
اليها فتبرهن حقيقة حجج الفلاسفة ونحل جميع مشاكلهم  
وقضاياهم . ولكن ما نسميه بالحقيقة إنما هو نتيجة من نتائج  
اختبار الانسان لما فى الوجود والتوفيق بين اجزائه المتباعدة  
أما قضية القضايا فى حياتى فهى انى أريد أن أصلح  
شخصيتى واستخرج أثمارها . وأشعر بأنه يجب على أن أجد  
النوع الافضل من الحياة واهتدى اذا أمكنتى الى القوة التى  
تهذب الحياة وتجعلها صحيحة قوية . وقد جاءت الي المسيحية  
كمقياس عظيم للحضارة قد خبرته أجيال عظيمة قبل مدة  
تقرب من الالفين سنة ، وهى تُقرب الى اليوم فخورة

باتتصاراتها على الناقدين والمعترضين، غنية بدروسها المستفادة  
من سقطاتها وأغلاطها المدونة في تواريحها . فنهضت من  
غفلتي اجرّبتها في حياتي بعد ان كانت لي أغلاط الماضي مرشداً  
ونذيراً فقلبت النتائج الحسنة المدونة في كتب كياني رأساً على  
عقب، وبعد التجارب العديدة خبرت بذاتي منافعها وتذوقت  
حلاوة أثمارها . واني بعملى هذا أشبه ذلك الذي يرغب في  
أن ينير بيته بالكهرباء ، فيهيء أولاً المعدات اللازمة على نحو  
ما رأى غيره من معارفه يعملون في بيوتهم ، وبعد الفراغ من  
جميع الاستعدادات الضرورية يفتح مفتاح النور فتبدد أنوار  
الكهرباء الظلمة السائدة في بيته

غير أنك اذا قلت لي ان المسيحية تؤثر في حياتك لانك  
تؤمن بأن يسوع قد عاش وهو حي الآن في العالم وان هذا  
الايمان يبعث فيك قوة على الحياة ، وصبراً في احتمال مصيبة  
الموت ، فاني اجيبك على الفور ان لي من عقيدتي نفس  
النتائج التي لك من عقيدتك وان خالفتك في رأيك . غير  
أن الفرق الوحيد بيني وبينك ان ايمانك يدل دلالة خفية على  
أنه اذا أظهر لك أحد فساد مقدماتك فانك تتنازل في الحال

عن التمسك بصحة النتيجة التي تؤمن بها ، لانك تقول ان  
مسيحتك مبنية على الحقائق التاريخية التي تسلمتها ممن  
سبقك من المؤرخين والمؤمنين . ولكن الحقيقة العظيمة التي  
ابني عليها مسيحتي هي ، بالعكس من ذلك ، تنحصر في أن  
حياة يسوع واحدة في العالم منذ لبس فيه جسده حتى اليوم ،  
وانه ما من علم أو فلسفة أو انتقاد للتواريخ التي دونت هذه  
الحياة أو الشهود الذين شهدوا بصحتها يستطيع ان يزحزح  
هذه الحقيقة من مركزها الثابت في فكري ، وان هذه  
الحقيقة تسالحنى بافترض عجيب ، وكل ايماني كائن في اني  
جربت هذا الافتراض في حياتي بخاءني بخير النتائج وأشهى  
الانمار . ولذلك لا أجد وجهاً للجدال والخلاف بيني وبينك  
لان الفرق الرئيسي بين رأيك ورأي انك أنت تضطرب  
وتتألم اذا رأيت أحداً من غير المؤمنين يسعى الى تقويض  
أركان إيمانك ، ولكن أساس إيماني لا يستطيع أحدٌ لا من  
المؤمنين ولا من الكافرين أن يحرك حجراً من أساسه ، وربما  
خييل اليك أن هنالك من يقدر أن يبرهن أن حياة المسيح  
كلها أو جلها خرافة ملفقة لا أصل لها ، ولكن ما من أحد

خارج عن بيت لحم يسوع يستطع أن يبرهن ان حياة المسيح  
قصة كاذبة ، أو أنه ليس لصاحبها من تفوذ في العالم ، مسدلا  
الحجاب على التأثير العجيب الذي أحدثته حياة هذا الرجل  
في العالم ولا تزال تحدثه في كل يوم مسهلة وسائل السعادة  
والعمل الصالح لأبناء الانسان ، وواضحة أفضل النظم  
والترتيبات للتعليم والتهديب ، ومولدة القوة الرئيسية في  
جميع التطورات والانقلابات الاجتماعية ، وقائمة كمنارة  
متألقة بالنور على شواطئ بحر الموت والظلمة حيث لا تستطيع  
حقيقة أو فرض ما أن يظهر ا لعيوننا غير ضباب الشك  
والريبة ، أو أن يجعلنا آذاننا نسمع غير هدير الامواج يحطم  
بعضها بعضاً في الظلمة الابدية



## أنا مسيحي

لان دعوة المسيح موجهة إلى الانسانية عامة  
وليس الى جنس واحد أو أمة واحدة

« إن يسوع هو المعلم الوحيد الذي تناهى  
في طول قامته حتى استطاع أن ينظر الى ما  
فوق الجدران المقسمة البشرية الى أقسام  
متعددة » .

إن يسوع لم يعرف معنى الوطنية التي يتعبد لها الناس  
اليوم . ومع أن العالم ستمرُّ به الوف من السنين بعدُ قبل أن  
يتخلص من خرافة القومية فان عقل يسوع كان نقياً من  
أوهامها بعيداً عن الوقوع في فخاخها واشراكها

ان لكل من الامم مركزها الخاص في تطورات الحياة  
الاجتماعية . فالوطنية أو القومية ضرب من الضروب المصاحبة  
لنظام الاقطاع القديم . وفكرة الامة المنفردة أشبه بالبيت  
المؤلف من أربعة جدران ولكن لا سقف له . لان الانسانية  
لن تنظم أمورها بما يؤول الى سعادتها الكاملة حتى يصير

العالم كله مملكة واحدة لا هم لها سوى توفير أسباب الراحة  
لجميع أبناء الانسان .

أما الحروب المتواصلة التي تقوم في العالم بين الآونة  
والاخرى فهي نتيجة لعبوديتنا المرة لخرافة القومية والوطنية  
القتالة ، ولن تزول هذه الحروب من الارض حتى نؤلف من  
مجموعة الامم التي فيها أمة واحدة . لان العالم المتألف من أمم  
مستقلة بعضها عن بعض إنما هو وكرُّ لزنابير الحروب اللداعة  
وأما العالم الذي تتحد فيه جميع الامم في عصابة واحدة وتُحصرُ  
قوته في هيئة واحدة منتخبة من الجميع لهذه الغاية فهو  
وجود سماوى سعيد تزول منه جميع الحروب وتسود فيه  
المحبة والسلام .

وليس في جميع ما يدور في الاندية السياسية والاجتماعية  
من الابحاث والمناقشات في جمعية الامم اكثر اقناعاً بحقيقتها  
من التأثير الهادىء الذى لم يفهُ به أحدٌ بعدُ، الكائن في اعماق  
روح ومبادئ يسوع المسيح . واننى لو اثق بأن هذا التأثير  
سيكون له فعله في حينه

فان يسوع هو المعلم الوحيد الذي تنهى في طول قامته  
حتى استطاع أن ينظر الى ما فوق الجدران التي قسمت  
الجنس البشري الى أقسام متعددة . فقد ادرك أنه ما من  
نظام أدبي يستطيع أن يثبت في العالم ما لم يكن شاملا لجميع أفراد  
الجنس البشري . ولذلك لم يقيد دياناته بقيد من القيود قط ،  
فهي انكوسكسونية كما هي يابانية ، وفرنسية أو المانية كما  
هي أفريقية أو عربية . وبعبارة بسيطة فهي ديانة انسانية  
جامعة .

وانني كلما تقدمت في الايام واكثرت من الاسفار  
وتعرفت الى سائر أمم الارض ، وأمعنت النظر في ما يبذلونه  
من الجهود وما تقوم بينهم من المنازعات والخصومات ،  
وخبرت حياتهم وأفكارهم ، ازدادت ثقة بأن شر هرطقة بين  
جميع الهرطقات انما هي هرطقة القائلين بتقسيم الارض الى  
ولايات ومقاطعات مستقلة بعضها عن بعض

لان كل أمة أو طائفة أو جمعية من الناس تعتقد بأنها  
هي الامة أو الطائفة أو الجمعية المختارة للسيادة على جميع الناس

وان كل من في العالم من الامم انما خلقوا ليكونوا لها عبيداً  
أرقاء يأتمرون بأوامرها ويخضعون لذات سلطانها - انما تقضى  
بيدها على السلام والمحبة وتزرع بغيرستها بذور الشقاق  
والحرب في العالم. والنتيجة التي لا بد منها لمثل هذه العطرسة  
الفكرية ظاهرة أمام المعتبرين من المفكرين في الثورة الفرنسية  
وفي جنون الامة الالمانية الذي أدى الى الحرب العالمية، وفي  
سقوط القيصر الروسي وظهور البلشفية التي طغت أمواجهما  
الحمراء ففقت على الامة الروسية، وفي أمثال ذلك من  
الحوادث المزعجة لراحة العالم

بيد ان المسيحية حينما انتشرت قد اندست فيها شياطين  
التحزب والتفريق فجعلتها ويا للأسف هزءً وسخرية فالمسيحية  
التي انتشرت في أوروبا وعمت جميع أنحاءها لم تبق نمت من  
فرق قط بين طقوسها وطقوس البوذية في آسيا. والمسيحية  
التي تدين بها الكنيسة الاسقفية في انكثرا وما فيها من  
الادعاء بالتقدم والصدارة والروح الرومانية المفرقة قلما تلد  
إلا الذين ترعرعوا في مبادئها الخصوصية النامية عن أنانية  
وصلف وغرور. والحياة الدينية في الكنائس البروتستانتية في



الولايات المتحدة الاميركية ممتلئة من الغرابة والسخرية في  
فروضها وطقوسها . والبصائر اليوم متجهة كلها شطر الشرق  
الاقصى اترى ماذا سيكون من أمر المسيحية اذا سادت فيه  
ولعلمها تقبس منه شيئاً من التجدد في حياتها يحتفظ بالبقية  
الباقية منها بعدما ألمَّ بها من طلائع الاختناق في فضاء الغرب  
السام . وجل ما أودُّ ان أقوله في هذا الموضوع ان المسيحية  
لا تستطيع ان تحافظ على عبقريتها ويكون لها التأثير الفعال  
في قيادة الانسانية الى فردوس السعادة والطمأنينة ما لم تكن  
عامة جامعة ، واحدة بمبادئها الاساسية للعبد وللإبيض على  
السواء ، لهذه الامة أو لتلك المدينة كما هي لغيرهما ، وأى  
نوع كان من الافراد بطائفة أو الاختصاص بجنس دون غيره  
انما يقيد المسيحية ويفسد الغاية الطاهرة منها . ولذلك فالمسيحية  
لا تستطيع أن تظل صحيحة كما وضعها يسوع ما لم تكن واحدة  
جامعة لسائر أبناء الانسان في جميع أنحاء هذا الكيان



## أنا مسيحي

لان تعاليم يسوع صالحة لجميع الأمم

« ان يسوع هو المعلم الاعظم في صناعة تقدم  
العالم وراحته . وهو وحده من بين جميع المعلمين  
قد رأى الشرائع العظيمة التي يجدر بالناس  
أن يحفظوها في المجتمع الانساني . »

أنا مسيحي لان تعاليم يسوع هي تعاليم المعلم الوحيد  
في العالم الذي يقدم بالنظام الذي رسمه للحياة سبيلا عاما  
يستطيع كل من يسير عليه ان يبلغ الى النجاح كائننا من كان .  
فهو لا يعلمني كيف انتفع على حساب غيري من الناس ، بل  
يوضح لي كيف استفيد في حياتي بصورة تتساوى فيها المنفعة  
بينى وبين جميع البشر على السواء ، فيكون لي ما ارغب فيه  
ويكونوا جميعهم راضين فرحين .

وقد أوضح الفيلسوف كانت ما ينطبق على عقيدة يسوع  
بما ملخصه ، اننا يجب ان نتصرف في حياتنا كما يخيل الينا ان  
جميع الناس لو كانوا في مركزنا يتصرفون مثلنا . يعنى ان

الامتحان الادبي الذي يظهر برّنا في ايّ شأن من شؤون الحياة انما يتم بالتصور ان جميع الناس يعملون نفس ما نعمله نحن . وما الاشك فيه انه لو اقتفى كل انسان مثل يسوع في حياته وتبع تعاليمه لزالّت جميع متاعب الانسانية ولم يبق من أثر لاجاعها ومصائبها . بل لو اتبع تعاليم يسوع السامية نفر قليل من اية امة او جمعية كانت لكان ذلك النفر خميرة تخمر عجين الامة كلها .

ولو اتخذت ممالك العالم تعاليم يسوع ومبادئه نبراسا يضيء ظلمتها وقائدا يقودها الى مراعي الأمن والطمأنينة لما رأينا حربا تقوم في الارض لشقاء ابناء الارض ، ولا ارتفعت اثقال الديون والضرائب عن كواهل الافراد والجماعات ولعمّت السعادة والرفاهية سائر ابناء الانسان . اجل ، ليس في العالم من ينكر هذه الحقيقة الناصعة . ولكن ما من امة من الأمم اليوم قد جعلت تعاليم يسوع اساسا لبنيناتها . لانها بجماعها مبنية على الغرور والانخداع بالقوة العمياء . غير ان السبب الوحيد الذي لاجله لم تتخذ امة من الامم مبادئ يسوع قاعدة لاعمالتها هو أن جميع الامم الاخرى لم تفعل

ذلك . ولم تسعد أمة ما بقدر من الحكمة والفتنة لتقدم بجرأة على هذا العمل الحيوي . وقلَّ في العالم من ينظر في أن المبادئ المضادة للمسيحية التي تبني عليها صروح جميع الأمم والشعوب قد ظهرت بأسرها مشومة ولم تنتج سوى الخراب والدمار في جميع ادوار التاريخ ، فاننا ما برحنا نؤمن بالشرير ونلحق به لاننا أطفال في فكرتنا نرتجف خوفاً من الشرير وصنائه فنبتعه مُرغمين . ولكن متى بلغ العالم رشده ونضجت فكرته الى حدٍ تدرك معه الحكمة البالغة في المبادئ المسيحية فينشد سينظر بعين حزينة الى جيلنا الحاضر وتأخذ الدهشة بمجامع قلبه إذ يرى طول العهد الذي مضى على الأمم والشعوب وهم يتمرغون في حمأة المهجية .

وهل هنالك من يشك أو تعتربه أقل ريبة في أنه لو اتخذت مبادئ يسوع نظاماً في بيوت الصناعة الحديثة لما كان العالم يسمع بما نسمع به من الاعتصابات والاضراب عن العمل الذي نشاهده بين جماعات العمال في عصرنا الحاضر . وانه لمن غريب الامور أن نلاحظ التشويش والاضطراب سائدين في اعمالنا لاننا قد رفضنا الانقياد للنظام المسيحي فيها ، في

حين أن خضوعنا لهذا النظام هو الطريق لحياتنا وسلامتنا .  
ولو نظر أحد أبناء المريخ الى أرضنا هذه لساءل نفسه  
مستغرباً ، لماذا لا يجرب أبناء هذا العالم النظام الذي قدمه  
لهم يسوع لمدة خمس سنوات على الاقل ويحكمون عليه من  
نتائجه . فان صلحت به حالهم ، وهذه حقيقة ما سيكون ،  
تبعوه ، والا عادوا الى ما كانوا عليه

أجل ، ولو اتخذت العائلة برنامج يسوع دستوراً لها ،  
لزال في الحال انقساماتها واضمحلت خصوماتها ، وانزوت  
فاجعاتها في زاوية النسيان ، ولطويت خيام الاهتمامات العالمية  
التي تكدر صفو راحتها ، كما تطوى خيام البدو في الصحراء ،  
وانسلت خلسة من هيكل العائلة

ولو اقتفى كل انسان خطوات المعلم الصالح لتعال  
أناشيد السعادة من أفواه الجميع ، ولاندثرت أشواك العقوبات  
بل ولاندكت أساسات السجون ولم يبق من أثر حتى ولا  
لتوبيخ الضمير .

إن يسوع هو الامام الاكبر في صناعة تقدم العالم وراحته  
وهو وحده بين جميع المعلمين قد رأى الشرائع العظيمة التي

يجدر بأبناء آدم أن يحتفظوا بها في المجتمع الانساني . ولكن  
حكمته البالغة سواءً عندها عمل الناس بها أم رفضوها ، لان  
كل من يعمل بها انما تعود المنفعة منها له فتصلح بها حاله وحال  
المحيط الذي يعيش فيه

وها قد مرّ على العالم نحو من ألفي سنة بعد أن أشرقت  
فيه انوار المبادئ المسيحية وهو يجاهد ويدرس ما ورثه عن  
العالم القديم من النظم والشرائع رجاء أن يكون له منها التقدم  
والراحة في علاقة أفرادهم بعضهم ببعض ، وقد رأى أن جميع  
المبادئ التي جربها قد ظهرت عقيمة باطلة . وان ما من تعليم  
يبلغ به الى ضالته المنشودة سوى تعليم المعلم الصالح  
فقد جربت الانسانية نظام السيد والعبد ، ولكن  
العبودية لم تنتج سوى الدماء المهرقة ظلماً . وقد جربت نظام  
الحاكم والمحكوم ، ولكن حكام الارض قد تدرجت تيجانهم  
وثقت عروشهم بعضهم وراء بعض . وجربت نظام رب المال  
والعامل بالاجرة ، ولكنها فشلت وذهبت اتعابها أدراج  
الرياح ، لان هذا النظام تتوقف سلامته على ايجاد موازنة  
بين قوتين هائلتين من قوات محبة الذات ، الموازنة التي هي

أمنع من عقاب الجو . ثم جربت النظريات الاشتراكية المتضاربة ، فدعتها بالاشتراكية ، والبلشفية ، والكومسيونية وأمثالها مما لم يأت بحلٍ مرضٍ للقضايا الانسانية الا في بعض أجزاء المادة التافهة .

ولم تكن في نظام من هذه النظم قوة مهما كانت حقيرة للاصلاح الا وكانت مستمدة من نظام يسوع . وحيثما عمد الناس الى تجربة نظام يسوع بأمانة واخلاص فقد حصدوا منه أثماراً صالحة وما أبسط هذا النظام : ان البشر لا يمكن ان تصلح حالهم وتستقيم أمورهم ما لم ينظروا بعضهم الى بعض كأخوة اشقاء لاب واحد وهو الله  
وهل في العالم معلمٌ أجدر بان يكون معلماً لنا من هذا المعلم البالغ الحكمة والمعرفة



## أنا مسيحي

لان المسيحية هي القوة الوحيدة في الارض اليوم  
التي تعدُّنا بوحدة العالم في مملكة واحدة

« اننى أوضح بملء الاخلاص اننى لا أرى  
من رجاء للانسانية الا بانتشار مبادئ يسوع  
بين جميع الناس »

ان وحدة العالم في مملكة واحدة ضرورية جداً لحفظه  
من التوال والاضمحلال فان النظام الحاضر نظام الوطنية  
الفردية ، إن لم يتحول الى نظام دولى عام يشمل الامم بأسرها  
سيولد ولاشك حرباً ضرورياً أشدَّ هولاً ورعباً من الحرب  
الكبرى بما لاحد له .

وأفضل ما استطيع أن أقدمه من الأدلة على صدق قولى  
كتاب بعث به شارل وود الى جريدة نيو يورك وارلد المشهورة  
فقد قامت في نيو يورك مباحثة عامة في عمل المرسلين  
المسيحيين في الشرق على اثر تمثيل فصول مجونية على مسارح



نيويورك تحت عنوان «راين» ، بقصد الهزء والسخرية من المرسلين ، فتناولات اقلام الكتاب من دينيين وغير دينيين البحث في الموضوع من جميع ابوابه . وفي تلك الاثناء ظهرت الرسالة التالية التي نقلها للقراء كشاهد في موضوعنا الحاضر . قال الكاتب :

« ان الدفاع عن المرسلين هو أشبه بالدفاع عن الاشتراكيين او الاميركيين او النساء . فكما قلت كلمة فيهم ينبرى لك معارض بحجة انه يعرف واحداً منهم لا ينطبق عليه كلامك . ولذلك فاني لا اقصد ان اقدم دفاعاً عن المرسلين بهذا المقال . ولكنني اعرف نحو مئة مرسل معرفة حقيقية : واكثر هؤلاء أميركيون يروتستانت وكلهم يعملون في بلاد الصين .

« أنا لست مسيحياً ، بل أنا بعيد عن الكنيسة بمقدار ما يستطيع الانسان أن يتعد عنها ، ولكنني أستطيع أن أقول ان هؤلاء المئة مرسل الذين عرفتهم هم في عقيدتي أفضل جماعة من البشر العاملين على نفع الانسانية وترقية شؤونها — الذين عرفتهم في جميع أدوار حياتي .

« بيد أنهم ليسوا كلهم متساوين في العمل . فان فريقاً منهم يعتقدون بأن واجب رسالتهم في هذه الحياة يقضى عليهم بأن يعلموا الصينيين طريقة جديدة يستطيعون بواسطتها أن يحصلوا على مغفرة خطاياهم .

« وفريق آخر آثروا على نفوسهم أن يعلموا أبناء الصين ماهو في عقيدتهم المثال الاعلى للآداب . غير ان الاكثريه الساحقة من هؤلاء المرسلين قلما يعيرون التفاتاً للاهوت النظري أو لفروع الفلسفة الاديبية ، ولكنهم يعتقدون بأنهم يقيمون في الصين لانه هنالك قد توفرت لهم الفرصة ليعيشوا حياة مملوءة بالخدمة والتضحية في سبيل منفعة الآخرين ، وهم ، الرجال منهم والنساء ، لا يشربون مسكراً ولا يدخنون ولا يعرفون المقاهي ولا المقاصف ، ولكنهم لا يحسبون لا نفسهم أقل فضيلة في أمثال هذه الامانات التي يقومون بها .

« فهم يحبون الصينيين : وأعظم ملذة يتلذذون بها ، بل هي افضل في عقيدتهم من بيع ملايين العالم ، انما تم لهم عندما يستطيعون أن يحضروا ولداً يتجا الى مدارسهم ليعلموه ،

أو عند ما يتاح لهم أن يساعدوا عائلة صينية فقيرة على كسوة  
أولادها واطعامهم لكي يسيروا في الساحات ويلعبوا مع  
رفقاتهم ويرقصوا إذا شاؤوا فرحين .

« أما السياح الذين يقصدون الصين والغرباء الذين  
لا عمل لهم فيها ، وهم ينظرون الى الوقت كعدو لدود يودون  
قتله كيفما تقلبت الظروف ، فانهم قلما يدركون حقيقة اعمال  
هؤلاء المرسلين ، وكثيراً ما ينظرون اليهم نظرة هزؤ واحتقار  
بل قد طالما حدثني الكثيرون منهم بأنهم لم يقدرُوا أن يحدثوا  
واحداً منهم . وليس هذا بالغريب على من له أقل إلمام بما يلذ  
للسياح أن يتحدثوا به .

« على اننى لا استغرب ان ارى سهام النقد موجهة الى  
المرسلين من ذوي السيادة على مصالح العالم كما هي بحالتها  
الحاضرة فان المرسل مضطر بواجب الخضوع للمباديء التي  
يُبدَّر بها ان يكون اول الثائرين . فهو لا يؤمن بالوطنية  
الضيقة او القومية المحدودة لانه واحد من المؤمنين بملكوت  
السماء على الارض . كلا ، ولا يستطيع المرسل المسيحي ان  
يتقيد بنظمنا وشرائعنا ، لانه يؤمن بأن عالم المال سيندثر مع

ر به مَمُون ولا يستطيع أن ينسأدى بأعلى صوته بالثورة على  
شرائعنا احتراماً لايمان آباءنا .

« وبعبارة أخرى ، إن المرسل الحق هو مشاغب أجنبي  
وليس غريباً أن يُضطهد ويحكم عليه كما يحكم على كل أجنبي  
مشاغب في هذه البلاد — ويحمل عليه المتهمسون للوطنية  
والتعصبات الدينية والغايات الذاتية لكي يكفوا افواهنا عن  
اقتفاء مثاله في انتقاد النظم التي رسمها لنا جدودنا الاطهار  
» ولي كلمة أخرى أود أن أقولها في هذا الموضوع ولو  
أطلت الشرح على القراء . ان العالم اليوم في أقصى حالات  
الاضطراب . لان الحرب التي ثارت نيرانها في العالم رجاء  
أن تضع حداً معقولاً ينتهي عنده كل شيء في العالم أضرت  
أضعاف أضعاف ما تقعت . فقد زاد شر التعصب في الناس  
كلُّ لوطنه ، وتعاضم التزاحم على الاسواق التجارية في العالم .  
وكل أمة تبذل اليوم جهدها لكي تضع العراقيل في طريق  
تجارة غيرها من الامم بالرسوم الجمركية الباهظة والاتفاقات  
الخصوصية الخ . وبكلمة وجيزة ، ان الحرب لا تزال مشتعلة  
نارها حتى الآن . ولذلك فإنا لم نلجأ الى برنامج جديد أصليح

لنا من البرنامج الذي عندنا لتوحيد رغبات العالم في كتلة واحدة فاننا عاجلا أو آجلا سيفنى بعضنا بعضاً .

« أما البرنامج العملي الوحيد الذي أعرفه فهو ذلك البرنامج الذي يُعمل به في بلاد الصين . لان الصين هي أقل جميع الامم الكبيرة في الارض اهتماماً بالتعصب لوطنيتها أو قوميتها . وربما كانت هذه البلاد في مقدمة أمم الارض رقياً حقيقياً فليس فيها من أثر لغول الصناعة الحديثة ولا للمدينة الحديثة . وفي مثل هذا المحيط يبشر المرسلون الاميركيون بيشارة الاتحاد لاجل الخدمة عوضاً من الاتحاد لاجل المنافع التجارية . وهم لا يبشرون بهذه الحقيقة فحسب ، بل يمارسونها بأعمالهم . وما أجمل النتائج التي تأتي بها .

« لأجل ذلك . فانهؤلاء المرسلين هم أقرب الى الشعب الصيني من جميع الغرباء القاطنين في بلاد الصين ، وهم لم يحصلوا على هذا المركز بتبشيرهم فقط ، بل انما حصلوا عليه بمثالهم وسيرتهم . أجل ، قد حصلوا عليه بخدماتهم — بوضعهم تعاليم يسوع الاجتماعية في موضع العمل بقطع النظر عن الطريقة التي يفضل هذا أن يتخذها له واسطة لمغفرة خطاياهم

دون ذلك . وهم يبشرون بهذه البشارة جاعلينها دستورا  
للوحدة العالمية المنشودة .

« أنا لست مسيحياً من الوجهة اللاهوتية أو التقليدية  
والطائفية . ولكنني لواقف بأن العالم يجب أن يتحد بأسره  
على هذا المبدأ ، وانني أعتقد بأن المرسلين الاميركيين في الصين  
يحملون بأيديهم مفاتيح الفداء الوحيد للعالم . وحبذا لو تفهم  
أميركا هذه الحقيقة فتعضد هؤلاء المرسلين ليكون لها الفضل  
في ازالة جميع الحروب . »

انني عضو في المجتمع الانساني ، وأحد أبناء هذا العالم ،  
وفرد من سكان الولايات المتحدة الاميركية . ولذلك يهمني  
مستقبل الثلاثة معا . وأوضح بكل ما في قلبي من الاخلاص  
انه ليس للانسانية رجاء إلا في انتشار مباديء يسوع المسيح .  
ان وُدرو ويلسون ، ووازن هاردينغ ، قد كان كل منهما  
رئيسا للولايات المتحدة ، وهما شاهدان عظامان قد صرّحا  
على رؤوس الاشهاد بما ملخصه ، ان أعظم قوة عاملة على  
تهذيب الامم ونجاحها ، وسعادة الجنس البشري وراحته انما  
هي كائنة في انتشار الايمان والعمل بمباديء يسوع المسيح .

بيد ان هذا الموضوع الذي نحن في صددده ليس من  
المواضيع التي تفصل بنقل أقوال الثقات فحسب ، بل ان  
البصيرة العامة في جميع الناس تدلنا على ان كل قوة عظيمة  
هى ضارّة اذا لم يصحبها ما يتسلط عليها ويكبح جماحها من  
قوى الفكر المدركة المميزه غمها من سميتها وجميلها من دميمها .  
وان قوة الانسان تتضاعف في كل يوم بطريقة عجيبة  
لانا قد قويننا ساعدى الانسان الى درجة هائلة بخطواتنا الواسعة  
في السبيل العلمية ، وبما أضفناه الى عالم الاختراع ونضيفه في  
كل يوم من مئآت الاختراعات .

ولذلك يجدر بنا أن نقوي في الوقت ذاته القوة العقلية  
التي تتسلط على هذين الساعدين وتديرهما في السبيل القويمة  
وإلا فاننا نكون قد جنينا على أنفسنا بخلقنا جباراً يعمل على  
خرا بنا وهلاكنا .

وقد قال الدكتور كولندوال في كتابه الحديث ، « العلم  
يجدد بناء العالم ، » ما يأتى :

« ان المعرفة العلمية ، والمناهج والاختصاصات العلمية  
الحديثة قد بلغت الى درجة صارت الجهالة معها خطراً على

صاحبها بل خراباً وموتاً في أكثر الاحيان . فالطيارات التي  
ربحت الحرب قد اختطفت حياة الكثيرين من الذين كانوا  
يواظبون على العمل فيها. والغاز السام وغيره من الاختراعات  
الحربية لنا من مجرد ذكر اسمها ما يرعبنا ويكفينا مؤونة  
الايضاح عما بلغ اليه الانسان من الاكتشافات الجهنمية  
المهلكة . لانه لو قدر لاحد المتخصصين في الكيمياء التحليلية  
أن يكتشف كيف يمكن أن تحلل قوات كهربائية فوق أرض  
مساحتها عشرون ميلاً مربعاً بصورة تنفجر معها جميع  
الالكترونات المحتوية على البروتو بلاسم الانسانية، فانه ليس  
من مصلحة أمة من الامم أن تأذن باستعمال مثل هذا الاختراع  
الشيطاني . ولذلك أقول ان الجاهل لاسرار العلم في هذا  
العصر من الامم لن تقوم له قائمة في مستقبل الايام . بيد  
أن المعرفة الحقيقية تحمل صاحبها مسؤوليات كبرى . وفي  
مقدمة هذه المسؤوليات أهمية — وهي المسؤولية التي يكون  
العلم الحديث خطراً على الانسانية بدونها — ان المبادئ  
الادبية والسيادة الفكرية يجب أن تنمو جنباً الى جنب وأن  
تكون قائدة للمعرفة العلمية «



وخلاصة ما تقدم أن الرقي الانساني هو سباق بين  
التهذيب والمصائب . والجنس البشري سائر ولا شك الى  
الاضمحلال اذا لم تتسلط فيه القوى الادبية على القوى  
المادية والعقلية ،

وليس هذا بخيال أو وهم لانني كما أنا واثق بان ستشرق  
الشمس في صباح الغد كذلك أقول ان حرباً أخرى أشدهوؤلاء  
من الحرب الماضية قادمة على الانسانية بخيلها ورجلها وستفوق  
بأهوالها وفضائنها جميع ما تقدمها من الحروب

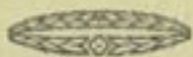
لانا جميعنا نصدق أن الشمس ستشرق في الغد لانها  
منذ أبصرنا نورها وهي تشرق في كل صباح من غير تغيير  
قط . وكل من له أقل الملم بالتاريخ يعرف ان النظام السائد  
في الحكومات الحاضرة قد كان ينتج الحرب بعد الحرب في  
أوقات مختلفة كلما سنحت له الفرصة ، وانما أعنى بذلك ان  
الحرب كانت تقوم كلما توفر لدى الامم من المال والرجال قدر  
كاف لاشعال نيرانها .

ولا أعرف في العالم قوة أدبية تستطيع ان ترغم الامم

على تأليف عصابة واحدة لاستئصال الحروب مثل القوة المسيحية  
غير أن التاريخ لم يشهد من كنائس يسوع المسيح  
اعراضا عن القيام بالواجب ، وضعفا ممتلئا من روح الجريمة  
الكبرى كما شاهد في خيبتهم وعدم اتفاق كلمتهم على عضد  
جمعية الامم بكل ما أوتوه من شجاعة وقوة لمنع الحروب  
بالطريقة الوحيدة الممكنة في العالم اليوم ، وليس في الوجود  
من قوة تستطيع على ايجاد الشعور العام وتدريبه في الصدور  
بطريقة تضطر الامم ان تعدل عن نظامها الحاضر الذي يدور  
على محور الاستعداد للحرب ، والتنظيم في المملكة لاجل  
الحرب ، واثارة نيران الحرب - غير روح يسوع المسيح وانتشار  
الايمان بالحق الذي جاء به الى العالم في جميع الاقطار والامصار  
ان الحياة معالم لا تعرف الرأفة سبيلا الى قلبه . وكل  
ما أراه في العالم اليوم يدلني على أن الحياة قد أرغمها سلوكنا  
فغزمت مضطرة ان تمحو عن وجه الارض القسم الاكبر  
مما نسميه مدنية لكي تعلم العالم الدرس الذي لم يقدر أن يتعلموه  
بغير هذه الطريقة : وهو ان النهاية التي لا بد منها للاعتماد  
على القوة العنيفة انما هي في الدمار والفوضى

لانه في الحرب القادمة لن تتحارب الجيوش على الحدود  
كما كانت العادة فيما مضى من الحروب ، بل ستكون الحرب  
ساحة عراك هائلة بين الطائرات والغازات السامة ، ولن  
تكتفي بأن ينتصر فريق على فريق فيحتل أرضه ويمتلك  
أملاكه بل ستؤول الى استئصال الملايين من أبناء الانسان  
وخصوصاً القاطنين في المدن الكبيرة .

ان بشارة يسوع تبدو للناظر اليها رقيقة لذيذة ، ولكن  
حلاوتها الحقيقية كائنة في انها تحجب شراسة الانياب والمخالب .  
يبد ان المعجبين والخبثاء والصّليبين من بني الانسان وإن ضحكوا  
من الوصايا المسيحية الآمرة بالمحبة والاخوة والتعاضد  
والمساعدة للمحتاجين ، فانهم عاجلا أو آجلا سيجدون أن  
احتقار هذه الوصايا انما يؤدي الى جحيم في هذه الحياة ،  
ولا فرق عقبه جحيم في الحياة الثانية أم لا فهو كاف لهم بذاته  
لاجل ذلك أنا مسيحي ، لانني واثق في أعماق قلبي بأن  
أمام العالم احدي طريقين : فاما إطاعة حكمة يسوع أو طرح  
جميع ثمرات المدنية الحاضرة في قعر الهاوية



## أنا مسيحي

لاني أعتقد بأن يسوع هو أنضج فكراً

من جميع معلمي الانسانية

— — —

« ان يسوع في عقيدتي هو المفكر الوحيد  
العظيم الذي كمل نضج فكره . »

ان يسوع في عقيدتي هو المفكر الوحيد الذي كمل  
نضج فكره . وهو وحده من بين جميع معلمي الانسانية قد  
خلع عنه كل ما في عدم الكمال من النقص والضلال .

وقد خطا أمام جميع المفكرين العظام خطوات واسعة  
حتى ان يحلم انسان باللاحاق به . ولذلك فاننا لانستطيع أن  
ننظر اليه كدعامة من دعائم الماضي فقط بل يجدر بنا أن ننظر  
اليه كمنارة يفيض النور من جوانبها على شواطئ المستقبل  
فيبدد كل ما يسود فيه من الظلمة المدلهمة . كلا ، ولانحن نبداً  
مسيرنا من حيثما هو لاننا اليه سائرون . أما تشبيهه « بأساس  
الكنيسة » فليس بالتشبيه البالغ الجمال ، لان الكنيسة أقرب

أن تكون شجرة متجددة من أن تكون بناية ثابتة لا تتغير .  
فهي تنمو كالشجرة وتنزع عنها أغصانها اليابسة وتخرج لنفسها  
براعم جديدة . واني أحب الصورة المرشمة في الآية ، « أنا  
الكرمة ، وأنتم الاغصان » ، اكثر من الآية ، « على هذه  
الصخرة أبني كنيتي » ،

ان عقل الولد يغافه الغرور ويحيط به الانخداع . فهو  
يعتقد بأن الارض مسطحة بانياً اعتقاده على أفضل الادلة ،  
وهو الدليل الذي كثيراً ما نعتمد عليه ، — دليل الشعور العام  
الذي يظهر لنا ان الارض مسطحة .

فيقول في ذاته ، « وهل يمكن أن تكون غير ذلك ؟  
انظر اليها ! — كل انسان يقدر أن يرى انها مسطحة . فأنا  
أستطيع أن أركض على سطحها ، من غير أن أصعد الى جبل  
أو أتدهور الى منحدر . والسيارات تسير عليها مثلي . فلو  
كانت مدورة لتدهورت ولتدهورت السيارات عن سطحها  
في الحال . »

وان هذا لدليل ممتاز وبرهان واضح . ولكن فيه نقصا  
واحداً : وهو انه كاذب ، وليس بين البالغين من يصدقه .

فاننا جميعنا نعرف ان الارض مستديرة مثل الكرة  
ولكن ليس بيننا من اهتدى الى هذه الحقيقة بذاته .  
فان شخصاً ثالثاً قد أخبرك وأخبرني . وهذا الثالث هو التربية  
لان التربية تقوم باصلاح أغلاط الشعور العام .  
فالولد والبربري يعتقدان بأن الشمس تدور حول الارض  
وهما يبنيان هذه العقيدة على أساس الشعور العام . فكل انسان  
ينظر الشمس تشرق في الصباح ، ثم لا تلبث أن تكمل دورتها  
في السماء وعند المساء تغيب متوارية عنا . وهذا يؤيد الحقيقة  
الظاهرة التي يتمسك بها الولد والبربري والخطأ كل الخطأ انما  
هو كائن في الشعور الذي يدفع بهما الى هذا الاعتقاد . غير  
اننا عند ما نذهب الى المدرسة نتعلم ان الشمس لا تدور حول  
الارض ولكنها ثابتة لا تتحرك في حين ان الارض هي التي  
تدور حولها .

وانما قدمت هذه الأمثال البسيطة لانها خير أمثلة على  
الانخداع والوهم اللذين يستوليان على أذهان الناس فيسيرانهم  
حيثما أرادا . ومن هذه الاوهام الروحية تأتي جميع مصائبنا .  
ففي العائلة اضطراب ، وبين الاصدقاء والجيران شقاق

وخصام ، والحروب سائدة في جميع الامم ، وكل ذلك لاننا  
لا نبصر نور الحقيقة . أجل ، اننا عميان نتلمس طريقنا في  
الظلمة الخالكة . ولذلك يلطم بعضنا بعضاً ، ويجرح بعضنا  
بعضاً ، بل ويقتل بعضنا بعضاً .

وانني أستطيع أن أقول اننا لو كنا نبصر جيداً في جميع  
أعمالنا لكان القسم الاكبر من أوجاعنا يتلاشى ولا يبقى له  
أثر على الأرض .

فان الانسانية لاتألم من ان طبيعتها شريرة أو شيطانية  
مثلما تتألم من جفاجة فكرها وصغارة عقلها . لانها لاتزال  
طفلة في مهدها . وهي تتصرف تصرف حماقة وغباوة لانها  
لا تعرف أكثر من ذلك .

لان الخليع والسكر والفاسد ، والفاجر المستسلم  
لشهواته لا ينحصر شرهم في خباثتهم وتهتكهم كما في انهم  
أوعية جامدة قد أقفلت أفواهها فلم يبق من نمة أمل بتنظيفها  
فهم يعتقدون بأن الملذات التي تمتعهم بها شهواتهم برهة من  
الزمن هي كل ما يقدر على الحصول عليه في حياتهم . فهم  
كالاولاد الذين يفرطون في الشراهة والنهم في اكل الحلويات

فتكون النتيجة الضعف والمرض . وكل ما يحتاجون اليه هو  
المعرفة

والذين يخيل اليهم انهم تعساء ، وانهم مصابون بمرض  
عضال ، وهم أبداً متدمرون متمرمرون لا ترضيهم حالة من  
حالات الحياة ، فهم في صف الواهين المنخدعين . وهم أشبه  
بالاولاد الفاسدين الذين ليس لهم شعورٌ كاف يدربون به  
ذواتهم للخروج من أحوال الظلمة والشقاء الذاتي . فالطريق  
سهلة ولكنهم لا يستطيعون أن يبصروها .

ومثل هذا يجري مع أكثر الناس بوجهة نسبية .  
فالامم في حرب دائمة . وهم أبداً يئنون تحت أثقال الضرائب  
وخسائر الحروب الفادحة . وكل ما يكابدونه من الآلام انما  
هو نتيجة طفولة عقولهم الغير الناضجة . فانهم لا يستطيعون  
أن يبصروا الحكمة البالغة الكائنة في التعاضد والتآلف .

اما الروح الوطنية فعوضاً عن ان تكون رغبةً نبيلة  
تحتاج بها صدور الامم للعمل كل لاجل مساعدة بلاده  
وطماً نينة القاطنين فيها ولاجل تهيئة بلاده لخدمة العالم خدمة  
نصوحة صالحة ، فهي متجسدة في اكثر العقول بشكل كريمة



محموت لا يوحى سوى محبة الخصام والبغض والرغبة في  
السيادة على الغير واحتلال بلادهم . ولذلك فإن العالم يدبُّ على  
الأرض كأنما هو طفل صغير بدأ للمرة الأولى يتعلم كيف  
يمشى على الأرض .

وليس في جميع تعاليم الحكماء والفلاسفة الذين نبغوا  
في العالم ما ينزع هذه الغشاوة عن عيوننا لكي ننظر الحقيقة  
من وراء ضباب الاوهام المتسلطة على أذهاننا سوى تعاليم  
يسوع الذي يستطيع وحده ان ينعشنا ويحيي الميت من  
آمالنا ، لنعيش عمرنا بطمأنينة وقناعة .

وهأنحن موضوعون فيما يأتي من الفصول بعض العناصر  
الرئيسية من تعاليم يسوع ومثاله التي تظهر كمال فكره ونضج  
ذهنه وكيف انه لم يكتف باستيعاب الاوهام المتحكمة في  
الانسانية وادراك كنهها بل ادراك الحقائق الازلية التي تتلمس  
الانسانية اليوم طريقها اليها لترُمقها ولو بطرف عينها .

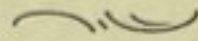


اننى باقتفائى لخطوات يسوع  
انما انقذ نفسى من الاوهام العظيمة  
التي ذهبت ببصر الانسانية وبصيرتها؛



## الوهم

في ان الطبيعة البشرية شريرة



« ليست مصيبة الانسانية في انها شريرة »  
« بل المصيبة كل المصيبة انها غير بالغة . »  
« ان العالم الذي احبه الله لم يكن مسيحياً »  
« بل كان مؤلفاً من مخلوقات بشرية »  
« ساذجة . وقد احبهم الله وظن ان »  
« لهم من الفهم كفاية ليفهموا اقواله »  
« وهكذا افعل انا . »

ان الرأي الغالب في العالم ان البشر أشرار بطبيعتهم .  
والعقيدة السائدة انهم بحكم الطبع يميلون الى الشر كما ان شرارة  
النار تتصاعد بطبيعتها الى العلاء .

وقد نشأ هذا الوهم عن الرأي القائل ان الحياة تتوقف  
على الجهاد المستمر ، ولا تنمو بكثرة الا اذا كانت دائماً على  
اهبة السعى لمقاومة كل ما يقف في سبيلها من العقبات . هذه  
هي شريعة الحياة باسرها ، فهي شريعة الحيوان ، كما هي شريعة

الطير والسماك والنبات والانسان . لان الحياة ذاتها قوة ،  
وهذه القوة انما خلقت لكي تستخدم المادة لاحياة فيها  
وتتسلط عليها وتنظم منها ما تنفع به . ولذلك فان الطفل  
وكل من لم تبلغ قواه العقلية درجة ارقى من قوى الطفل  
العقلية يعتقد بان جميع ما تقاومه الحياة من المقاومات لميرها  
انما هي شر مسموم . لانه اذا لم يقم كائن حي بوظيفته الحيوية  
ويتم قسطه من الجهاد في سبيل الحياة ، فانه يغلب على أمره  
من المادة ومن غيره من الاحياء فيقضى ويزول .

وقد نظمت هذه العقيدة تنظيما ثابتا في علم اللاهوت .  
فداود الملك نفسه صرخ قائلا ، انه بالخطايا قد ولد وبالآثام قد  
حبلت به امه . وقد قال يهودى آخر من كبار مفكري اليهودية ،  
ان قلب الانسان خداع قبل كل شيء وشرير الى درجة لا يمكن  
ان يتخلص منها . ذلك لان اليهودي كان غنيا بالعطايا الروحية  
وكان يعرف شدة الحرب التي كان على الروح ان تكابد  
مصائبها وواجعها في جميع اطوار نموها . لاجل هذا كان  
اليهود ذوي آراء ثابتة في الخطيئة .

وعند ما شرع علماء الكنيسة في درس الكتاب المقدس

وتدبر ما فيه من الحكيم والآيات وجدوا بين آياته الكثير من  
الشواهد التي تؤيد رأيهم بأن الانسان شريراً بطبيعته ولا يمكن  
أن تصلح حاله ما لم تلامسه قوة غير منظورة فيما وراء الطبيعة .  
على اني أعتقد بأن هذا الرأي لا يتفق مع العقيدة  
المنطبقة على العقل الصحيح في الوجود .

فأنا أعتقد بأن النقص كائن في جميع الناس على السواء .  
لان فيهم غرائز ورغبات تحتاج الى من يحسن تنظيمها ويكبح  
الجامح منها ويستثمر الصالح النافع .

فالخطيئة هي البلبلة أو الاختلال في النظام . بل هي  
ضعف يستولى على القوى الأدبية المسيطرة على تنظيم الرغبات  
البشرية وحسن ادارتها .

وانا وإن كنا نرغب جميعنا في الشرّ وصنائه فان لكل  
منا ضميراً حساساً ينبئه بأن ما يفعله شرّ هو ، ولذلك يجدر  
به أن يكون أفضل مما هو .

وتكاد العقيدة القائلة بأن الصلاح صعب جداً تكون  
عامّة في جميع العالم ، حتى غلب القول ان الرجل الفاضل غريب  
عن الطبيعة البشرية ولا يتفق سلوكه مع طبيعة الانسان ، في

حين ان الجميع يعتقدون بأن الرذيلة فتانة تلائم الطبيعة ويفتح لها الانسان قلبه وحياته .

وما أتعس هذه الطبيعة البشرية المسكينة التي قد طالما شقيت وجاهدت حتي قام لها نفرٌ أقل من القليل من الذين يؤمنون بها . واني من أصدق المؤمنين بها من غير قيد ولا شرط ، بل أنا أثق بأن يسوع قد آمن بها أيضاً لانه استغاث بها على تنفيذ تعاليمه . وقد كان عارفاً ان الناس يحبون أن يعملوا الصلاح ولكنهم يحتاجون الى من يظهر لهم الطريق المؤدية الى ذلك .

ان جميع العقائد التي في العالم اليوم تُعلم قبل كل شيء ان الفضيلة ممقوتة مرذولة وان الرذيلة خداعة جذابة . وأول ما نبداً في زرع هذه البذرة الفاسدة في أذهان أولادنا ، فنقول لكامل مثلاً ، وعمره سبع سنوات ، « اذا كنت ولداً صالحاً ولم تفعل شيئاً رديئاً فاني أعطيك قطعة من الحلوى » . فالافتراض هنا ان الصلاح ليس من طبيعة الولد وان الطريقة الوحيدة لاستمالته اليه أن يُغريه ببعض المواد الخارجية التي يستلذها . ثم نقول له : « وان كنت رديئاً في سلوكك فاني

سأصنعك صنفا . « فالافتراض هنا ان الولد يميل بطبيعته الى فعل السوء ، وانه يحب الشر ولا طريقة لردعه عن هذه المحبة سوى العقاب والأذية . ولذلك فاننا نسيء جداً بزرع هذه العقيدة الكاذبة في أذهان أولادنا ، فنغرسها فيهم من الجهة الواحدة ثم نسحقها في أعماقهم من الجهة الاخرى .

أما عقيدتي التي أنا شديد الثقة بها فهي ان كل انسان يرغب في أن يكون مستقيماً في أعماله . ويمكن أن تكون هذه الرغبة ضعيفة في هذا قوية في ذلك ، ولكنها كائنة في كل انسان . وانما عمل الدين الوحيد أن يحتفظ بهذه الرغبة ويحسن استثمارها في حياة الناس . واني أرى ان شر خطيئة يفعلها الانسان ولن ينال عليها غفرانا انما هي في أن يخبر الولد انه شريرٌ ويكرر ذلك حتى يخيل الى فكره الصغير انه شرير بالحقيقة ولا مناص له من الشر . ولكننا لو أخبرناه انه ولد صالح وانه يريد أن يكون مستقيماً في جميع أعماله فانه يمكن أن يكون ولداً صالحاً فاضلاً فوق ما نتصور في أذهاننا . غير اننا اذا أخبرناه دائماً انه ولد شرير فانه يجرب أن يعيش على وفق عقيدتنا به

وان أعظم قوة في الفلسفة الأدبية والتهذيب الكامل  
انما هي في تقدير الاخلاق الكريمة حق قدرها ، وأعظم قوة  
تعمل على هدم الاخلاق الفاضلة في الانسان انما هي التنزيل  
من قدر فضائله ونحسه حقوقه .

فالشعب الذي وجه اليه يسوع عظته على الجبل لم يكن  
مسيحيا . والعالم الذي قال انه أحبه لم يكن عالما مسيحيا . بل  
كان يتألف من العامة الساذجة الفقيرة . وقد أحبهم لانه  
اعتقد بأن لهم من الفهم ما يستطيعون أن يفهموا به كل ما قاله  
لهم . فقرب لهم رسالته وعرض عليهم أفكاره فأصغوا اليه  
فرحين مُغتبطين . ومن تلك الساعة ما برحوا يصغون اليه  
ويحبون كل كلمة تخرج من فيه .

ولذلك قال انه عند ما يُرفع سيجذب جميع الناس اليه .  
ولكنه ما كان يستطيع ان يجذب الناس اليه لو لم يكن فيهم  
ارض صالحة لاقتبال بذار تعاليمه .

وقد دعاه اعداؤه صديق الخطاة . ومن الشكايات التي  
وجهها ضده الفريسيون ، وهي نفس الشكايات التي كان العالم  
وما برح يوجهها ضد الذين جرأوا ويمجرون على الايمان

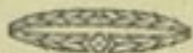


بصلاح الطبيعة البشرية ، — انه كان يجالس العشارين والخطاة  
ويؤاكلهم

اننى أو من بأن كل امرأة ترغب في ان تكون شريفة  
وكل رجل يرغب في ان يكون فاضلا عفيفا ، بل انا واثق من  
اعماق قلبي بأن كل الاضطرابات التى تعكر صفو علاقات  
البشر بعضهم مع بعض انما هي نتيجة لعدم إيمانهم بما أو من  
به من صلاح الطبيعة البشرية .

لذلك نرى امامنا الامم تحارب الواحدة منها  
جارتها ونرى في الوقت ذاته ان الامة التى تبدأ الخصام  
بإعلان الحرب على جارتها الآمنة تنشر الدعوة في جميع  
البلدان ان شعوب الامة الاخرى التى تحاربها اجلاف وجبناء  
غادرون . ونرى العمل يحارب رأس المال وكل منهما يجرب  
قوته في تمثيل الثانى بأنه مجموعة محتالين خبيثاء وطماعين اردياه  
نرى الاولاد يتغربون عن والديهم والرجال والنساء  
ينفصلون بعضهم عن بعض والكنائس تنقسم وحدتها الى  
طوائف متعددة يشاق بعضها بعضا ، والجيران تتحول محبتهم الى  
ضعيفة وبغضاء ، وكل ذلك لان الفريق الواحد يعتقد بأن الفريق

الثاني شرير بطبيعته ، ولا خلاص للعالم من هذه الفوضى  
سوى الايمان الصحيح . ولا أعنى بهذا الايمان الصحيح الايمان  
بالله فحسب ، بل نحن في حاجة الى الايمان بالانسانية أيضاً .  
وقد سأل الرسول يوحنا الحبيب اننا اذا كنا لانحب  
اخوتنا أبناء الانسانية الذين نظرناهم وننظرهم أمامنا فكيف  
نستطيع أن نحب الله الذي لم نره ولا نستطيع أن نراه ؟  
واننى أحب هذا الافتراض الجميل من أعماق قلبي ،  
الافتراض الخالد الذي في هذا السؤال ، الذي يدلنا على ان  
الانسان يجب أن يكون بطبيعته صالحاً محباً مثل الله  
وليس هذا الافتراض محض تفاؤل لاحقيقة دونه . بل  
هو أفضل رأى علمي ممتلىء من الفطنة والحصافة . فهو  
موافق لحقيقة الذشوء والارتقاء في الطبيعة وملائم في الوقت  
ذاته للصورة العمومية التي رسمها يسوع للحياة . ولكنه  
يخالف بعض الاقوال التي جاء بها المعلمون والمتشرعون في  
بلاد اليهودية القديمة . ولكننى أعتقد بأن يسوع أعظم من  
جميعهم .



## الوهم في ضرورة العقاب

« ان الثواب والعقاب هما حيلتا العالم  
الخداعتان اللتان ما برحتا تغويانا حتى اليوم »

ان الرأى القائل بأن المنفعة الذاتية هي ينبوع الذي  
تفجر منه مياه تصرفنا وسلوكنا في الحياة ، وأن جميع  
الناس هم بطبيعتهم عبيد أرقاء للشر — ولا يمكن حفظهم منه  
الا عن طريق الخواجز الصناعية — هو رأى يخترق أفكار  
العالم ويسود عليها في جميع فروعها

فان الثواب والعقاب هما حيلتا العالم الخداعتان اللتان ما  
برحتا تغويانا حتى اليوم . وهذا الوهم هو أساس جميع مالدينا  
من قوانين العقوبات ، المبنيّة على السخافة البسيكولوجية  
القائلة بأن الطريقة الوحيدة لمنع الناس عن فعل السوء انما  
هي في اذيتهم وتمذيبهم . وعلى هذه السفسطة يرتكز نظام  
الشرطة ونظام المحاكم والسجون

أما محاكنا الجزائية فقد دُعيت بيوت العدالة ظلماً  
وعدواناً ، وكان الاجدر بها أن تدعى بيوت الانتقام والظلم

فاذا لجأ منا رجل الى الشدة والتعدي في عمل من الاعمال .  
فاننا لا نعرف ما نقابل به عمله سوى تعذيبه والانتقام منه .  
ومع اننا قد عدلنا عن الهمجية في تعذيبه والتنكيل به بشتى  
الآلات المتنوعة : كتعليقه بأبام يديه حتى يموت ، أو جلده  
حتى يفقد شعوره ، أو جره على الارض وتقطيعه ارباباً ، -  
فاننا لا نزال نعذبه بسجنه في قبو مظلم ، أو باختطاف روحه  
من أعماقه .

فالعاطفة التي تدفع الانسان الى مثل هذا العمل الفظيع  
لا يمكن البتة ان تكون عاطفة عدالة للتأديب ، بل هي عاطفة  
ظلم للانتقام . وهي نفس العاطفة التي تدفع السائق العديم  
الرحمة الى وخز حصانه في بطنه اذا وقف في مشيه ، وتثير  
غضب الولد الى استحضار الفأس وتكسير البيانو عند ما يلطم  
به رأسه .

وما العدالة عند التحقيق الا تأييد النافع المستقيم من  
الرغبات والحالات واستئصال الضار المؤذي منها . ولكننا  
ما برحنا متمسكين بهرطقة العقوبات فان أفكارنا المضطربة  
لن تقدر أن تنظر ، لا في وقائع الدعاوي ولا في حوادث

التاريخ ، ان نظامنا الحاضر لا يقلل الجرائم بل انما يزيدھا  
اضعافاً .

ولو كانت لنا بصائر ثاقبة لكننا نرى هذه الحقيقة  
الناصعة التي تتضح لكل من يعمل على درسها درساً صحيحاً .  
لان سجون العالم المتمدن لا تصالح أحداً من الناس وقد أتيج  
لي أن أخبر أحوال السجون في الولايات المتحدة وما يجري فيها  
من الاعمال في مدة ثلاث سنوات قضيتها في ادارة السجون  
في ولاية ايلينويز . فقد فحست نحو ثلاثة آلاف دعوى لثلاثة  
آلاف سجين . وقد طالما تحدثت مع رؤساء السجون والعاملين  
فيها غير اني لم أسمع قط ان عقوبة السجن قد نزعَت الرغبة في  
الاجرام من صدر سجين واحد قط . بل بالعكس كنت أرى  
أماي في كل يوم بينات متعددة على أن السجون تربي الناس  
على محبة الجريمة والرغبة في المضرة والاذية حتى دعاها أحد  
الثقات في الموضوع ، « بواتق الجرائم »

أجل ، ان سجون الولايات المتحدة ، عوضاً عن أن  
تستأصل الجرائم ، تخرج في كل سنة مائة وعشرة آلاف  
تلميذ قد استكملوا دروسهم في جامعة الجرائم

فاذا اقترف الانسان جريمة الفحشاء مثلاً ، فهو يظهر  
بذلك انه رجل مريض ، كما لو كان مُصاباً بذات الرئة أو  
غيرها من الامراض . فهو والحالة هذه ضعيف القوة الادبية  
والفكرية ولا تجديه عقوبته اقل فائدة ، بل بالعكس من ذلك  
تزيد في ضعفه واعتلاله . وأفضل طريقة لتقويم اعوجاجه  
أن يرسل الى مستشفى يعنى بازالة مرضه وليس الى سجن  
يقضي على بقية الفضيلة والادب في رأسه . وأنا أقصد بالمستشفى  
المسكان الذي يمكن ان يشفى منه مثل هذا العليل الروحي  
وتحسن حاله ، أو يرسل على الاقل الى حيثما يوضع حد  
لمرضه فلا تزداد به العلة ، وليس الى حيث يعذب ويقذف به في  
هوة أعماق من الهوة التي رمى اليها ذاته . فهو ليس في حاجة الى  
ان يسجن كحيوان يحرسه سجان قاس ، لان مصيبتة الكبرى  
انه حيوان اكثر منه انسان . ولذلك فهو في حاجة الى طبيب  
رؤوف يعتنى به ك مخلوق بشري فيزيل ما يشد به الى دناءة الحيوان  
واننا لن نبني معاملتنا لذوي الجرائم من اخوتنا في  
الانسانية على أسس العاطفة الشفيقة الراغبة في الخير مالم

ننظر الى المجرم نظرا لنا الى المريض السقيم الذي هو ادعى الى  
محبتنا منه الى نعمتنا

وقد أدرك يسوع السفسطة الكائنة في محبة الانتقام  
العقيمة . ولذلك فهو عندما تكلم عن تقديم الخد الايسر لم  
يقصد قط أن العالم يجب ان يدفع الى قبضة الشرير المعتدى،  
بل انما اظهر ان الاشرار يجب أن يعاملوا بنفطنة ك مخلوقات  
أضعف ممن يقع عليهم شرهم ، لا أن يقاوموا ك اقربان وأمثال  
وان من الاوهام العمومية الوهم المتسلط علينا ، انه  
يجب أن يجرسنا الشرطة والجنود والحكام وغيرهم من رجال  
الشريعة . فالرجل العادي من الناس الذي لا ينظر الى أبعد  
من حدود خياله يعتقد بأن امرأته واولاده في مأمن من  
الخطر اذا ساروا في الشوارع ، وانه ينام في بيته آمنا ولا  
يخاف ان تفتاله يد ائيمة في فراشه لان رجال الشرطة  
يجرسون المدينة بالنبايت والبنادق

غير ان القليل من اعمال الفكرة يظهر لنا السفسطة  
الكائنة وراء هذا الرأي . فاذا فرضنا ان كل شخص في  
المدينة التي نعيش فيها يميل بطبيعته الى الاذية والجريمة ، وان

كل واحد منهم شرير يرغب في الاغتصاب ولكنه يتوقع  
فرصة مناسبة ليقدم على حرق بيت جاره ، أو قطع يده أو  
رجله ، أو هتك عرضه أو قتله لضغينة بينهما . اذا فرضنا  
كل ذلك ، وان كل رجل يريد ان يفعل ما ذكرنا فاني الحق  
اقول لك ان جميع رجال الشرطة في العالم وكل ما فيه من  
الجنود والحكام ورجال الشريعة لا يستطيعون ان يحولوا  
دون حريق مدينتك وانتشار الفوضى في سائر انحاءها في  
اسبوع واحد .

لان رجال الشرطة الحقيقيين في أية مدينة كانت إنما  
هم القوات الادبية الكائنة في افكار ابناء تلك المدينة لضبط  
الجامح من غرائزهم ورغباتهم . فانت وانا في مأمن من  
الخطر لان الاكثرية الساحقة من الناس يبغضون الرذيلة  
ويرغبون في الفضيلة والسيرة الشريفة من اعماق قلوبهم . وكل  
ما يفعله رجال الشرطة إنما ينحصر في تقييد الاقلية المعوجة  
والحوؤل دون انتشار فسادها

أما الثقة التي نضعها في فائدة السجون ، ولوحات  
التشهير ، والمأمورين في تنفيذ أحكام الجلد والعقوبات ،



والكرسى الكهربائية ، وغيرها من آلات العقوبات واهمين بانها  
تمنع الجرائم وتحول دون التعديات فانما هي جزء من ثقتنا بان  
نار الجحيم تمنع الخطيئة . وكلتا الثقتين عقيمة لا فائدة منها

فان العالم ما برح منذ الوف السنين يعتقد بان البشر لا  
يمكن أن يحفظوا في مناهج الفضيلة والبر ما لم يخوفوا  
ويرعبوا بروايات مختلفة عن نار الجحيم الآكلة ! وقد قال  
الشاعر برنز :

« إن الخوف من الجحيم سيف مسلط فوق رؤوس  
الاشقياء لقيادتهم الى حظيرة النظام »

غير ان العالم قد انزل بذلك مركز الله سبحانه وتعالى الى  
مركز سجان حقير . ووضع في الازهان انه تعالت قدرته قد  
أذن بوجود الشيطان وسلطه على النفوس البريئة يضطهدها  
ويعذبها ويجربها . وما انفكت الانسانية حتى اليوم تعمل بهذا  
الوهم وتتقيد بنصوصه كأنه دستورها الوحيد وشريعته المثلى  
ولكن تفسية الجنس البشرى قد تطورت على ممر  
الاجيال حتى تخلصت بعض الخلاص من تحت هذا النير

الثقيل . فان قليلين من ذوي البصيرة الثاقبة في هذا العصر  
يصدقون بمثل هذه الاوهام

كان علماء الكلام في العالم القديم يعلمون ان الله جبار  
طاغية جل غايته في الوجود ان بطيعة جميع المخلوقات  
والكائنات صاغرين معفرين جباههم بتراب الارض . وقد  
ظلت هذه الغاية شغله الشاغل حتى قضى أخيراً بالنار المؤبدة  
على جميع النفوس التي كانت ترفض الانقياء لهذه الرغبة  
القاسية .

وقد قضى يسوع على هذه العقيدة بتعليمه السامي ان  
الله أب رؤوف محب وليس بالسلطان الجبار القاسي الذي  
يجب على الناس ان يخافوه ويخشوا ظلمه وشدته . وقد علم  
الناس بأن غاية الحق انما هي رفع الانسانية تدريجياً في سلم  
الارتقاء . فهو تعالى بستاني عظيم ونحن نباتات في بستانه  
يتعهدنا بخير العناية لكي يكون نمونا متتابعاً في الوجود

أما الخوف فله مكانه فينا كفرينة فطرية . وأما الغرض  
منه فهو كما اجاد في وصفه باسيل كينغ حيث قال ، أن الخوف  
هو ايقاظ القوة العاقلة في الحياة . وقد غرست فينا غريزة

الخوف لتثير هممتنا للسكد والجد لان الحياة لا تتجدد عن غير طريق السعي والاجتهاد . ولكن الخوف الذي حوالة أو هام الناس عن غايته الاصلية ، التي هي استنهاض الهمم الى الجهاد في سبيل الحياة وجعلته وسيلة للشلل والخبل وفخاً لاصطياد السذج من الناس ، انما هو عين الضلال والزيغان عن جادة الحق المستقيمة .

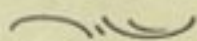
وبعبارة أوضح ، اني أعتقد بأن العقاب عند ما تلجأ اليه كوسيلة للتهديب والاصلاح انما هو وهم وانخداع ، لكن الخوف والشعور بالخطر اذا نظر اليهما الانسان نظرة صحيحة ربما كانا في مقدمة ما يؤول الى تقدمه وفلاحه ولا أستطيع أن أسلم البتة بأن غاية الله الاساسية من الوجود أن يحصل على الطاعة العمياء من مخلوقاته ، لان غايته المثلى انما هي الرغبة في ان يساعد جميع مخلوقاته على التقدم والنمو المتواصلين .



## الوهم

في أن التنازع ضروري للرفي

« ان الانسانية قد حصلت على عظمتها  
بالتعاقد لا بالتنازع . »



ان تنازع البقاء والجهاد في سبيل الحياة والسعي في تدليل  
ما يقوم أمامنا من العقبات إنما هي صفات واجبة ضرورية  
للحياة . هي ضرورية لتوليد المهمة التي لا تقوم قائمة  
للحياة بدونها .

ولكن الرأي القائل بأن التنازع ضروري بين الناس  
لاجل الحصول على الثروة والمحافظة على سلامة الحكومة ،  
إنما هو مغالطة وسفسطة فارغة . لان الحقيقة المجردة أن الجهاد  
في تدليل قوات الطبيعة ، القوات الهادمة والمخرّبة ، ضروري  
لاستخدام هذه القوات في ما يعود الى منفعة الانسان . وفي  
هذا الجهاد العظيم يجدر بالناس أن يتكاتفوا معاً ويعملوا بتآب  
واحد بعضهم مع بعض ، وليس بعضهم ضد بعض

ففي انتاج المواد الغذائية وصنع الثياب وبناء المساكن وغيرها من الحاجات المادية في الحياة ، يستطيع الناس أن يحصلوا بالتعاقد على أضعاف ما يحصلون عليه منفردين يحاربون بعضهم بعضاً . وبهذا يقدر أن ينتجوا ما يكفي لجميع الناس . وربما كان التنازع لازماً في الافكار والمبادئ ولكن العلماء يظهرون لنا ان هذا التنازع يمكن أن يتم بدون روح البغضاء . وعوضاً عن أن يكون للهدم يجب أن يكون للبناء .

بيد اننا قد ورثنا السفسطة القائلة بوجود التنازع عن الاجيال الماضية . فأصبحت اليوم ممتزجة بكل دقيقة من دقائق أفكارنا . ولذلك يكاد يستحيل علينا أن نفكر بإمكانية الحصول على أي نوع من الراحة أو النجاح في حياتنا من غير أن نحارب بعضنا بعضاً .

فاذا رغبتنا في تقييد العدالة في دعوى من الدعاوى فاننا لانذهب الى قاض نزيه لاغرض له مع أحد الفريقين ونلتمس منه أن يفحص دعوانا بحكمته ونزاهته ليعطي الحق صاحبه . بل كل فريق منا يستأجر محامياً ويلقنه ما شاء من الاكاذيب

وحينئذ ينزل المحاميان الى ساحة الخصام فيتناقدان كأنهما  
ديكان في حومة الميدان . أما القاضى فلا يكون أكثر من  
حكّم فيصل ، والجمهور الذى يحضر المحاكمة انما يأتون للتلذذ  
بمشاهدة المبارزة والنظر الى المتخاصمين لكي يعرفوا على من  
ستدور الدوائر . والفوز يكون في الغالب للمحامى البليغ الغنى  
بالألفاظ المزخرفة والعبارات المنمّقة .

وان تركنا الشريعة المدنية وجورها وجئنا الى الشرائع  
الدينية ومباحثاتها فى قضاياها الخاصة لرأينا ان أول ما يستفز  
الهمم فى كنيسة المثوديست مثلا فى قرية من القرى انما هو  
مقاومة الكنيسة المعمدانية ، وكل من يُعمل فكرته فى  
الاسباب التى تدعو هذه الكنيسة الى مقاومة تلك يرى انها  
أسباب بسيطة تافهة قلما تدعو الى الخصام بين صغار أولاد  
الأزقة والشوارع .

وليست هذه بليتنا فحسب ، بل نحن لا نقدر ان نؤلف  
حكومتنا بأن ننتخب لوظائفها أفضل الرجال الذين يستحقون  
هذه المراكز عن أهلية وجدارة ، بل نحن نقسم البلاد الى  
حزبين وننفخ فى كل منهما روح الحرب والبغضاء ليهدم الواحد

في اليوم ما بناه الآخر في الأمس . ثم نهى المعدادات لمركة ديوك جديدة تقوم بها في كل أربع سنوات لانتخاب رئيسنا الاعلى ورجال دولته .

أجل ، ان أمام الامم عقبات جمة في سبيل التعاضد في أعمالهم . فهم يستسهلون العداة والمقاومة بعضهم لبعض . لان الروح التي تنفخها كل أمة في أبنائها انما هي روح عجب وغطرسة وبغضاء . فالاميركي يعتقد بأنه أفضل رجل في العالم ولذلك يمت الياباني والمكسيكي وينظر اليهما نظارته الى ألد أعدائه . وكل ذلك نتيجة فاسدة للنظام السائد في العالم المبني على أساس البغض الممقوت لانه يقنعك بسهولة لكي تبغض جارك وتحتقره ولا يقنعك لكي تحبه وتكرمه .

ولذلك ترى الحكام وذوى السيادة في جميع أنحاء المعمور يفرحون وبرقصون طرباً عند ما تنخرط بلادهم في حرب من الحروب . فلاتشتعل نيران الحرب حتى تتحد الامة كلها كتلة واحدة . لان أبناء العالم بمقولهم الصببانية يحبون الحرب والخصام ، ولذلك لا يأتى السلام وتهدم نيران الحرب حتى يعودون ثانية الى إثارة حرب جديدة أكثر ضرراً وأوفر

خطر آمن الحرب التي تقدمتها .

وفي هذا ما فيه من صادق الدليل على نقص فاضح في مدارك الأمم ونفسياتها وعلى ان الحالة التي بلغنا اليها في مدينتنا الحاضرة لم ترتق كثيراً عن الحالة الهمجية الاولى .

ورب معترض يقول ، ان التنازع على البقاء شريعة طبيعية ، وان الطبيعة انما تنتج أفضل أثمارها عن طريق الجهاد لبقاء الانسب . ولمثل هذا المعترض نقول ، ان هذه الشريعة جميلة تنطبق على الكرنب ( الملفوف ) ، وعلى الكلاب والافاعي والاسود . ولكنها قد امّحت ولم يبق لها من أثر منذ ظهر الانسان على مسرح التمدن وبدأ في تكوين أخلاقه .

أجل ، ان الانسانية قد بلغت الى عظمتها الحاضرة بالتعاقد والتآلف وليس بالتنازع والخصام .

بيد اننا قد تعلمنا هذه الأمثلة ناقصة ولم نتعلمها كاملة بعد . وقد جربناها بطريقة ضيقة محدودة ، ولكننا ما برحنا عاجزين عن وضعها في حيز العمل بطريقة عمومية شاملة . فنجن نؤلف الأندية لائتحاد العمال لاننا وجدنا ان العمال



يحصلون على نتيجة أوفر بتآلفهم وتعاضدهم مما بانفرادهم  
وتزاجهم . ورأينا أن نعقد الشركات في العالم التجاري لأننا  
وجدنا أن رأس المال المتحد يأتي بأثمار أوفر وأكثر من أثمار  
رأس المال المتفرق . ولذلك فإن أكثر الثروات الحديثة قد  
حصل عليها أصحابها بحذقهم ومعرفتهم كيف يستثمرون  
أرض التعاضد الصالحة . فرؤ وكفأر وكارنجي وولورث  
وغيرهم من أمراء التجارة الحديثة قد حصلوا على ثرواتهم  
ليس لأنهم كانوا يحاربون واحدهم الآخر ، بل لأنهم عرفوا  
كيف يقنعون غيرهم من الناس أن يشاركوهم في أعمالهم ، لأن  
النجاح العظيم هو في الغالب ثمرة من ثمار الاتحاد .

وان الحكمة البالغة الكائنة في هذه الحقيقة قد دفعت  
يسوع الى التعاليم بوجوب الاخوة في العالم ، لأن الناس  
لا تستقيم حالهم وتسعد أحوالهم حتى يقفوا كلهم معاً جنباً الى  
جنب ، وهذه هي النتيجة العملية الصالحة من وصية يسوع الآمرة  
بوجوب المحبة بين جميع الناس . ولاتأمرنا هذه الوصية  
بوجوب المحبة السقيمة الممثلة من الشهوات الدنيئة ، بل هي  
توجب علينا أن نتجنب شريعة الذئاب وتمسك بالشريعة

اللائقة بنا كمخلوقات بشرية .

أما آراء الاشتراكيين وما يبذلونه من الجهود ويهرقونه  
من الدماء في سبيل تأييد مبادئهم وتحقيق رغباتهم الآيلة  
لتعزيز الانسانية فهي ثمرة صغيرة من ثمرات هذه العقيدة  
الآمرة بالتعاقد والمحبة .

ولكن قل أن يتحد الناس اليوم إلا في جامعات صغيرة  
في مثل كنيسة أو جمعية أو ناد أو شركة أو غير ذلك . ولذلك  
سيأتي يوم تنقش فيه الغيوم المتلبدة أمام عيوننا فنبصر بعضنا  
بعضاً وتتحد كلنا معاً عاملين لما فيه خيرنا ومصالحتنا جميعاً .  
هذه بالحقيقة هي المحجة التي يسير إليها التطور الاجتماعي ،  
وانني لتعروني الدهشة كيف انه منذ الف سنة قد استطاع  
هذا الفلاح الجليلي ان يدرك كنه هذه الشريعة العالمية ويفهم  
عظم نفعها لأبناء الانسان ويتلفظ بها امامهم قبل ان حلت  
بها الانسانية بقرون عديدة .

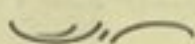


## الوهم

في ان السعادة ميسور نوالها

« ليست السعادة ان تنال شيئاً

بل ان تكون شيئاً »



ان الرأى الغالب على أذهان الناس ان السعادة تم في  
الحصول على شىء ما . ولكن السعادة الحقيقية ليست أن  
تنال شيئاً بل ان تكون شيئاً . وبعبارة أخرى ، ان السعادة  
ليست شيئاً بذاتها ، بل هي علاقة كائنة بين شيئين .

وقد عرف كارليل السعادة بقوله ، انها تشبه الكسر  
العادى فصورته هي القيمة التى لك ومخرجه هو القيمة التى  
تظن انها ستكون لك .

فالرجل الواهم يسعى الى تكثير قيمة كسره بضرب  
الصورة في ذاتها . والرجل الحكيم ينال ما يروم بقسمة المخرج  
على ذاته .

وقد حصر يسوع عقيدته الاساسية في تجديد أخلاق

الناس وتغيير طبائعتهم . ومن أقواله : « يجب ان تولدوا  
ثانية » ، وهو يعنى بذلك اننا ننال سعادتنا الحقيقية اذا غيرنا  
طبائعتنا وجددنا نفوسنا ، وكل سعادة غير هذه ننالها عن  
طريق تغيير مقتنياتنا أو تبديل المحيط الذى نعيش فيه انما  
هي سعادة وهمية كاذبة . وهذه العقيدة هي الاساس الذى بنى  
عليه يسوع وصيته التى حذرنا بها من وضع كنوزنا في الارض  
الفاسدة . على أن أكثر الناس قلما يعبأون بغير حشد الثروة  
والسمى وراء الشهرة الكاذبة والحصول على المركز الاول في  
المحيط الذى يعيشون فيه . ولكن الرغبة الخفية الكائنة في  
كل انسان انما هي في ان يعمل أفضل ما تبلغ اليه حياته في  
هذا العالم ، أن يعيش عمره فرحاً ناعم البال ، حراً مكتفياً من  
كل خيرات الارض . وأول ما يفرض عليه من الواجبات  
في سبيل تحقيق هذه الرغبة السعيدة أن يطبق حياته على محيطه  
ليستطيع ان يعيش فيه .

ويجب عليه ألا يؤجل عملاً من أعمال حياته أو فرحاً  
من أفراحها . ولذلك يأمرنا يسوع ألا نضع كنوزنا في الارض  
وأن نترق في محبة المال والاعتماد عليه في جميع أمورنا . لان

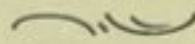
المصيبة الكبرى في ذلك انما هي تأجيل التمتع برغبات الحياة الحق . فيجدر بنا ان نكون سعداء كيفما تصرفنا في هذه الحياة ، لا أن نغم ذواتنا ونضني أجسادنا بالتعب والمهم والشقاء . رجاء ان نتمتع بالسعادة بعد مدة من الزمان . وان اعظم الاغلاط التي يقع فيها اكثر الناس في فهم الغاية من رسالة يسوع انما هي العقيدة السائدة بينهم ان يسوع قد جاء الى العالم لكي يقرر أن الطريق المؤدية إلى الفضيلة الكاملة وعرة المسالك كثيرة الاشواك ، وان البلوغ الى القداسة الحقيقية يحتاج الى قوة فائقة للطبيعة البشرية ، وان طريق الكمال الحقيقي غريبة عن طبائعنا بل هي مصادرة لها على خط مستقيم ولكن يسوع قد أوضح بضمه الطاهر الغاية من رسالته وبشارته بقوله ، « لكي يكون فرحنا كاملا فينا » . فقد جاء لكي يعلمنا كيف نكون سعداء ، وكيف يجدر بنا ان نجتاز شوطنا في جهاد حياتنا مستثمرين أفضل ما فيها من الاثمار . ولذلك فان الذين في قلوبهم نسمة من روحه اليوم ، الذين يقتفون آثاره بالعمل بتعاليمه ، انما اولئك الذين يبلغون الى الحياة الكاملة الغنية وكل من يتساح له التعرف الى الذين تتوقف

سعادتهم على ثرواتهم أو مركزهم أو شهرتهم يعرف مقدار  
تفاؤل أحوالهم واضطراب حياتهم . ولذلك فأنى اعتقد بان  
حكمة يسوع أوضح في هذه العقيدة وفي معرفته الحقيقية  
للطبيعة البشرية وحاجاتها منها في غيرهما من العقائد



## الوهم

في أن الخير فضيلة سلبية



« ليست المسيحية قوة مميّزة بل هي  
قوة محيية » .

ان العالم ما برح منذ نشأته راسفًا تحت قيود الوهم في أن  
الخير فضيلة سلبية . غير اننا نرى في مثل المحاكمة الاخيرة ،  
ان الذين نالوا الثواب والمكافأة انما هم الذين فعلوا صلاحاً  
في حياتهم ، والذين حل بهم العقاب انما هم الذين لم يفعلوا  
شيئاً من الخير قط

وهذا المبدأ تتمشى روحه في تعاليم يسوع من ألغها الى  
يائها . فقد علم ان الفضيلة هي القوة والاحسان . وكانت المحبة  
حجر الزاوية في أساس صرح الآداب الذي شاده للانسانية -  
والمحبة قوة ايجابية لا سلبية

على انك اذا سألت رجلاً من الناس رأيه في من هو  
الرجل الفاضل في عقيدته ، لا جابك على الفور ، ان الرجل

الفاضل هو الذي لا يفعل كذا ولا يفعل كذا الخ. هو الرجل  
الذي لا يكذب ، ولا يخلف ، ولا يخدع أحداً ، ولا يزني الخ  
واذكر اني سألت صديقاً لي مرة رأيه في من هو أفضل  
رجل عرفه في حياته فأجابني في الحال قائلاً ، « هو أبي »  
فقلت ، « ولماذا ؟ »

فأجاب قائلاً ، « لان لسانه لم يعرف الكلام البذيء  
ولم يخالف شريعة السبت المقدسة ، ولم يشرب مسكراً ، ولم  
يعرف طعم الدخان في حياته ، ولم تكن له علاقة دينية مع  
امرأة قط ، بل أنا واثق بأنه لم يخدع أحداً ، ولم يكذب  
على أحد في حياته »

فقلت له ، « ان هذا لوصف جميل جداً لما لم يفعله والدك  
وأنا لا أريد ان اتنقص من كرامته . ولكن هل لك أن  
تخبرني شيئاً عما فعله في حياته ؟ »

أجل ، ان الكنائس ممتلئة من الزواجر والنواهي عن  
هذا وذلك من الاعمال وأفضل وصية يترنم رجال الدين  
بتكرارها انما هي ، « لا تفعل ... » ولا شك ان هذا النوع



من التعليم خال من القوة ، وكثيراً ما يكون عديم الثمرة ، لانه  
ما من انسان يستطيع ان يبني هيكلًا من الاخلاق بالوصايا  
السلبية العقيمة

ولكن يسوع قد هدم صرح الآداب القديم من أسس  
موسى فصاعداً ، وأعلن ان الشريعة كلها متضمنه في الآية  
« تحب الرب الهك من كل قلبك . وقريبك كنفسك »  
فاظهر بذلك ان الفضيلة الحق انما هي قوة فعالة ،  
وخميرة نقية تخمر العجين كله

اما ما يوجهه خصوم المسيحية من الاعتراضات على  
انها معمل لكل مستأنث خنت من الرجال ومدرسة للضعف  
والذلة والخنوع ، ومصدر للفضائل السلبية ، فانما هي بالحقيقة  
اعتراضات على بعض فروع الكنيسة ولا تستطيع ان تتناول  
مؤسسها . لان هذه الفروع كانت منذ نشأتها لا تترجم الا  
بكلمة ، « لا تفعل .. » ولكن يسوع قد قضى حياته وهو  
يقول ، « افعل ... »

والحقيقة المجردة توضح لكل ذي عينين ان دون الفضيلة  
مغامرات عظيمة . لان على الراغب في الفضيلة ان يكون

شجاعا مقداما صبوراً على المصائب متجلداً في احتمال النوائب  
واما الراغب في الشر والرذيلة فلا يطلب منه واجب  
ما . فقي وسع كل انسان ان يكون شريراً . لان كل ما يحتاج  
اليه الانسان لكي يسير الى الشيطان ان يجلس متكاسلا ولا  
يعمل عملاً . وليس الشيطان في الحقيقة سوى الدناءة والفساد .  
لان النبات اذا توقف عن النمو فانما يكون ذلك بداءة لموته  
واضحلاله .

على ان أغرب الخطايا الوثنية التي اقترفها رجال الدين  
هي العقيدة التي أوجدوها ، وخلاصتها ان التقوى تقوم في  
الانفراد عن الناس والابتعاد عن العالم

لان التقوى الحقيقية كما اظهرها لنا يسوع بتعاليمه ومثاله  
انما تنحصر في الجهاد في سبيل الخير في هذا العالم ، وتعلمنا  
ان الانسان يكون صالحا اذا حمل صليبه كل يوم ، ومشى  
بين الناس الاشرار من غير ان يعرفه شبه خوف ، واحب  
الذين يحبونه والذين يبغضونه على السواء ، وأحسن الى  
اخوته وأعدائه والذين يسيئون اليه من غير أن تزعزع قوته  
او تلتطمخ فضيلته بأنانية او كبرياء

وما اتعس العالم بهذه العقيدة الهادمة التي ورثها وعلق  
قلبه بجمها ، العقيدة القائلة ان الرجل الفاضل يجب ان يكون  
ضعيفاً مستخسناً جباناً . حتى لقد صارت كلمة مسيحي مرادفة  
لكلمة طاعة وخضوع ومسكنة . فقد صرخ المستبدون من  
رجال الكنيسة منذ أقدم الأزمنة بالناس قائلين ، « تعالوا الينا  
صاغرين ، واخضعوا الأوامرنا مرغمين » . ولكن هذا  
الخضوع الاعمى هو بالحقيقة نفس جوهر الخطيئة . لانك  
اذا كنت لا تفعل الا ما يفعله جيرانك فانك انما تكون قائدا  
لذاتك الى الشر .

لان الانسان لا يستطيع أن يحمل في ذاته روح يسوع  
ما لم يثبت أساسات شخصيته ، ويخلص في الاصفاء الى  
صوت ضميره ، ويتبع كل ما يعتقده حقاً وصواباً ، ويمشي  
في جميع أموره على الطريق الضيقة لان الطريق الواسعة  
تؤدي الى الهلاك .

فالمسيح قد أمر بالتجدد والتحويل ، ولكن الوثنية التي  
سرقت اسمه قد أمرت ولا تزال تأمر بالطاعة العمياء  
والخضوع بجهل وغباوة

## الوهم في منفعة القوة

« الذين يأخذون بالسيف .  
بالسيف يؤخذون »

ان الايمان بالقوة المادية شريعة من شرائع العالم الأولية  
وقد أظهر يسوع خطأ هذه العقيدة وأوضح لنا ان القوة  
الحقيقية كائنة في الروح ومستقرة في المبادئ والافكار  
الروحية .

وقد بنى العالم ايمانه على الاولوية القائلة ، « ان الله في  
جانب الكتيبة القوية » فاحتفظ بايمانه هذا على ممر الاجيال  
وتمسك به بمنتهى التشبث والتمصب . ولكن التاريخ قد  
برهن المرة بعد المرة ان هذا الايمان كاذب شرير . فاننا نرى  
في جميع ادوار التاريخ التي وصلت اليها أخبارها ان الممالك  
القديمة كانت مشغولة أبداً بالاستعداد للحرب بعضها ضد بعض  
ظنا منها ان في ذلك خلاصها وراحتها . ولكنها قد زالت  
وانقرضت بأسرها ولم يبق منها واحدة قط . فقد اعتمدت كل

من مصر وبابل وأشور واليونان ورومية وسائر ممالك العالم  
القديم على جيوشها لاجل سعادتها وطمانيتها . ولكن كل  
واحدة منهن تحطمت قواتها في دورها .

ولا يزال هذا النظام سائداً حتى اليوم . ولنا منه مثال  
في سقوط الامبراطوريتين العظيمتين الروسية والامانية  
ومع كل ذلك فاننا نرى الامم الحديثة لا تزال واضحة  
ثقتها في جنودها وقواتها المادية . وفي البلاد المسيحية نفسها  
لا نرى أمة واحدة على الاقل تسلم قيادة أمورها للحكمة يسوع .  
بل جميعهم يعتمدون على كلمة مكيا فيلي .

بيد ان خمسة آلاف سنة من حوادث التاريخ المدونة  
أمامنا تبرهن ان «الذين يأخذون بالسيف بالسيف يؤخذون»  
أما الامة الوحيدة التي عاشت مع جميع القرون، أقدم  
أمة في العالم اليوم ، الامة التي حافظت على مدنية واحدة في  
جميع العصور ، فهي الامة الصينية . لان الصين لم يكن لها  
جيش احتياطي قط في جميع ادوار التاريخ حتى اضطرتها الامم  
الاخري الى ذلك منذ ستين أو سبعين سنة

والغريب في كل هذا ان الذين ينظرون هذه الحقيقة

ويصرحون بها يسمون خياليين وينظر اليهم باحتقار كما خودين  
بمحبة السلام يبنون قصورهم في الهواء ، معالجين العبت في  
جميع أقوالهم وأفعالهم . وأما الذين يثابرون على الوقوع في  
الخطأ ذاته الذي وقع فيه الالوف والملايين من قبلهم ، الخطأ  
الذي اظهرت الاجيال نتائجه الوخيمة فانما ينظر اليهم كرجال  
عمل حكما

وذلك يعنى ان جميع المقعدين والمرضى في العالم يعتبرون  
ذوي عواطف سامية يسابقون الغزلان في سيرها ، وجميع  
المواطنين الاصحاء والنافعين يُرفضون وينبذون كرجال  
ضعفاء مستأثنين .

على اننا نرى مثل هذه العقيدة الملتوية بين ذوى العقول  
السقيمة المرتخية مفاصلها في شأن فلسفة النشوء والارتقاء  
القاضية بتنازع البقاء وبقاء الانسب ، فهم يدعون ان بقاء  
الانسب يعنى بقاء الاشد قوة وشراسة . ولكن الحقيقة المجردة  
ترفض كل عقيدة كاذبة كهذه .

وبهذه المناسبة أورد هذه القصة كمثل في الموضوع :  
زرت من بضع سنوات مدينة لوس انجلس كليفورنيا

وقضيت فيها فصل الشتاء وقد كنت شديد التعاقق بملاحظة ما كان يجريه العلماء فيها من الحفر في طبقات الحُمْر . وقد وجدوا فيها عظام حيوانات كثيرة عاشت قبل العهد التاريخي فان هذه الحيوانات غرقت في الحُمْر وهي آتية لتشرب من برك الماء التي فيه وحفظت الارض عظامها على ممر ألوف السنين .

وقد جمع العلماء من العظام المتفرقة هيكلًا عظيمًا لحيوان أطلقوا عليه اسم تيرانوسورس Tyrannosaurus وقرروا بعد الدرس الدقيق انه كان وحشًا هائلًا لان طوله بلغ أربعين قدمًا وعلوه ثمانية عشر قدمًا . وانه كان يلتف بجلد لا تنفذ فيه قوة ، وانه كان شرسًا كاسرًا ضارياً . وكان يفترس كل حيوان يمرُّ به ، ويلتهم كل مخلوق حي يستطيع أن يقبض عليه . ولكن الوجود قد تخلص من هذا الوحش الهائل . فاذا كان بقاء الأُنسب يعني بقاء الأشد همجية وشراسة فكان يجب أن يكون العالم اليوم ممتلئًا بنسل هذا الحيوان الغريب . ولكن هذا الحيوان قد انقرض من الوجود مع كل قوته وشراسته ولم يعرف العالم شيئًا عنه حتى أقامه العلم من فراشه

الأبدي في طبقات الارض . ولكن الخرفان والثيران  
والأرانب والسناجب لاتزال حية تتمتع معنا بنور الشمس .  
وهكذا قد أيدت المعرفة بشهادتها الحقيقة القائلة ، « ان  
الودعاء سيرثون الارض . »

ومن نصف قرن كانت القرى والمزارع في الجهات  
الغربية من الولايات المتحدة مأهولة بنوع من الناس كانوا  
يسمونهم الرجال الاشرار . وكان الواحد منهم شيطاناً جريئاً  
بجسم انسان ، محتالاً مكارماً لا يهاب الموت ، وفاجراً خليعاً  
لا يهمله سوى أن يملأ بطنه من المسكرات ويعمل على القتل  
والسلب والنهب . وكان جميع الناس يخافونه ويرتعدون من  
رؤيته . لانه كان أوفر المخلوقات الحية شراسة في تلك الجهات .  
فلو كان بقاء الأُنسب يعنى بقاء الأشد شراسة وقوة لكانت  
القرى والمدن التي في غرب الولايات المتحدة ممتلئة بهذا النوع  
من الرجال الاشرار ، بل لما كان يقطن فيها غيرهم ، ولكن  
الزائر في هذه المدن الغربية اليوم يجد ان فيها أرقى وألطف  
شعوب الارض . فهم يلبسون الأقمصة الحريرية النظيفة ،  
ويديرون بيوت التجارة الكبيرة ، ولهم الكنائس الشاهقة



العظيمة . وأما جنس الرجل الشرير فقد انقرض ولم يبق منه  
سوى نفر قليل يجدهم السائح حوالى مدينة لوس انجلس حيث  
تؤخذ رسومهم لتمثل بهم الحياة الاميركية الاوربية في الصور  
المتحركة .

ولذلك فان الحقيقة الناصعة التى لا ينكرها عاقل تقضى  
بأن الاعتماد على القوة الجسدية يؤدي الى الخراب  
والاضمحلال . سواء فى ذلك الفرد ، والامة والعالم بأسره .  
وقد قام فى العالم منذ ألقى سنة معلم عظيم أبصر هذه  
الحقيقة وتجاسر على التصريح بها ، واليوم بعد أن هزأ بها  
حكماء العالم قروناً عديدة قد اهتدينا الى أن ما صرح به ذلك  
الناصرى انما كان الحقيقة بعينها .



## الوهم في أن العقل أساس الآداب

« إن يسوع قد بنى الآداب على أساس  
الفرائض ، وعلى أقوى الفرائض — المحبة »

ومن الاوهام السائدة في العالم الوهم في أن العقل  
والمصلحة المادية هما أساس الآداب الانسانية . فان اكثر أبناء  
الانسان يعتقدون بأنهم يستطيعون أن يقنعوا ذواتهم بقوة  
عقولهم على أن يصيروا فضلاء . أو أن في استطاعتهم أن  
يصيروا فضلاء طمعاً في الحصول على منفعة لانفسهم

ولكن هذه عقيدة سقيمة . لانها منذ ظهرت لم تأت  
بشجرة قط وكل فضيلة ينالها الانسان على هذا المنوال ملفقة  
مصنعة .

وقد بنى يسوع صرح الآداب على أسس الفرائض ،  
وجعل حجر الزاوية في بنيان الفضيلة أمتن غريزة في  
الانسان — غريزة المحبة .

فاظهر بهذا عمق حكمته وغزارتها، لان كل ما في الانسان  
من قوة ونشاط انما هو مستمد من غرائزه، وكل ما يستطيع  
العقل عمله ينحصر في تنظيم هذه الغرائز واستثمار منافعها  
أما المحبة فهي آخر ثمرة من ثمار التطورات الاجتماعية  
لان الحياة كانت على ممر الالوف بل الملايين من السنين  
تتأهب على الارض لقبول عاطفة المحبة . فكان الجنس أولا  
مقدمة للمحبة . ففى بداءة الزمان انتقل التوليد في الحياة  
الحيوانية من أدنى مظاهره الى العاطفة الجنسية . وهذه  
العاطفة قد ميزت جميع الطبقات من الاحياء بعضها عن بعض  
ومع اننا لا نستطيع أن نسمي هذا الميل الجنسى محبة  
كما نفهم المحبة اليوم ، فانه أساس للمحبة ، بل أصل للتربة  
الصالحة التي نبتت فيها هذه الزنبقة العطرة  
وقد تطورت هذه العاطفة في الانسان على ممر الازمان  
الى ما هو اسمى من الشهوة البسيطة ، وتحولت الى عاطفة  
التضحية والعبادة . وما لبثت أن أثمرت للعالم أجمل ثمرة من  
ثمرات القوة فيه ، وهي ثمرة القوة المعروفة بالمحبة  
وكلنا ندرك كنه هذه القوة عند ما نقول ، « الله محبة

هو . وقد وضع يسوع هذه القوة أساسا لجميع الفضائل والآداب عندما قضى على العقوبات والمكافاة التي قررها موسى وعوض عنها بالمبدأ الواحد ، مبدأ المحبة

وقد كانت خلاصة عظمته للعالم في هذا الموضوع ما معناه ، « يا أبناء الانسان ، انكم تهتمون وتضطربون في أشياء كثيرة وانما الحاجة الى واحد ، فاذا احببتم محبة كاملة فانكم لا تحتاجون الى الاهتمام بشيء آخر البتة »

غير أن العالم لم يدرك بعد معنى هذه الوصية الجريئة التي تقلب الوجود ظهراً لبطن . لاننا حتى الساعة لا نثق بالمحبة ، وحتى الساعة نعتقد بأن خطرها وضررها أعظم من منفعتها وخيرها .

بيد ان المحبة هي القوة الوحيدة العاملة على خير نفوسنا وسعادتها . وهي البخار الوحيد الملائم لحركة القاطرة البشرية .

أجل ، ان المحبة أساس العائلة الوحيد ، فلا مراعاة المصالح والمنافع ، ولا الخوف من العقاب أو الطمع في الثواب ، ولا الانانية والرغبة والاعتبار ، كلا ولا غير ذلك من قوات

العالم يستطيع أن يكون له جزء مما للمحبة البسيطة الساذجة من التأثير في تكوين سعادة العائلة . لأنه متى أخلص الزوج والزوجة في حبهما أحدهما للآخر، ومتى أحب الآباء أولادهم والاولاد آباءهم ، فإن المشاكل التي لا تحلها قوة في العالم ، التي تزعج سعادة العائلة تسقط مفككة الاوصال أمام قوة المحبة وربما يستغرب القارىء اذا قلنا إن المحبة هي الدعامة الوحيدة التي تستطيع الصناعة والتجارة أن تعتمد عليها. فإن جميع الجهود التي يبذلها المتخصصون في الاقتصاد السياسى ليوازنوا بين الربح والخسارة ولكي يجعلوا محبة الربح الباعث الوحيد للعمل ، انما تكون نهايتها التشويش والاضطراب . لان القاعدة الغالبة في العمل أن النجاح حليف دائم للذين يحبون عملهم ويحبون العاملين معهم، ويحبون العالم من رجال الاعمال ، جاءلين غرضهم الاساسى خدمة العالم وتسهيل وسائل الراحة لجميع الناس . وقلما تظهر هذه المحبة كغيرها ولكنها كائنة عاملة كغيرها من أنواع المحبة وان المصيبة الكبرى بين العمل ورأس المال انهما لا يجبان واحدهما الآخر . فمتى قلت ثقة الناس بعضهم ببعض

وابغضوا بعضهم بعضاً فان النتيجة ولا شك شقاق وانقسام  
وخراب . ولن تبطل الحصومات والاعتصابات والاضراب  
عن العمل في العالم حتى تشرق أنوار المحبة في دور الصناعات  
فيجب العمال جميع أرباب الاموال ويحب أرباب الاموال  
جميع عمالهم على السواء .

وليس هذا درساً من دروس مدارس الاحد البسيطة،  
كلا ، ولا هو فكر خيالي لا حقيقة دونه : بل هو دستور  
الحياة في جميع فروعها . لان بواسطته نستطيع أن ننال  
راحتنا، ونحظى بالتقدم المنشود، ونحصل على الثروة الضرورية  
لنا، ونبلغ الى محجة الرقي والقناعة .

والمحبة هي الاساس الوحيد لادارة الممالك والحكومات .  
فهى القوة الوحيدة التى تستطيع أن تحول دون الحروب  
وتستأصل جرثومة الشر والخراب الناتجين عن الحرب  
وفيمانحن 'نسطر هذه السطور نرى الاضطراب سائداً  
في المانيا وفرنسا والفريقان يكابدان آلاماً مريرة وخسائر  
فادحة . ولهذا الخلاف بين هاتين الأمتين أسباب عديدة ،  
ولكن أهم هذه الأسباب ان كل واحدة منهما تبغض جارتها

فقد نشرت كل منهما تذييع ( بروبنغندا ) البغض المريع ضد جارتها في أثناء الحرب وما برحت آثار هذا البغض فعالة في القلوب حتى اليوم . لان البغض حيثما يحلُّ يحلُّ معه جحيم الشقاق والشر . ولذلك فان فرانسأ وألمانيا في أشد الحاجة الى زعماء حقيقيين يستطيعون أن يعلموا سكان البلاد كيف يحترمون ويحبون بعضهم بعضاً . ولكن الافكار في الأمتين لاتزال صبيانية ولذلك فان أمثال هؤلاء الزعماء بعيدون عنها ولذلك فهما تحصدان ما تزرعان .

والحجة لاتعرف الشراة . فاننا لانستطيع أن ننال من المحبة أكثر من حاجتنا كما اننا لانستطيع أن ننال من الصحة أكثر مما نحن في حاجة اليه . وعند ما نسمع الناس يقولون ان فلاناً يحب كثيراً جداً فانما هم لا يفهمون ما يقولون . لان في وسع الانسان أن يفرط في شهواته ، وأن يبالغ في طيشه وغروره وغيرته وحسده وكبريائه . ولكنه لا يستطيع أن ينال من المحبة أكثر من قسطه .

وكثيراً ما نسمع ونقرأ عن خطايا المحبة . ولكن هذه الخطايا التي أوجدتها أو هام الناس لاحقيقة لها البتة . فانه ما من

رجل قط أغوى امرأة لانه أحبها كثيراً كما يقول الناس .  
ولكن ماقاده الى اغوائها انما هو ان محبته لها لم تكن كاملة .  
لان من يحب امرأة لا يقودها الى السوء .

أجل ، ان جميع الجرائم التي نشاهدها منتشرة في العالم  
انما هي نتيجة النقصان والاعتلال في جسم المحبة .

على ان القليلين من الناس يستطيعون ان يبلغوا الى قنة  
هذا الكمال في المحبة . وقد كان يسوع أول هؤلاء القليلين .  
وقد قال مرة في المرأة الخاطية ، « ان خطاياها الكثيرة قد  
غفرت لها ، لانهما أحببت كثيراً . والذي يُغفر له قليل يحب  
قليلاً . »

وقد أوضح ان الطريقة الوحيدة للتسلط على الأعداء  
انما هي كائنة في محبتنا لهم ، لانه كما ان البغض يثير في الانسان  
الرغبة في المقاومة ، هكذا المحبة تقتل فيه كل رغبة في الشر  
وفي المحبة قوة فعالة تستطيع ان تعضد جميع الغرائز  
الاخرى وتقودها في اعمالها ، وحيثما حلت المحبة الحقيقية ،  
فهنالك تتوحد جميع رغبات الجسد والفكر وتسير كلها في  
مواكب واحد .



والمحبة هي الطريق الوحيدة المؤدية الى العظمة . بل  
هي السلم الواحدة التي بواسطتها تستطيع الطبيعة البشرية ان  
تسمو متعالية الى الالهية . على ان تصریح يسوع بأن جميع  
الآداب مبنية على اساس المحبة إنما هو موافق لفكرة النشوء  
والارتقاء . موافق لنصوص الفلسفة النفسية . موافق للشعور  
الانسانى ولاختبار جميع ابناء الاحياء .

وإني لا أستطيع ان أجد في أي معلم من معلمي الانسانية  
معرفة بعيدة القعر مثل هذه المعرفة .

وما أجمل الآيات الخالدة التي نطق بها فيلسوف  
المسيحية في وصف المحبة قائلاً :

« لو كنت أنطق بالسنة الناس والملائكة . ولم تكن في  
المحبة . فإنا أنا نحاسٌ يطنٌ أو صنجٌ يرنٌ . ولو كانت لي  
النبوة ، وكنت أعلم جميع الاسرار والعلم كله ، ولو كان لي  
الايمان كله ، حتى أنقل الجبال ولم تكن في المحبة فلستُ بشيء .  
ولو بذلتُ جميع أموالى لإطعام المساكين . واسلمت جسدى  
لأحرق ، ولم تكن في المحبة فلا أنتفع شيئاً . المحبة تتأني  
وترفق . المحبة لا تحسد ، ولا تتباهى ، ولا تنتفخ ، ولا تأتى

قباحة ، ولا تلمس ما هو لها ، ولا تحتد ، ولا تظن السوء ،  
ولا تفرح بالظلم بل تفرح بالحق ، وتحتمل كل شيء ، وتصدق  
كل شيء ، وترجو كل شيء ، وتصبر على كل شيء . المحبة  
لا تسقط ابداً . اما النبوات فستبطل ، والالسنة تزول ،  
والعلم يبطل . فانا نعلم علماً ناقصاً ، وتنبيأ تنبؤاً ناقصاً فني  
جاء الكامل يبطل الناقص . اني لما كنت طفلاً كنت انطق  
كالطفل وأعقل كالطفل وافكر كالطفل . فلما صرت رجلاً  
ابطلت ما هو للطفل . لانا الآن ننظر في مرآة على سبيل  
الغز . اما حينئذ فوجهها الى وجه . لاني أعلم الآن علماً  
ناقصاً . اما حينئذ فسأعلم كما علمت . والذي يثبت الآن  
هو الايمان والرجاء والمحبة . هذه الثلاثة وأعظمهن المحبة .



## الوهم في السلامة

« ابن بيتك في جانب بركان »

ينتهي

أكثر الناس يعتقدون بأن المسيحية إنما جاءت إلى العالم  
لكي تؤكّد لنا خلاصنا من خطايانا، أو بعبارة أخرى لكي  
تحافظ على سلامتنا .

وهذا الاعتقاد هو نتيجة للفرض بأن الرغبة في السلامة  
هي أعظم رغبات الجنس البشري . وكل هذا الفرض ليس  
بالحقيقة سوى محض وهم وانخداع . لأنه لا ينشد السلامة سوى  
ذوي العقول الدنيئة من الجبناء وأما ذوو العقول الصحيحة  
والاجسام الصحيحة فهم يرغبون في أن يعيشوا في هذا  
العالم ممتلئين من الهمة والجرأة والحياة .

وليس في استطاعة انسان أن يعيش في هذا العالم حياة  
تستحق الاعتبار بدون خطر ومغامرة . فالخطر هو أعظم  
الأصدقاء المخلصين في محبة النفس .

بل إنما الخطر والحياة شقيقتان توأمان لا تفارق واحدهما

الآخري قيد شعرة . لان كل كائن حي هو تحت الخطر  
سحابة حياته، وما من شيء مستريح في الحياة رافل في أمن  
وسلامة سوى الاموات والكائنات الغير الحية . لان الحياة  
نفسها قوة تجاهد أبداً ضد القوات المعادية لها وتبذل كل ما فيها  
من العزم للتغلب على هذه القوات التي تريد أن تفترسها .  
ولولا هذه القوات المعادية للحياة لما كان للحياة من غاية تسير  
اليها أو عمل تقوم به .

على أن الرأي الغالب في العالم القائل بالذهاب الى جنان  
نتمتع فيها بالسلامة والنجاة من جميع الاخطار قلما يؤثر في  
عقيدتي . لانه اذا جردت الحياة من الميل الى الخطأ وفعل الشر  
فان ذلك يؤدي الى تخنيث النفس واطعافها . لان أعظم قوة  
عاملة على تهذيب الانسان هي ميله لفعل الشر إذ أي فضل  
للانسان الذي يفعل الخير لانه لا يقدر أن يفعل شراً البتة ؟  
وقد عارض يسوع باقواله واعماله العقيدة المقررة في  
السعي وراء السلامة من الاخطار . فإوصانا أن لا نجمع الثروة  
ونخزنها في خزائننا على الارض لكي نحافظ بها على سلامتنا  
من الفقر . وأمرنا ألا نهتم بالغد، وأن نعيش مغامرین معرضين

اللاخطار وانه لمن الغريب أن نجد في تعاليم الدأعداء يسوع -  
نيتشي - مثل هذا التعليم الجميل  
فقد كان الفيلسوف الالماني مجنوناً بحكم جميع المؤرخين  
ولكن المجانين كثيراً ما يأتون بحكم قلما تبلغ اليها افهام الاصحاء  
العاقلين .

وكان نيتشي حكيماً بالغ الحكمة عند ما طلب الى الناس أن  
يعيشوا تحت الخطر بقوله . « ابن بيتك في جانب بركان »  
أجل . ان مانسميه بالسلامة أو الامن من الاخطار  
وهم لا حقيقة دونه .

فانه لا فرق اينما وضعت أموالك في هذا المصرف أم في  
تلك الشركة الكبيرة ، فانك لن تستطيع أن تكون واثقاً بأن  
مالك لن يتخذ له أجنحة ويطير الى حيث لا يرجع .  
وانك مهما بالغت في العناية بصحتك وأفرطت في الحمية  
والوقاية فانك لا تستطيع به أن تثق بأنك ستحيى الى الغد .  
لانك حينما وجدت الحياة تجرد شقيقتها الوحيدة التي  
هي الخطر .

فان الناس الآمنين من الاخطار في مدينتك هم أولئك

المتكئون في المقابر تحرسهم الحجارة الثقيلة الموضوعة على صدورهم .

لان الحياة تشبه ركب الدراجة - فانك لا تستطيع أن تحافظ على سلامتك من السقوط متى ركبتها الا اذا واطبت على المسير . ولكنك متى وقفت وجب عليك أن تنزل عنها والاسقطت الى الارض

فلماذا لاتتخذ هذه العقيدة شريعة مقررة في الطبيعة التي من الجنون أن نهزأ بها وبأحكامها ؟ فانها تنقذنا من خيباتنا العديدة .

لان السعادة الحقيقية في الحياة انما هي السعادة التي تنالها في عمالك يوماً فيوماً . وأما السعادة التي تحلم بأنك ستنالها يوماً ما في المستقبل البعيد فهي اشبه بالسحابة التي تبدو لك جميلة بهية عند غروب الشمس لانها تكون بعيدة عنك ، واذا بلغت اليها اتضح لك انها ليست سوى ضبابية مظلمة قائمة .

جميل أن يكون لك في حياتك محجة تسير اليها ، ولكن يجب أن تعلم ان الفرح العظيم الذي تناله من هذه

المحجة انما يأتى عن طريق سيرك اليها وليس من بلوغك اليها  
وقد قال روبرت لويس ستيفنسون ، ان البركة الحقيقية التي  
يتمتع بها المسافرون من الناس ، « ليست في الوصول بل في  
السفر . »

وفي الدين نفسه قد أسأنا فهم « الخلاص » ، ولم نعرف  
كيف نستثمره .

فقد خيل الينا ان بركة الحياة انما تتم لنا بالافتلات من  
الحياة الى حياة غيرها بعد القبر . ولكن بركة الحياة يجب أن  
تكون كائنة فيها . والخلاص ، عوضاً عن أن يكون قوة  
تنقذنا من العالم يجب أن يكون قوة ترفع نفوسنا الى أسمى  
درجات الكمال حيث نحى حياة تفيض غبطة وبركة .

وقد قذف بنا الدهر الى هذا الوجود لكي نعمل باليوم  
وليس بالمقاطعة . والدهر لا يدفع الأجرة لفعلة الا يوماً  
فيوماً ولذلك لا نقبض أجرتنا عند انتهاء العمل المعين الذى  
نعمله ، بل ننال أجرة كل يوم بيومه ونحن مكبون على عملنا ،  
اللهم اذا قبلنا بها شاكرين .

ولذلك كان أوفر الناس سعادة أولئك الذين يأكلون

المن الضروري لحياتهم كل يوم بيومه ، ولا يخزنونه في أهرائهم  
فكل ما يحتاج اليه الانسان في حياته اليومية قليل من  
المحبة ، وقليل من العمل ، وقليل من اللعب ، وقليل من  
النوم . واذا قدرنا أن نصنع هذا القليل بألوان قوس قزح  
الامل ، وأصباغ الخيال البعيد ، وتأملات الحكمة حينئذ نجد  
الحياة ذات قيمة عظيمة فنجيا بها .

فلم الانتظار ؟ ولم التأجيل في الحياة ؟

فليس هذا بالوعظ السقيم الذي يجدر به أن يُطرح في  
زاوية النسيان من فكر الانسان ، بل هو الطريقة الوحيدة  
لاستثمار المبادي ، النافعة في الحياة .

وان الارض التي نسير عليها جميعنا ليست قائمة على  
أعمدة صلدة ثابتة بل هي تدور كالفقاعة المتموجة في الفضاء .  
والوجود بأسره متواز في دقة الشعرة ، ومامن شيء  
ثابت آمن فيه ، بل كل شيء في فيضان وغليان .

وأما الشيء الوحيد الثابت على حال واحدة فهو القوة  
العاملة على تغيير الكائنات من حال الى حال . فان النمو هو  
شريعة الحياة الواحدة ، والذين يعرفون كيف يتمتعون بسعادة



الحالة التي يكونون فيها في أدوار تطوراتهم هم الذين يأخذون من الحياة أفضل ما فيها . لذلك فليعب الولد كولد ، وليترحم الشاب لقوته ، وليفرح الشيخ بمسرات شيخوخته المطمئنة . وليعش كل منا في هذا العالم ، كيفما وأينما وضعت الحياة ، فرحاً مُغتبطاً ، وليؤمن بالحياة من أعماق قلبه ، وليحب الحياة حبه لربه .

واننا واثقون بأن أفضل تأ كيدلدوام الوجود بعدالموت انما يتم لنا اذا عرفنا كيف نعيش هذه المدة المعينة لنا قبل الموت كما ينبغي ويليق .

وشد ما يخطيء الذين يستعملون كلمة « خلاص » بمعنى الانقاذ من عذاب نار الحجيم بعد الموت . لأن هذه العقيدة ليست من المسيحية بشيء بل هي فكرة وثنية قديمة مأخوذة عن خرافات اليونان والمصريين وعقائدهم السرية في العالم الثاني . فان يسوع إنما أراد أن يخلف في شيء واحد ، وهو التعاسة . وقد فعل ذلك باعطائه ايانا من حكمته ما نستطيع به أن ندرك القوات التي تعمل على تعاستنا وشقائنا ونزيلها . وايضاحه لنا قوة المحبة . التي هي معين السعادة والطمأنينة بين الناس .

وبعبارة أخرى ، اننا كنا نستطيع أن ندرك حقيقة حياة  
يسوع ادراكاً أفضل وأكمل لو كنا فكرنا أنه قد جاء الى العالم  
لكي يعطينا الفرح والسعادة لا الكآبة والسلامة .

فقد قال بغمه الطاهر : كلمتم بهذا ليستقر فرحي فيكم  
ويكون فرحكم كاملاً .

وفي موضع آخر نراه يسمى الروح القدس « بالمعزي »  
وان القوة الحقيقية المجددة التي كانت تعمل في قلوب  
المسيحيين الاولين ناشرة البشارة في جميع انحاء العالم القديم  
انما هي قوة الفرح والطائفة . فكانوا بفرحهم وجرأتهم  
وثباتهم أمام أعدائهم ومضطهديهم وحياتهم الممتلئة من الرصانة  
والجمال يكللون باكاليل النجاح في أعمالهم ، وبذلك جميعه  
حملوا العالم على اعتناق ديانتهم وغيروا طبائع الناس اجمعين  
أما زخارفهم ، واحتفالاتهم ، وعطاياهم ، وما حصلوا عليه  
من معاضدة الحكومات ، وما جمعه من جنود الصليب  
المحاربين . وجيلهم وشعور ذاتهم السرية ، واضطهاداتهم المتعددة  
المرعبة ، وخطبائهم وعلماء الكلام فيهم ، ورجال المنطق والعلماء  
باسرهم — فقد كانوا للمسيحية كتخشبية البنائين للبناية الجديدة

وكعهد الاوراق الذهب للشجرة، وكالجلية، والبلبلة، والنجارة  
والخشارة، والنفاية، وقرضات النار للمعمل العظيم .  
لان القوة العظيمة السامية، القوة الصامته العاملة في  
المسيحية انما كانت وما برحت، وستبقى الى الابد كائنة في  
حكمة يسوع ومحبه، وهي القوة الوحيدة التي بدلت مبادئ  
الانسانية وسكبت من معينها النقي مياه القوة الحقيقية في  
قلوب ابناء الارض



## الوهم

في تفوق الكسل على العمل

« إن جميع أجداد الأرض مبنية على الكسل ، ولكن يسوع قد علم بمجد العمل »

من غريب الأمور أن تغلب على فكر العالم العقيمة القائلة؛ بأن الذين يشتغلون في العالم هم أحقر من الذين لا يعمل لهم يعملونه . لأن جميع أجداد الأرض قد قامت على الكسل والخنول . فقد كان جميع ملوكها وأسيادها الأريستوقراطيين كسالى خاملين . ولا تزال هذه الفكرة سائدة في أوروبا اليوم . فإن أكثر الأشراف والأغنياء ينظرون الى العمل والاتجار نظرة كره واحتقار . وعندهم أن شرف الإنسان يقاس ببعد المسافة بينه وبين الجد الأول من سلالة أسلافه الذي كان يحصل على خبزه بعرق وجهه

وفي أكثر أنحاء العالم اليوم ضرب من الجنون المطبق . يعتقد أكثر الناس بأنه الحقيقة بعينها . وخلاصته : أن جميع

الاعمال في العالم يجب ان تقوم على اكتاف المساكين من ابناء  
الانسان الذين لا يعرفون كيف يهربون من العمل . وان  
الذين ليس لهم عمل يعملونه في الحياة بل يعيشون من أموالهم  
الموروثة عن غيرهم ، يجب أن ينظر اليهم العالم نظرتة الى  
أسياد جبلتهم تختلف عن جبلة الفقراء والعمال ، فهم أبناء الدم  
الازرق ، ومنهم الحكام والاسياد . هذا هو الاساس الرث  
البالى الذى تبنى عليه اكثر صروح المدينة الاوربية الحديثة .  
واننى لا أذكره لكى أزعزع أركانه ، بل انما أشير اليه لكى  
أبسط لكل ذى عينين ضرره وشره ، حتى اذا مررت به  
يوما ما تستطيع أن تميزه لبشاعته وكراهة منظره

وان اكثر الناس في جميع انحاء العالم ينظرون الى العمل  
نظرتهم الى مصيبة أو ضربة تحل بهم . فهو واجب لا بد من  
قضائه والفراغ منه بسرعة لكى نستطيع بعدئذ ان نلعب  
ونستريح ونرقص فرحين بتخلصنا منه . لاننا نعتقد بان  
العمل لعنة سكتتها الازمنة على رؤوسنا

ولكن يسوع قال ، « أبى حتى الآن يعمل ، وأنا  
أعمل » ، ومع اننى لا أريد أن اكثر من الشواهد الكتابية في

هذا الموضوع فان في هذه الآية التي تقوه بها يسوع دليل  
كاف لنقض الرأي القائل بأن العمل لعنة من الله لا دم  
وحواء عند ما طردهما من الفردوس

على ان رأينا الناقص في العمل إنما هو نتيجة النقص  
في ادراكنا لكنه الحياة البشرية وجهاننا كيف وجدت، وكيف  
تم سعادتها وطمأنينتها .

وما لا جدال فيه ، أن كل كائن حي من الانسان الى  
أدنى انواع الحيوان قدرت له الطبيعة عملاً يتمه بفرح  
وسرور ، فللإنسان ، كما للحيوان ، لذة فائقة في القيام الطبيعي  
برغبات غرائزه وشهواته ، لان العالم قد شدت أوتار قيثارته  
على الفرح ، والفرح مالىء حياة جميع الاحياء وخصوصاً  
بالقيام بوظائفها فاذا تعلم كلب الصيد على الركض فانه لا يتم  
سعادته ما لم يركض واذا تعود القرد الحياة بين الاشجار فانه  
لا يفرح ما لم يقفز من فرع الى فرع ويلق ذنبه ببعض  
الاعصان العالية . وبعبارة أخرى ، فان كل كائن حي ، إذا  
أراد أن يكون سعيداً ، يجب أن يتم العمل الذي رُسم له  
أما الانسان فقد أُقيم في الارض لكي يصلحها ويسير

بها في معارج التقدم والفلاح ، ويحول الفوضى التي فيها الى نظام وسلام، ويحصل على غذائه ومسكنه وكسائه من خيراتها، ويروض ما فيها من القوات الطبيعية ويخضعها لارادته ويضطرها فترك له مكاناً كافياً لرياضة فكره

وما السعداء في العالم سوى الذين يتاح لهم ان يقوموا بهذا الواجب المقدس حق القيام، والقاعدة الغالبة في الارض ان العمال هم السعداء القانعون بما قسم لهم . ولكن الاغنياء الكسالى الخاملين هم الذين يشيرون نيران الشر والاضطراب في العالم . ولم ير العالم أدباً أو فضيلة أو ديناً انتشر إلا بين العمال الفقراء . فالمسيحية وجميع فروعها المتعددة قد بدأت بين طبقات العمال . وقلما نجد في صفحات التاريخ ان كبيراً أو وجيهاً من الواهين في التفوق على غيرهم من أبناء الانسان قد اختلج قلبه بعاطفة خير أو فضيلة قط . فان السعادة ثمرة من ثمار العمل اليانعة . فالعامل العادي من الناس تم سعادته اذا كان يشتغل ويحصل على خبزه الجوهري يوماً فيوماً . ولذلك علمنا يسوع ألا نضيع نفوسنا الخالدة في جمع المال وحشد الثروة الزائلة . ولا يعني ذلك ان الفقر لذيد مرغوب

فيه بذاته بل ان الكسل قتال يطعن صاحبه في كبد حياته  
وعند ما قال يسوع ، انه اسهل على الجمل ان يدخل في  
ثقب الابرة من ان غنياً يدخل ملكوت السماء ، فانه لم يقصد  
ان الغنى بذاته شر للانسان ، بل ان الانسان يكون غنياً جاهلاً  
إذا كان يعتقد بأن سعادته آتت له في مجرد الحصول على الغنى  
للتلذذ به في الكسل والخمول . لان الانسان الذي يقضى عمره  
في جمع المادة الميته في الحياة يخسر التمتع بسعادة الحياة الحقيقية  
فالحياة السعيدة انما هي في العمل اليومي عن رضى وقناعة  
لاجل المعيشة الصالحة ، واذا لم تعلم كيف نكون سعداء في  
عملنا ، وكيف ننال سعادتنا الحقيقية من عملنا ، فاننا سنظل نعتبر  
بأذيال عبوديتنا للمادة خابطين خبط عشواء في دياجير الاوهام .  
لاجل هذا أعلن يسوع ذاته لعامة الشعب ، وقضى  
حياته بين الفقراء الذين كانوا يشتغلون للحصول على الخبز  
الجوهري لحياتهم . ولم يزعج ذاته قط للعمل مع الطبقات  
العليا الكسولة الخاملة . لان غايته الوحيدة من تعاليمه إنما  
كانت منحصرة في أن يوضح للعالم كيف يكفون ذواتهم على  
ضروريات الوجود ، وكيف يعيشون حياة رضية ، جميلة ،



تنوعة بما تحصل عليه كل يوم بيومه . فلا أثر في تعاليمه لعقائد  
الطمع والجشع والعبادات السرية التي لا يمارسها بين الناس  
إلا كل خامل لكم

وانه لمن عجيب الغرائب أن يحتقر العالم العمل الذي  
هو حياته . فقد شاهدت غير واحدة من صور الجحيم حينما  
مُثل فيها مسكن الرجيم ممتلئاً من مداخن المعامل ودواليب  
الآلات الصناعية العديدة . ولا أذكر اني رأيت في حياتي  
صورة من صور السماء تمثل ملاكاً أو قديساً له عمل يعمله  
سوي الكسل والبطالة . ولذلك فاني أعتقد بأن كل وجود ،  
سواء في هذه الحياة أم في الحياة الثانية ، لا تعمل فيه النفس  
عملاً صالحاً للمحيط الذي تعيش فيه ولا حياء قواها وانتعاشها  
انما هو وجود سمج ممقوت .

أما رأيي في السماء فهو رأي صموئيل جونسون . فانه  
فما كان يتنزه في بستانه مع صديقه بوسوال ذات ليلة وهما  
يتأملان في السماوات المرصعة بالنجوم ، سأله بوسوال ، ماذا  
يعتقد بالحياة المستقبلية . فأجابه على الفور قائلاً ، ان الشرائع  
التي تسود علينا في هذه الحياة ستظل سائدة علينا في الحياة

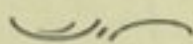
الثانية . ولذلك فاني أعتقد بأنه اذا كان لي أن أحيأ حياة ثانية بعد هذه الارض ، فاني لن أكون سعيداً هنالك مالم يكن لي عمل موافق لطبيعتي أعمله مُذراً للعقبات التي تقوم في سبيلي وعاملاً على درس الشرائع وحلّ القضايا التي هنالك التي تستلذها الحياة البصيرة المفكرة . وبعبارة أخرى ، فاني لأحب أن أذهب الى السماء مالم أجد لي عملاً فيها .

وقد قال روبرت لويس ستيفنسون في هذا الموضوع ما خلاصته : انه مع شدة اخلاصه في محبته لامرأته ، والمرارة الشديدة التي تتسبب له اذا خطفها الموت من بين يديه ، فانه مع ذلك يستطيع أن يتصور بإمكانية الوجود والمثابرة على عمله بدونها . ولكنه لا يستطيع أن يفكر في أي نوع من دوام البقاء الذي يفصله عن عمله .

وخلاصة ما تقدم ان الناس وجدوا لكي يكونوا سعداء في حياتهم ، وفي عملهم . وان أفضل ضمان للمستقبل ( سواء كان هذا المستقبل غداً أم بعد الموت ، فهو محبوب عنا أبداً ) انما هو في الحياة السعيدة ، الحياة الجريئة ، الحياة المدركة اليوم وعلى هذه الارض .

## الوهم

في منفعة الافراد في العمل



« ان ملذات الحياة لا تركض ركضاً متوازياً  
في طبقة واحدة من الناس ، - بل هي تركض  
ركضاً عمودياً في جميع الطبقات »  
( حنة أدمس )

ومن الاوهام التي لطخت الفكر الانساني الوهم في ان  
الافراد في العمل نافع ويجب التقيّد برغباته .  
ولذلك نرى البيوت التجارية تعلن بأحرف كبيرة أن  
لديها كمية كبيرة من الاحذية والاقمصه ، وأغطية الاسرة  
وساعات اليد النادرة المثل . وهذا الاعلان كثيراً ما يؤثر على  
المؤمنين بأن كل شيء تعلو قيمته كلما قل عدد الذين يستعملونه  
ومع ان حجر الماس جميل بذاته ، فان اللذة التي ينالها صاحبه  
لا تتوقف على جماله بل على ان الذين يستطيعون ان يقتنوه  
قليلاً جداً بين الناس . والرجل الغني لا يبني قصره لمجرد  
محبه للجمال والراحة فحسب ، بل لكي يظهر انه يقطن في

بيت قل بين الناس من يستطيع أن يبني مثله في المحيط الذي يعيش فيه. وفي المسارح العمومية ترى الناس يفضلون أن يجلسوا في المقاعد الخاصة الغالية الاثمان القائمة في جوانب المسارح فلا ينظرون إلا جانباً من دكة المسرح حيث يجرى التمثيل ولا يقعدون في صدر القاعة مع بقية الناس بحيث ينظرون كل شيء .  
واننا نرى الرغبة في الانفراد في العمل والاثرة تتحكم في جميع طبقات الناس وفي سائر مراتب الحياة على السواء .  
فهناك المتحذائق في الآداب ، الذي لا يقرأ سوى الكتب والمجلات القليلة الانتشار الغالية الاثمان ، ويستلذ البذل في سبيلها لمجرد معرفته ان أكثر الناس لا يقدرون على الحصول عليها وهناك المتنطس في الدين الذي يفاخر متمجراً في ان طائفته تضم خيرة الناس وان الذين يفهمون مبادئها قليلون .  
بل ان أكثر الناس يعتقدون بأن التفوق انما هو الانزواء عن الناس والابتعاد عن عمل ما يقومون به من الاعمال .  
وقد قالت حنة ادمس مرة ، « ان ملذات الحياة لا تتركض ركضاً متوازياً في طبقة واحدة من الناس ، — بل هي تتركض ركضاً عمودياً في جميع الطبقات . » وكانما أرادت أن تقول ،

ان أفراح الحياة وملذاتها بسيطة وعامة لجميع طبقات الناس ،  
وهذه الملذات لا تنحصر في الاكل ، والشرب ، والحب  
واللعب فحسب ، بل هي قائمة في الملذات المتولدة عن الافكار  
والتأمل ورياضة الروح البشرية .

وان أعظم ما في الروح المسيحية انها بعيدة عن هذه العقيدة ،  
لان يسوع بدعو جميع الناس الى ملكوته على السواء .

وكم في العالم من النظم والآراء والمبادئ والجمعيات المختصة  
بعضها بالبريطانيين ، وبعضها بالفرنساويين ، وبعضها بأبناء  
الكليات ، أو بهذه الطبقة أو تلك الجمعية من الناس ، ولكن ميزة  
انجيل يسوع التي ترفعه عن جميع نظم العالم وشرائعه انما هي  
انه معد لكل مخلوق انساني مولود من امرأة على الارض .

فان الديانة التي علم بها يسوع هي ديانة عامة جامعة لسائر  
الامم والشعوب والاجناس والالوان ، والطبقات والجمعيات  
ففيها لكل انسان يونانياً كان أم يهودياً ، أمير كياً أم صينياً  
ما هو في أشد الحاجة اليه للبلوغ الى سعادته وكمال حياته . ولذلك  
فهي المبدأ الوحيد في العالم الذي تستطيع أجزاء الانسانية  
المتباعدة المتفرقة أن تتخذه أساساً لوحدتها وتأليف جامعتها .

## الوهم في أن الوثنية حرية

« قد بطلت الوثنية لان العالم سئمها  
ومل منها » .

قد اعتاد ذوو العقول غير المختمرة بمخمرة الروح المحيية  
الاعتقاد بأن لهم في الوثنية حرية لأنفسهم  
فان أمثال هؤلاء بحياتهم بين الجماعات المسيحية لم  
يستلقت أنظارهم بنوع خاص سوى الحدود والقيود التي  
أوجدتها الكنائس المختلفة لتقيدها أبناءها  
وقد أقامت الكنائس هذه الحدود لاجل التعليم  
والتهذيب ، وهي نافعة في كل موقف من المواقف التي تدعو  
الى التأدب والحضارة . غير انها في المحيط البعيد عن الحياة  
الروحية لا تولد سوى التمرد والعصيان  
على ان كل دين من الاديان المنظمة المرتبطة بوحدة في  
شرائعها كثيراً ما تولد قوانينه ونظمه انفجاراً في العقول  
الضيقة يقودها الى الكفر والاحاد  
فهناك الكافر الخارج عن الكنيسة وهو عدو لدود  
لروح التساهل في الكنيسة

وهنالك فريق من عامة الناس الذين يفصلون ذواتهم عن الحياة الروحية لما يجدونه من الصعوبة في الدساتير الروحية وهم بشر مثلنا ، لهم ما لنا من الشهية الروحية التي هي غريزة انسانية عامة. ولأجل اشباع هذه الشهية الروحية يهيم البعض منهم على وجوههم في حقول الاديان العديدة ملتقطين من غرائبها ونواديرها ما يوافق طبائعهم ويلائم غرائزهم

وهنالك فريق آخر من المعرضين عن الدين المتعمقين من درس آداب الكلاسيك (١) السابقة للعهد المسيحي ، أولئك الذين خبروا اللذة الكائنة في التهذيب ، وهم يرتدون بعيون متعطشة لارواء ظمأ روحانيتهم من ينابيع الوثنية وقد أحسن وود وُورث بإيضاح هذه العاطفة بقوله:  
« أيها الاله العظيم ! أود لو أكون وثنياً أضع من حليب عقيدة رثة بالية .

« فيتاح لي ، وأنا واقف في غابة هذه الحياة الجميلة  
« أن أمتع عيني بنظرات تقلل من يأسى وبؤسى

---

(١) يقصد بها آداب أهل العلم من اليونان والرومان واضعياً أساس العلوم والفنون والدين يرجع اليهم في المشكلات .المعرب

« فأرى بروتاوس<sup>(١)</sup> ناهضاً من البحر  
وأسمع الشيخ<sup>(٢)</sup> تريتون ينفخ في بوقه العظيم »  
ولكن المصيبة الكبرى أن هذا الحنين الذي يدفع بهؤلاء  
الناشزين عن المسيحية إنما هو حنين مؤثر منجم ، لأن  
الموضوع الذي يجذبون اليه لا يحتوى على أكثر مما في التفاحة  
الصناعية من الغذاء ، أو ما في الوردة المزورة من العطر  
لأن الوثنية لم تكن بالحقيقة سوى قوة وهمية عظيمة  
تأخذ بجميع مخاوف الانسان . ولذلك قال الرومان ، « ان  
الخوف يصنع الالهة »

(١) بروتاوس Proteos : هو أحد الهة البحر ، وهو ابن أوقيانوس من  
تأسيس امرأته ، أو على رأي بعض علماء الميثولوجيا ، هو ابن نبتون  
( بوسيدون ) وفنيس . وقد نال موهبة النبوة من نبتون . ولكنه كثيراً ما  
كان يرفض أن يجيب الراغبين في استشارته عن أسئلتهم ويوقعهم في الحيرة  
بظهوره أمامهم بأشكال مختلفة — المعرب

(٢) تريتون Triton : هو أحد الهة البحر أيضاً ، وهو  
ابن نبتون وأمفيتريت . وقد كان شديد القوة ، يهده حدة البحر وشدة  
المواصف كلما خطر له . وكان يعيش مع أبيه وأمه في قصر عظيم من الذهب  
الحالس قائم في قعر البحر . وقد ذكر الشعراء المتأخرون كلمة تريتون بصيغة  
الجمع وهم يعنون بها طائفة من الالهة البحرية الصغيرة . أما المظاهر التي كانت  
تظهر بها متعددة مختلفة ، ولكن الغالب في وصفها أنها كانت تمثل الهيئة البشرية  
في القسم الاعلى من جسدها وكان القسم الادنى من جسمها بشكل سمكة . وفي  
مقدمة ميزاتها في الفن والشعر أنها كانت تحمل بوقاً عظيماً تنفخ فيه لتهدي  
أمواج البحر النائرة — المعرب



فموضاً عن أن يخاف الإنسان إلهاً واحداً كان القدماء  
يخافون الوفا من الالهة

وإنما يتميز انتصار الايمان الحديث في نظره الى الالهية  
نظرته الى صديق ودود، والى جميع المخاوف التي لا تزال  
سائدة عليه حتى اليوم نظره الى ثياب رثة بالية قد ورثها عن  
الوثنية القديمة ولم يستطع بعد على تمزيقها وطرحها عنه  
فالوثنية كانت تعتقد بأن كل واحد من الهتها سيد  
أوتوقراطي جبار ظلوم، وقد كانت الهتها جيوشاً من رجال  
الشرطة السرية والجنود القساء

فكان الانسان في ذلك العهد المظلم يعتقد بأن تحت كل  
شجرة من أشجار الاحراج الهام مستورا عن الانظار، وان  
في كل عليقة الهام، وان في كل عاصفة ربا جباراً. فكانت  
الالهة في كل مكان. وكان كلما مشى في حرج، أو اقترب  
من عليقة يخاف أن يدوس على واحد من هذه الالهة فيثور  
عليه ويقتله. وكان إذا جاء إلى الماء ليستحم يُخيل إليه أن  
هنالك الهام سيقبض عليه ويخطف روحه

ولكن الفكر الانساني لا يستطيع أن يستقر في محيط

ممتلئ من الخوف، ولذلك لا يلبث ان يتغلب عليه أو يخلفه  
وراءه مع الزمان. لانه ليس في الحياة اكثر ملاماً من الخوف  
وقد بطلت الوثنية لان العالم قد ستمها ومل منها. وكما  
انه يصعب بل يستحيل على الانسان البالغ الحكيم أن يسلم  
بصحة حكاية الف ليلة وليلة هكذا يستحيل عليه ان يرتد عن  
عبادة الاله الواحد إلى الشرك والاحاد



## الوهم في تقسيم الناس الى طبقات

﴿ ان يسوع هو أول ديموقراطي عظيم في العالم ﴾

« لاشك ان الله قد أحب عامة الناس ،

لانه خلق كثيرين منهم . »

( ابراهيم لينكن )

اننى أعتقد بأن يسوع هو المؤسس الحقيقي للديموقراطية العملية . لان الديموقراطية انما هي الثقة بالشعب ، الثقة بعامة الشعب قاطبة ، ولذلك تتميز عن غيرها من أنواع الحكومات التى تعلم بان العامة من الناس يجب أن يكونوا عبيداً للخاصة ذات الاهلية للتهديب والحكومة والمدنية .

وأعظم ميزات يسوع عن غيره من المصلحين انه حصر تعليمه بين العامة ولم تكن له علاقة قط بالعلماء ولا بالطبقات العليا من الحكام والاعنياء .

فقد قدم دعوته للعامة ، وكانت العامة تصفى الى تعاليمه بفرح وسرور . وفي جميع أدوار حياته لم يفهم تعاليمه سوى العامة من الناس ، وجميع العقبات التى قامت في سبيل

الانجيل كانت صادرة من الطبقات العليا في الشعب . بل اننا  
اذا أمعنا النظر في درس تاريخ الكنيسة المسيحية نرى كلما  
تقدمت في القوة والثروة وبالغت في العجب والكبرياء كانت  
تنحرف عن السراط المستقيم الذي رسمه لها يسوع وتنحدر  
في أزقة الوثنية القذرة . أما ملح الارض الذي حفظ المسيحية  
من الفساد فانما هو الرجل العامي المسكين

أجل إن يسوع قد خاطب الفقراء الودعاء الذين كان  
يمر بهم في الشوارع . وقد أودع رسالته عقولا ساذجة من  
أصغر عقول أبناء العالم . ولذلك دعاه الاعيان في زمانهم صديق  
العشارين والخطاة . والمبادئ السامية التي نشرتها بشارته في  
العالم هي القوة التي طالما قلبت عروش الاستبداد وقضت على  
امتيازات الطبقات العليا من البشر ، ومكنت الرجل المسكين  
أن ينهض من شقائه ويتمتع بحقوقه كأحد أبناء الانسانية .

على أن الديمقراطية الحقيقية لا تعني بته المساواة بين  
الناس ، لان الناس ، لم يخلقوا متساوين بل خلقت لكل منهم  
مواهبه وعطاياه ، وكل ما في الديمقراطية أنها تساوي بين  
ظروف الجميع . وانما اعني بذلك أن الديمقراطية تفسح المجال

لكل انسان أن يكون له مركزه في السباق الانساني العام  
ففي الديمقراطية تفوق لقوم على قوم، ولكن اذا جاءت  
الديمقراطية الحقيقية فحينئذ يصبح التفوق ملكاً لاصحابه  
الجديرين به ولا يتوقف اذ ذلك على الطبقة أو العائلة أو أمثال  
ذلك من الامتيازات الكاذبه .

وقد كان يسوع ذا ثقة عظيمة وايمان ثابت في الشعب  
وبخيل إلى أنه ليس من التعصب أن أقول ان الايمان بالشعب  
والثقة بصالحهم وحكمتهم ، ضروري للمسيحي كالايمان  
بحكمة الله وصلاحه .

لانه اذ كان الله حاضرا في كل مكان فهو لا شك حاضر  
في الشعب الذي خلقه . ولذلك لا نبعد عن الحقيقة اذا وضعنا  
الشعب في ذهننا عوضا عن الكائن الاعلى عندما نردد الآية  
القائلة « فمن يؤمن ( به ) يخلص ، ومن لم يؤمن ( به ) يُدَن » .  
لان أكثر المصائب التي نزلت بالانسانية على ممر العصور  
انما كانت نتيجة لعدم الايمان بالشعب . ولذلك قد حلت بنا  
هذه الدينونة العظمى التي تبدو طلائعها في سائر انحاء العالم .  
ومن أغرب الغرائب أن يقاب الناس تعاليم المعلم الصالح

ظهر ألبطن واهمين أنه من الصلاح والفضيلة أن يمتد  
الانسان بأن العالم شرير وممتلىء من الشر وصائر الى الهلاك  
بل كيف نستطيع أن نقبل مثل هذه العقيدة الفاسدة ونحن  
نقرأ في كل يوم الآية، «هكذا أحب الله العالم حتى أنه بذل  
ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به؟»

وهل أغرب من أن تفهم من هذه الكلمات أن الله  
لا يحب سوى بعض أفراد من العالم وهم أعضاء الكنيسة  
الفلانية دوز سائر الامم؟ أجل، ان هذه الآية تظهر بأنهم  
وضوح ان الله يحب الانسانية قاطبة . فيحب عبيد افريقيا  
كما يحب اسياد انكلترا ، ويحب البدو في الصحراء العربية  
كما يحب الملوك والحكام على عروشهم ، يحب الجميع على السواء  
فالخروب قائمة في العالم ، والخصومات سائدة في العراك  
الصناعي والمزاحمة التجارية ، والشقاق لا ينقطع من العائلات  
البشرية ، والفوضى ضاربة أطنابها في سائر أنحاء العالم ، -  
وكل ذلك لاننا حتى الآن لا نؤمن ببعضنا ببعض . وان  
مصائبنا هذه ليست نتيجة لعدم ايماننا بالله بل هي نتيجة لعدم  
ايماننا بالانسان . لاجل ذلك اذا سولت لك نفسك أن

تفوقك في الحكمة والفضيلة يقودك الى احتقار عامة الناس  
الذين يخيل اليك انهم أحقر منك ، فكن على ثقة يا صاح بأنك  
لنقى ضلال مبين .

غير ان العالم وقد مرت به اختبارات نحو ألفي سنة من  
التعليم الصالح لسعادته لا يزال يستغرب الايمان بالانسانية .  
فان انجيل المسيح يحمل للعالم بين دفتيه حقيقة أزلية ثابتة على  
عمر الدهور وهي ، ان عامة الشعب المؤلفة الاكثرية الساحقة  
من الرجال والنساء ، هي أوفر فضيلة وصلاحاً من أية طبقة  
من الطبقات الخاصة التي فصلت ذاتها عن هذه الاكثرية ،  
بل هي اكثر حكمة من الذين يريدون أن يعلموها ويسودوا  
عليها ، وهي أكثر شعوراً من جميع الزعماء الذين يقودونها حينما  
شاؤوا وشاءت رغائبهم .

أجل ، بل ان الرأي الاساسي الذي أنشأ الكنيسة ،  
كجماعة من الناس تفصل ذاتها عن عامة العالم لتستقل بشؤونها  
الخاصة وتكون نائبة عن المسيح في جميع تصرفاتها ، انما هو  
رأى سخيف باطل . لان هنالك جماعة واحدة تستطيع أن  
تدرك أعماق تعاليم يسوع المسيح وتعمل بها وتلك الجماعة

هي العالم بأسره . لأن الله عز جلاله اذا نظر الى العالم  
كجموع واحد يستطيع أن يرى فيه صورته واضحة كما  
في مرآة نقية ، ولكن في مجزئة الوحدة الانسانية مهما سميت  
أجزاؤها المنفصلة بعضها عن بعض لا تظهر صورة الحق  
سبحانه وتعالى إلا مقسمة مجزأة .

وخلاصة الدعوة المسيحية لكل منا أن يؤمن باخوته  
في الانسانية ويثق بهم ، ويحبهم ويساعدهم . ولكن اكثرنا  
يعتقد حتى الآن بأن هذا من رابع المستحيالات . بل ان اكثر  
الناس ينظرون الى الآية الآمرة بعدم المقاومة وبتقديم الخد  
الآخر لمن يصفع على الخد الاول ، نظارة سخريه واحتقار .  
ولكن قل من وقف منا برهة يفكر في الشريعة التي تحلل  
لنا المقاومة ليرى نتائجها في حياتنا . فاننا ما برحنا منذ ألوف  
السنين نحارب ونبغض ونعاقب ونهش بعضنا بعضاً ، فماذا  
كانت النتيجة ؟ فقد بنينا لذواتنا نظاماً اقتصادياً هائلاً للآثرة  
والانانية ، وألّفنا جامعة انسانية ومدنية تثن تحت أثقال  
التعاسة والشقاء وهي لا تجد راحة لذاتها في كل مقتنياتها  
وقد سعى كل منا الى سعادته خارج ذاته فكان بذلك أشبه



يمن بحفر قبره بيده ، وكل ذلك لاننا نتمردنا على تعاليم  
الناصرى الصالح .

ورب قائل يقول ، ان المسيحية قد كانت في جميع  
أطوارها خيبة وفشلا لاصحابها ، ولكن لمثل هذا نقول مع  
المستر تشاسترتون ، ان المسيحية لم تُوضع مبادئها في بوتقة  
الاختبار بعد ليجرأ أحد على الحكم عليها . ولكن اذا كان  
العالم بأسره ، أو أي قسم من أقسامه ، يجرب ممارسة تعاليم  
يسوع المسيح ومبادئه ، فحينئذ يحق لهم ان يحكموا عليها من  
نتائجها ، ولكن طالما نحن نحصر مسيحيتنا بانشاد الترانيم ،  
وتلاوة الصلوات ، وتطبيق طقوسنا وتقاليدنا على طقوس  
الوثنيين وتقاليدهم في عبادتهم فانه لا يحق لنا البتة أن نحكم على  
المبادئ المسيحية .

اجل ، ان يسوع هو مخلص العالم لانه هو مؤسس  
الديموقراطية الحقيقية . لان الديموقراطية وحدها التي تعلم  
الناس الايمان الصحيح بعامة الشعب والثقة بهم ستخلص العالم  
من شقائه ، وتنهض به الى اوج السعادة والمجد .



## أنا مسيحي

لأنني أجد في المسيحية افضل الآمال في الخلود

« ان يسوع لم يعمل على اثبات صحة  
الخلود ، بل آمن به كحقيقة ثابتة راسخة »

ان أصدق البيّنات على وجود الحياة بعد القبر هو في  
عقيدتي كائن في غرائزنا . فان في الانسان كرهاً فطرياً لاية  
عقيدة أو رأي يريد أن يقنعه بأنه يموت كما يموت السكاب  
والحمار . وفي كل أمة وكل نوع من الناس ايمان عميق بان  
الاموات سيحيون في عالم آخر . ومع اننا قاصرو المعرفة  
في أمر الحياة بعد الموت فان الايمان بها يظل ثابتاً في قلوبنا  
وان جهلنا حقيقتها . فان الناس في هذا العصر يذهبون مع  
أمواتهم الى القبور كما ذهب الملايين من قبلهم في جمع الدهور ،  
والآمال تملأ قلوبهم في أن هذا القبر لن يكون فاصلاً أبدياً  
لأحبائهم .

فإنخالق سبحانه وتعالى يستحيل في مذهبي أن يكون  
مع حكمته الالهية قد خلق هذا الانسان وزينه بالعقل والحكمة

لكي يقذف به بعد سنين معدودة في ظلمة الأرض طعاما  
للدود والحشرات .

اننى لا أعرف ان هنالك حياة ثانية في المستقبل ، لان  
هذه المعرفة فوق ما يبلغ اليه ادراكى ، ولكننى أومن بها  
من أعماق قلبى ، وانما أعنى بهذا الايمان اننى اتصرف في هذه  
الحياة « كما لو » كان هنالك حياة ثانية بالحقيقة . وقد وجدت  
بالاختبار اننى عند ما أضع هذا الايمان نصب عينى في سائر  
أنواع تصرفاتى يعود ذلك على وعلى العالم الذى أعيش فيه  
بخير النتائج ، لانه يهذب سيرتى ويقودنى في مناهج الخير  
والفضيلة أبداً . وأما الذين يفكرون ويعملون « كما لو » كانت  
هذه الحياة كل ما في الوجود فانما يؤلفون الاكثريه المطلقة  
من الفاسدين الزائعين عن طريق الحق الذين لا أود أن تكون  
لى أية شركة معهم . وبعبارة وجيزة أقول ، ان الايمان بالخلود  
فعال في حياة العالم ومنتج لثمار الفضيلة والصلاح الكامل ،  
وان عدم الايمان بالخلود يدهور الحياة الى أدنى درجات الظلمة  
فأنا مسيحي لأننى اعتقد بأن كل من يعمل بتعاليم المسيح  
تشر فيه مبادئه ثماراً شبيهة تجعل حياته خالدة . والحياة الخالدة

التي أشار اليها يسوع في تعاليمه هي في عقيدتي متوقفة على نوع الحياة لاعلى مدة بقائها .

اما ثمار الاخلاق التي تأتي بها المبادئ المسيحية في حياة الانسان ، فانها خالدة باقية ترمي الى غاية بعيدة ، لا تتفق مع هذه الحياة الترابية المحدودة . لانه اذا كانت هذه الحياة كل شيء ، فانه يصعب علينا ان ندرك ما هي الاسباب التي تدفع الجندي الى التضحية بذاته لاجل بلاده ، وتحمل الام على تضحية ذاتها فداء عن ابنها ، وترغم كل انسان ان يحتمل الالهانة والشقاء ولا يبلطخ شرفه بملطخة العار ، وان يظل أميناً ولو كانت امانته تؤلمه وتقوده الى الخسران . بل انه يستحيل علينا ان ندرك حقانية الصلاح ، والشهامة ، ونبالة النفس ، اذا لم يكن للحياة نهاية في عالم آخر . بل من يستطيع اذذاك ان يجيب بكلمة عن منطق الخليع الفاسد الذي يترنم في صباحه ومساءه قائلاً ، « فلنأكل ولنشرب ولنفرح لاننا غداً سنموت . » (١)

أما الايمان بالخلود فانه بطريقة خفية ينمي مواهب النفس

(١) - أنظر المحاضرة في آخر الكتاب

وينعشها ويغذيها، واما عدم الايمان بالحياة الثانية فانه يسقى زهور  
النشاط والهمة والرغبة في عمل الخير بماء ممزوج بالملح والزفت .  
على ان يسوع لم يعلم على اثبات صحة الخلود كقضية  
مطروحة للبحث، بل آمن به كحقيقة ثابتة راسخة . فقد علم ،  
وعاش ، وعمل « كما لو » كان سيحيى الى الابد . وكل من  
يتخذ تعاليمه دستوراً لحياته يعمل ويؤمن مثله ، وتصبح حياته  
أجمل وأجدر بالعناية من حياة غير المؤمنين بما لا قياس له  
وليس في العالم عقيدة تعظم الانسانية وترفع قدرها  
مثل عقيدة الخلود ، العقيدة الوحيدة في الحياة الانسانية التي  
تمنع الناس عن التصرف كالبهائم الدنيئة وتعذى جذور التهذيب  
بغذائها المحيي ، وتغرس في العائلة أشجار المحبة والسلام والجمال  
فهى الماسة الفريدة في جيد النفس الانسانية

اننى جزء صغير من الطبيعة ، فالطبيعة قد كونتنى  
ومزجت نارها العجيبة في جبتي . ولذلك فان نفسى تستريح  
وتطمئن الى الطبيعة وما فيها من الحقائق النيرة اكثر مما الى  
معارفى المحدودة والنتائج المغلوطة التى استخرجها بقوة منطقى .  
واننى اعتقد بان الطبيعة اسم مستعار لحقيقة الكائن الازلى الذى

هو الهنا أجمعين . وأفضل وجه استطيع ان أرى فيه صورة .  
الله الخالق انما هو وجه يسوع المسيح . فقد اقترب يسوع  
من الله الي ادنى ما لو د ان اقترب منه ويقترب منه تعالى كل  
بشرى على الارض . وقد قيل انه ما من انسان رأى وجه  
الله في زمن من الازمان قط ، ولن استطيع احد ان يرى  
وجهه تعالى في اى زمن من الازمان المقبلة ، كما اننا نستطيع  
ان نرى النفس البشرية الا بواسطة الجسد الذى تحل فيه .  
لذلك فان آمالى في السماء متعلقة كلها بيسوع المسيح ، الصورة  
المنظورة التى بغير واسطتها لا نستطيع ان نرى الله .

ومتى فارقت هذه الحياة ووقفت وجهالوجه أمام القاضي  
العادل فاننى افرح واطمئن اذ ذاك انى قد وقفت حياتى هذه  
على اطاعة افضل زعيم عرفته صالحا ليكون وكيلا لله عزوجل .  
وعند ما أنقل من هذه الحياة المعروفة الى الحياة التى لا اعرف  
عنها الآن شيئاً فانه ما من فكر سيكون عزيزاً على قلبى  
معزياً لو حدثنى اكثر من الافتكار بذلك الذى تلفظ بهذه الكلمات  
الالهية العجيبة الفتانة : « انا هو القيامة والحياة . وكل من  
يؤمن بي لا يموت الى الابد »

## المسيحية

### أفضل طريق الى الأبدية

« ان جميع ما في آدابنا من الفيرة والحمية  
مستمدة من عقيدتنا في الأبدية . »

إن السبب الرئيسي لاحتقار الحياة ، والشعور بمرارة  
الوجود ، إنما هو نتيجة لازمة لاهمال الانسان التفكير في  
العلاقة الكائنة بين حياته على الارض وبين حياته في العالم  
الثاني .

وليس في الحياة آلم على الانسان من ان يعتقدبانه نوع  
من الحيوان يعيش ويموت مثله ، ولكنه قد تفرد عنه بشيء  
من الذكاء والفطنة الروحية وكثيراً ما يدعو هذا الوم الكثيرين  
من الناس الى اليأس والانتحار .

لان الافتكار في ان الانسان العجيب بعقله وحكمته  
سيموت كما يموت الكلب في الاسواق القذرة ، إنما هو مقدمة  
للنتيجة القائلة ، بان الخالق الذي خلقه على هذا المنوال إنما  
هو مداعب ومازح قاس .

واننا لانستطيع ان نظهر غرابتنا ودهشتنا لكثرة ما في  
العالم من الاستخفاف اللفظ بامور الدنيا . ولكننا ندهش  
انه لم يوجد أكثر من ذلك عند ما ننظر الى العدد العظيم  
من الناس الذين يعتقدون بان الموت نهاية كل شيء .  
على ان الفكر كلما كان نيراً كان القلب أميناً في خدمته  
مخلصاً في طاعته ، وكلما كانت الطبيعة حاسة سامية العاطفة  
ازدادت ثورتها لمجرد سماعها ان مخلوقاً عجيباً له حكمة الانسان  
وكما له تكون نهايته ظلمة الموت .

لان الحقيقة التي لامرية فيها ان جميع ما في آدابنا من  
الغيرة والحمية مستمد من عقيدتنا في الابدية .

فان جميع الاخلاق الشريفة كثيرة على هذه الحياة .  
ولكن عقيدتنا في الابدية هي التي تطف من حدتنا في  
حالة الغضب ، وتثبت امامتنا في وقت التجربة ، وتؤيد ايماننا  
واخلاصنا في ايام الاضطهاد .

وفوق ذلك ، بل واعظم من ذلك ، فان الغبطة الجديرة  
بسمي الانسان ، وكل ما يحصل عليه من الطمانينة الروحية  
التي لا تؤثر عليها قوة ما ، وجميع موجبات القناعة اللامعة



كالكواكب المتلألئة بالنور في حياتنا ، القناعة المشرقة التي  
لا تنطفئ ، وتزول كلما هبت بهار يريح او ثارت عليها عاصفة .  
كل ذلك انما هو نتيجة من نتائج عقيدتنا الراسخة في الابدية .  
اما الملذات التي نحصل عليها من الاطعمة الفاخرة والتنعيمات  
الجسدية المتعددة والشهرة الرنانة ، والثروات العظيمة ، فانها  
ملذات محدودة قصيرة الاجل . لان وراءها كلها تبعثر جميع  
احلامنا اذ نقرأ هذه العبارة المرعبة المكتوبة بحروف من نار .  
« كلها صائرة الى الزوال » .

وان الانسان لا يمكن ان يحترم ذاته او ان يعنى بامورها  
برغبة ولذة اذا كان يعتقد بان هذا الفصل الترابي هو كل قصته  
من اولها الى آخرها .

لانا عاجزون عن ان نفصل هذه الحياة عن الابدية كما  
اننا لانستطيع ان نفصل السنة عن قرنها والساعة عن يومها .  
وقد طالما عمل الانسان فكرته في تعليل الاسباب التي  
تحمل البشر على فعل الشر ، والترغ في حماة الدعارة ، والخلاعة ،  
والاذية ، والدناءة ، واللؤم والخساسة ، ولكن السبب  
الحقيقي ، ينبوع او المصدر الذي تخرج منه جميع انواع

الخطة والسفالة، البالوعة المفتوحة التي تلتطخ الجندس البشري  
باقذارها ، - انما هو الوهم الذي يرسف في قيوده القسم الاكبر  
من العالم الذي يخدع المصدقين به فيخيل اليهم ان العوبة الحياة  
الانسانية تنتهي في الحال عندما يرخي الموت ستائره ، وبعد  
ذلك لا يوجد شيء البتة .

على ان خلاصة فلسفة النشوء والارتقاء تظهر لنا بالعكس  
من ذلك ان الحياة كل الحياة ليست في العهد الطويل الذي  
قضيناه حتى بلغنا الى حيث نحن اليوم، بل انما الحياة كل الحياة  
في العهد الذي لن ينقضي، الذي سيدير وجوهنا الى المستقبل .  
وما من عاقل قط يستطيع ان يبحث في هذه الارض ،  
من غير ان ينظر الى علاقتها بالشمس والكواكب المائلة ارجاء  
اللانهاية .

وكذلك ما من قوة عاقلة تستطيع ان تفصل الحياة  
البشرية عن صلتها الخالدة بالابدية .



## ماذا اقصد عند ما اقول انا مسيحي

اعتراف ج . ستانلى هول

المستر ج . ستانلى هول من المتفردين الثقات فى علم النفس . وقد قرأت له اعترافه الآتى فاعجبت به الاعجاب كله و اردت ان انقله ههنا خدمة للقراء الكرام لانه شديد الانطباق على الموضوع الذى نحن فى صدده ، قال :

« اتى كلما فحصد حياتى لا ترى اذا كنت قادراً ان اؤدى جواباً حسن القبول عن تصرفاتها ، أجد مالا أكتفي به بته . فقد كنت أنانياً حينما كان يجب أن أكون جواداً سخياً ، و كنت صغير العقل حينما كان يجب أن أكون شريف النفس هماساً ، وسعيت وراء العقائد الخارجية حينما كان ينبغي أن أتبع عقائدى الداخلية ، وكثيراً ما كنت أدعى لنفسى الفضائل التى كنت أشد الناس حاجة اليها . بيد أننى قد أحبت الحق وأبغضت الباطل ، وقد أنفقت من مالى وبذات من ثروتى فى السبل الخيرية ، و حاربت بكل قوتى جميع ما حسبته ضلالاً أو خطيئة أو شراً ، وبالاجمال غافلاً أعتقد باخلاص باتى كنت أعنى بمصالح الآخرين أكثر من

مصاحتي الخاصة ، كما يجدر بالمعلم أن يكون . وقد طالما كنت أسعى  
الى النظر الى الداخل قبل الخارج شأن البسيكولوجي الحكيم .  
ولذلك فانتى أحسب ذاتي تلميذاً لمعلم النفوس العظيم ، وأعتقد بأنتى  
أخ مسيحي لجميع الذين يعيشون فى هذا العالم لاجل المحبة والخدمة  
وكل من يحب ويخدم هو فى عقيدتى عضو حي فى كنيسة المسيح  
الحية ، ونحن جميعنا اخوة فى المسيح . وانتى بكليتى أقف أعماق  
قلبي ونفسى لهذا المجدد العظيم لنفوس ابناء الانسانية الذى اظهر  
للأفراد والجماعات ، وجميع الامم والشعوب القاطنة على وجه  
الارض الطريق الوحيدة الواحدة التى بواسطتها يخلصون .

ج . ستانلى هول ، فى الفصل « يسوع ، المسيح »

فى كتابه « نور علم النفس »



## كيف افهم الدين ؟

« ان يسوع جاء الى العالم لكي يعلم الناس  
كيف يعيشون فيه . ولكنه لم يات  
ليؤسس ديانة جديدة لذاته . »

يسؤنى ان اوضح بين الآونة والآخرى معنى الكلمات  
التي استعملها . ولكن اكثر ما في العالم من سوء التفاهم إنما هو  
نتيجة لعدم ايضاح الانسان صراحة ما يرمي اليه من كلامه .  
واطلب الى القارئ الاديب ان يتذكر اني اذا عرفت كلمة  
من الكلمات فانا لا اقصد بذلك ان هذا هو المعنى الحقيقي  
لهذه الكلمة ويجب ان يتقيد به كل انسان ، بل انما اقصد ان  
اوضح المعنى الذي افهمه منها بالطريقة التي استعملها بها .  
فاذا تكلمت عن ديانة يسوع فانا اتكلم بشك وريبة .  
لاني لست واثقاً بأن يسوع كان معلماً دينياً طقسياً ، فان  
كلمة دين لم تستعمل سوى مرة واحدة في العهد الجديد .  
واننا نعرف ، على مقدار ما نستطيع ان نعرف ، ان يسوع لم  
يستعمل هذه الكلمة قط . ولذلك يخيل الى انه كان خبيراً

ببالغ المعرفة في اسرار الحياة اكثر مما كان عالما من علماء الدين .  
فقد بلغ الى اسمى درجات المعرفة ، وأدرك كنه الشرائع  
العظيمة التي تدير سبل الحياة في هذا الوجود . على انني اشك  
كثيراً في انه اراد ان يؤسس ديانة جديدة كما انني اشك في انه  
رغب في تأليف حزب او طائفة لذاته . وان صح انه تكلم  
في هذين الموضوعين ، فانه تكلم قليلاً جداً وبطريقة عرضية .  
ولذلك اعتقد بانه انما جاء الى العالم لكي يعلم الناس كيف  
يعيشون في العالم ، وقد نجح في عمله اكثر من اى معلم سواه .  
على انني عند ما استعمل كلمة دين لكي اوضح بها ديانة  
يسوع فاني لا أستطيع أن أعرفها بغير ما عرّفتمها في كتابي  
« دين الغد » حيث قلت ، « ان الدين هو تأثير الله الشخصي  
في حياة الانسان » .

فاني لا أستطيع أن أجد في الدين أو في تعاليم يسوع  
قوة ظاهرة بتأثيرها أقدر أن أتخذها لمنفعة حياتي سوى  
تأثيرها الشخصي على حياتي . فالتأثير الذي ليسوع المسيح على  
حياتي هو نفس التأثير الذي تركه في أية شخصية كانت من  
الشخصيات البارزة في التاريخ . فاذا اجتمعت برجل متهذب

أو امرأة شريفة واشبعتُ بأدبهما وشهامتهما فأنى أشعر في  
الحال بتغيير سرى في أعماق خلقي يدفع بي الى التهذيب  
والشهامه . وهذه ، كما أقدر أن أعبر عن فكري ، هي صورة  
مصغرة جداً لما يحدثه في الاجتماع يسوع

على أن هذا التأثير الشخصي الذي أحصل عليه لا  
ينحصر في الاحياء الذين أشاهدتهم فقط . فان عمانوئيل  
كانت ، وداود ملك اسرائيل ، وابرهم لينكان ، والفرد  
تذسبون يؤثرون في تأثيراً بالغاً ، ولكنني لم أنظر أحداً منهم  
قط . لان تأثيرهم الشخصي قد بلغ الى بما كتبوه وقرأته لهم  
وما سمعته عنهم فيما مر من عمري ، لذلك فان كثيرين من  
أبطال الروايات الذين لم يوجدوا في العالم قط ، لهم تأثيرهم  
الشخصي على حياتي . فقد أثر في كثيرآ ما قرأته عن جان  
فالجان ، وجون هايفاكس ، ومارك ساير ، ورومولا

هذا هو نوع التأثير الذي ليسوع في حياتي ، ولكنه  
يختلف عن غيره بأنه أقوى وأطول من الجميع وأشد فعلاً  
وأوفر ثمرة . على انني لا أقول أن يسوع المسيح لم يكن لها  
وانه كان انساناً بسيطاً مثل كل واحد منا . بل كل ما أقوله

انه كان كأننا علوياً أفضل من جميع أبناء البشر الذين عرفتهم  
أو سمعت بهم. وأما الفرق بين الرجل العظيم وبين الاله فانا  
لا أستطيع ان أفهمه ولا اعتقد بأن فهمه ضرورى لحياتى .  
لان عبقرية العظام النابغ كألوهية الاله محجوب ادراكها عن  
قوى فكرى !

فانى أعتقد من صميم قلبى بان يسوع هو رأس معلّمى  
الانسانية . وقد أثرت تعاليمه وحياته في اصلاح الملايين من  
الناس مما لم يخبرنا تاريخ المدنية البشرية بأن حكيمًا أو معلّمًا  
أتى بمثله لا من قبله ولا من بعده. وقد سكب من معين وحيه  
في أفكار وقلوب الالوف من الناس وأعمالهم فرفع حياتهم الى  
الوج فرأوه بالرغم مما كان يحيط بهم من حيرة الوثنية وضلالها .  
ومع أن شرور الناس قد أبعدته عن الانسانية حتى ليبدو كأنما  
هو شبح أو خيال لا حقيقة دونه ، ومع أن قياسات  
اللاهوتين وسفسطاتهم التى يتبسه الفكر في صحرائها فلا  
يعرف أين تبتدىء ولا أين تنتهى — قد سدلت حجبها  
الكثيفة على الحقيقة السامية التى جاء بها الى العالم ، ومع أن  
عبادته قد تسفّت الى نوع من الوثنية السمجة ، فانه لا يزال



لمجرد ذكر اسمه قوة فعالة في قيادة الانسانية الى الصلاح .  
وما برح تأثيره الشخصي . ثمراً في القلوب المستعدة له ثماراً  
خالدة محيية . واننى لا رغبة لى في الدخول في البحث اذا كان  
إلهاً أو إنساناً . بل جل غايته انه سواء كان إلهاً أم إنساناً ،  
أم إلهاً وإنساناً معاً ، فقد كان لحياته على الارض وتعليمه اكبر  
تأثير على حياتى ، كما انه كان أفضل دليل لقواى العاقلة  
ليقودها إلى السعادة والطمأنينة



## المسيحية في عقيدتي

طريق تؤدي الى الحياة

وليس الى الهرب من الحياة

« ليست المسيحية ديناً بمقدار ما هي قوة  
وحكمة توضحان كيفية الانتفاع من الغاية  
التي وجدت الاديان لاجلها . »

ليس من الصواب ان ننظر الى المسيحية كدين من  
الاديان . لاني اعتقد بان المسيحية ليست مذهباً دينياً للعبادة  
الطقسية كالبودية والبرهمية وغيرهما من المذاهب الوثنية التي  
كانت تحارب بعضها بعضاً على ممر العصور . فان المسيحية  
أسمى من ان تزاحم امثال هذه الاديان في طقوسها وفروضها  
السخيفة .

بيد ان المسيحية تحتوى على جميع المبادئ الدينية الشريفة .  
ولذلك كان الافضل ان نقول ان المسيحية تحتوى على الدين  
من ان نقول ان المسيحية دين من الاديان .  
واني اعتقد بان المسيحية طريق تؤدي بنا الى الحياة

الحق . بل هي حكمة بالغة ، ومبدأ سماوى يرفع حياة البشر  
التعساء من صحراء التعاسة الى فردوس الغبطة والسعادة .  
والحاجة القصوى التى تنقصنا اليوم هي ان نتعلم كيف نعبر  
عن المسيحية بشعورنا وعواطف قلوبنا مثلما نستطيع ان نعبر  
عن افكارنا بالالفاظ والعبارات المتنوعة . لان يسوع قد ضرب  
على اوتار العواطف والقلوب كما ضرب على اوتار الحساسة  
والعقل . والحياة عند التحقيق مزيج من الفكر والشعور ولا  
يمكن ان نحل في واحد منهما وتهمل شأن الآخر .

على ان في ما نفهمه بكلمة «دين» كثيراً من الزوائد التى  
أعرضت عنها فى المسيحية التى اؤمن بها واتخذها دستوراً حياتى .  
فهناك الخوف مما تجهل حقيقة ، والطاعة العمياء لذوى  
السلطان المطلق ، ووجوب تقييد حرية الفكر ، والمحافظة  
على قوانين معينة وطقوس مقررة ، والرجاء فى الحصول على  
الثواب ، والخوف من العقاب ، وغير ذلك مما ورثناه عن  
العقول القديمة مما لا نستطيع العقول الحديثة ان تتخذه قائداً  
ودليلاً لحياتها .

على اننى لا اقصد بهذا ان الدين هو قضية من القضايا الفكرية . لان القوة الفكرية المتسلطة على الغرائز والنزعات النفسية تستطيع ان تستثمر النافع منها وتضع جميع المبادئ القديمة التي اتصلت بنا من الاجيال الغابرة في بوتقة الاختبار لتظهر نفعها أو ضررها .

ولذلك يجدر بالشخصية القوية المدربة في ادارة حياة الانسان الذي تحل فيه أن تكون شديدة الحرص على درس جميع ما وصل اليها بالارث عن جدودنا الاولين من العقائد والتقاليد ، وتطبيقها على حياتنا قبل قبولها .

فالمسيحية اذن هي القوة التي بها نستطيع ان نميز بين النافع والضار من الدين . هي الطريقة التي بها نجعل الدين ينبوعاً للقوة الفردية ، وللنظام الاجتماعي ، وللمنفعة الاقتصادية للجميع على السواء . لان لكل انسان ديانة خاصة به ، فاما ان تتجسد فيه بشكل من التعصب الذميمة والوهم العقيم ، أو انها تملأ حياته بما لا طائل تحته من النظريات الفارغة والاراء السقيمة ، ولكن إذا كان لهذا التعصب أو الوهم سلطة على القائل بهما تهذب أخلاقه وتدرج حياته في السبل المستقيمة فانها

بحق تدعى دينا . ولذلك فان الكافر والمتشائم وغيرهما من  
الماديين لهم كل دينه من هذا القبيل . لان الدين على نوعين  
دين صالح ودين رديء . فالإيمان كما انه يخلص بعضا فانه  
يقتل بعضا . فاذا آمنت بالكذب قادت الكذب الى الخراب .  
وإذا آمنت بالصدق أنقذ الصدق حياتك ووطد لك  
بنيان سعادتك . واذا آمنت من أعماق قلبك ان الهك  
يعلمك أن شر السم القتال اذا شربته لا يؤذيك ، فاقدمت  
على أخذ جرعة كبيرة منه فانك تموت في الحال كما لو كنت ممتلئا  
من الشكوك في الموضوع . فان العالم ممتلىء من روح الدين  
وكل ما فيه انما أسس على الدين . غير ان المسيحية هي الطريقة  
الواحدة التي توحد هذا الدين وتجزل ثماره في بساطين الحياة .  
وفي الفقرة التالية المنقولة عن المستر هافلوك أليس بعض

الفائدة في الموضوع :

« في مقدمة الصوفيين العظاماء في تاريخ الانسانية نجد  
اسم لاوتسا فقد عاش هذا المعلم قبل المسيح بستماية سنة وقبل  
ساكيا موني بمائة سنة ، وكان بنقاء فكره أكثر تصوفا من  
الاثنين ، وفوق ذلك كان أقرب منهما الى العلم في ارائه

وتعاليمه جميعها . حتى ان المركز الذي كان يشغله في حياته ،  
بالنسبة الى جيله وبلاده ، كان أيضاً ذا صبغة علمية .  
فقد كان على ما في التقليد أميناً على السجلات والقيود الرسمية .  
وفي سائر أعماله نرى الاتحاد التام والائتلاف بين العلم والدين  
ظاهراً لكل ذي عينين . والكلمة « تاو » ، التي كانت في  
نظر لاوتسا رمزاً الى كل ما توحدنا به الديانة بطريقة سرية  
يجوز أن ترجم بكلمة « عقل » ، بالرغم من أن هذه الكلمة  
تظل قاصرة عن تأدية معناها الكامل . وليس في تعاليمه من  
أثر للتأملات والظنون اللاهوتية الفائقة الطبيعة في جوهر  
الله ، ( ولم ترده هذه الكلمة في كتاباته إلا مرة واحدة ولعلها  
من زيادات النسخ ، ) أو النفس أو الخلود ، فقد امتاز لاوتسا  
بدقته وصفاء ذهنه في التعبير عن الحقائق الروحية بشكل الحقائق  
الطبيعية . ولذلك لم تتناول أبحاثه ايضاح حقائق الدين فحسب ،  
بل كانت توضح المذاهب الجوهرية في العلم أيضاً . وقد كان  
لهذا الرجل قلب الصوفي ، وفكر الطبيعي وعين البيولوجي .  
ولذلك كان يتخاطر في دائرة متسعة - الدين والعلم واحد فيها .  
- هافلوك آليس في كتابه « رقص الحياة <sup>(١)</sup> » صفحة ٢٠٤

(١) قد ترجمنا هذا الكتاب الى العربية وقريباً يظهر مطبوعاً ان شاء الله

## السيادة الحقيقية

التي أجدها في يسوع

« ان جميع أنواع السيادة كائنة في نفس  
الانسان »  
باكون

ان موضوعنا الحاضر يتناول البحث للاهتمام الى حينما  
كان يسوع « قوة الله » . وبعبارة بسيطة فاننا سنوضح في  
هذا الفصل الاسباب التي جعلت يسوع قوة عظيمة فعالة في  
حياة العالم .

وانني اذا طلب إلى أن أقدم شهادتي الشخصية في  
الموضوع ، في محكمة الرأي العام ، فأنا أقول ان المسيح هو  
قوة الله لانه كان بالحقيقة أعجوبة من عجائب الحكمة الالهية  
وانما أقصد بذلك ان قوته لا تتوقف على انه كان رباً للجميع ،  
أو ملكاً للملوك ، ولا على انه سيد السماء والارض ، ولا أمثال  
ذلك مما يلقيه به الضيقو العقول والافهام من الناس . فاني  
أعتقد بأن هذه الالقاب كلها نظرية ولا تليق بعظمته الحقيقية ،  
لانه اذا لم يكن في يسوع غير هذه الالقاب لنواله السيادة

على العالم ، فان مركزه لا ينفعه أكثر مما نفع القيصر الروسي  
أو الامبراطور الالماني مركزهما . فهو يسود على العالم لان  
سيادته نتيجة لازمة لعظمته الداخليه ، ولا يعرف في سيادته  
مهرجان العظمة الملوكية والأبهة السلطانية الذي اخترعته  
الكنيسة النصف وثنية بعاداتها وتقاليدها واهمة انها بعملها  
هذا تقدم له عبادة أو كرامة .

أجل ، ان الملك الحقيقي لا يحتاج الى تاج ، ولا يعوزه  
الصولجان أو العرش . والاله الحقيقي لا يحتاج الى رعود  
وبروق لا ثبات ألوهيته . ولذلك فاني أعتقد في أعماق نفسي  
بأن سيادة يسوع كائنة في قوته الداخلية التي لا تؤثر فيها المادة  
وقلما أهتم بالسيادة المادية التي ينسبها له العالم المادي البعيد عن  
ادراك حقيقة روجه الطاهرة .

على ان القوة التي منحها يسوع للعالم قد مُزجت على  
ممرّ العصور بكميات كبيرة من الصداً والنفاية غير النافعة .  
ولذلك يلوح لي اننا لو قدرنا أن نجرد يسوع من السلطة  
الموهومة التي ينسبها اليه العالم ، والمظاهر المادية التي يظهر ونه  
بها ، — بل لو كان لنا أن نخرج يسوع من الهياكل المقيدة



الى الفضاء الطليق ، الى الحقول ، الى شوارع المدن ، الى البيوت التي نساكن فيها مع اولادنا ، لكي يكون نفوذه حراً طليقاً من جميع الستائر المادية والتقاليد الصناعية ، فنستطيع أن ننظر اليه كشخص حقيقي ، ونشعر بتأثير شخصيته علينا كما لو أنه حيُّ أمام عيوننا ، ونصفي إلى كلماته كأننا نصفي الى الحقيقة البسيطة المجردة ، فان القوة الكامنة في أعماق شخصيته السامية يكون لها إذ ذاك فرصة أفضل للعمل في العالم المحتاج اليها.

وأما الذين لا يفهمون حقيقة السيادة المتجسدة في يسوع ولا يشعرون بالقوة المجددة المحيية التي تغلف شخصيته ، والوحى السامى الذي انسكب في أعماقه وجعله ينطق بتعاليمه الخالدة ، فانما هم اولئك الذين سدلت المادة برقعها السوداء على وجوههم فلم يعنوا الا باختراع السلطة المادية الباطلة لسيدهم .

وقد قال يسوع مرة ، « من أقامني قاضياً أو مقسماً بينكم ؟ » وانها الآية حريية بأن يعلقها الضالون عن سراط الحق في أعناقهم لعلمهم يفهمون ويهتدون

## ماذا أقصد بالتجديد الروحي

« ما من شيء يستطيع ان يعطيك حياة  
سوى ملامسة حياة أخرى لحياتك . »

نبحث في هذا الفصل موضوع التجديد الروحي وكيف  
أفهم هذه الكلمة . فأنا مدين بتريبي لبعض من اعضاء  
كنيستي ، لانني عندما كنت صبياً كنت أجدد اهتدائي في  
كل شتاء حينما كانت تعقد كنيستي اجتماعاً عاماً لتجديد الحياة  
الروحية في قلوب أعضائها في جلسات متوالية . ولكنني  
كنت أضيع في كل صيف ما حصلت عليه من ثمرات التجدد  
الروحي في اجتماعات الشتاء هائماً كيف طاب لي الهوى .  
وكانت العقيدة الغالبة في تلك الاجتماعات حينما كنت أقضي  
أوقاتي في فصل الصيف ان الحياة الدينية هي نتيجة الاختبار  
في كل انسان أو هي ما يطرأ عليه من التأثيرات العقلية في  
أثناء هذه الاجتماعات .

ولا يزال أكثر رجال الدين في كنيستي الى اليوم  
يعتقدون بأن ما يحصل عليه الانسان من الاختبار في

رجوعه عن اعوجاج سيرته واهتدائه الى حظيرة السيرة  
الشريفة انما هو أساس الحياة الدينية ، لانه ألم يقل الكتاب ،  
ان لم يولد الانسان من فوق لا يقدر أن يدخل ملكوت  
السموات ؟

وانني ما برحت على أتم الثقة بأن التجدد الروحي بداءة  
الحياة المسيحية ، ولكنني قد تعلمت معنى جديدا لهذا الارتداد  
الروحي لم أكن أعرفه من ذي قبل وهو أكثر انطباقاً على  
عقلي من الرأي الاول . فأنا أفهم بالتجديد الروحي التغيير من  
حالة الى حالة ، أو بعبارة أوضح ، تغيير طبيعة النفس ، وأنا  
أعنى بذلك تبديل مسالك الحياة وتغيير مجاريها .

على ان هذا التبديل ليس شكلاً غريباً من التأثيرات  
السرية الغامضة لانه لما كان الدين عبارة عن تأثير شخصي  
فان التجدد الروحي هو ثمرة لهذا التأثير . لانني اذا تقربت  
من رجل نابغ الفكر عظيم القدر وأكثرت من معاشرته  
والاصغاء الى مبادئه برغبة ومحبة فاني أعجب به شيئاً فشيئاً  
حتى أصير مثله . وكل من وقع قلبه في حب امرأة فاضلة  
يعرف التغييرات التي يحدثها حب تلك المرأة في أخلاقه

ومبادئه . ومثل هذا يجري عند ما يضع الانسان مثال يسوع  
وصورة كماله أمام عينيه فان ذلك المثال يُسير ارادته لاتباع  
خطوات المعلم الصالح وتطبيق الحياة على تعاليمه ومبادئه ،  
فيفيضُ ينبوع شخصية يسوع عليه فيروى حياته بمياه الحكمة  
والمعرفة ويغير أخلاقه وطبائعه حتى ينجيل اليه انه قد ولد ثانية .  
وكثيراً ما يشعر الانسان بعد أن يتماثل الى الشفاء من  
داء ألم به انه قد خالق ثانية وانه رجل جديد غير الرجل  
الذي كان مريضاً . وعند ما يهرب الانسان من شقاء الكفر  
وشكوك الاحاد ويتجىء الى حماية يسوع فان مبادئ يسوع  
تعمل فيه فتحوله بسرعة عجيبة الى رجل جديد صالح حتى  
اننا لانبالغ اذا قلنا انه قد صار انساناً جديداً في المسيح يسوع .  
والحقيقة التي لا مرية فيها انه لا يؤثر في الحياة سوى  
حياة مثلها فان وراء المظاهر الغريبة التي ترافق التجدد الروحي  
حقيقة لا ينكر تفهماً أحد من الناس . لان في داخل هذا  
الغطاء الخشن الثخين بزررة ممتلئة من القوة والحياة .



## ماذا أقصد باتباع خطوات يسوع

التمسك بالحرف يقتل الشعور

« ان القانون يعطى لنا بسبب خمولنا ،  
وأما المبدأ فانما تناله لان عندنا مثله »

ان ما سبقت فأوضحته عن الفرق الكائن بين القوانين  
والمبادئ ، ربما كان في حاجة الى زيادة ايضاح . فاني لا أنظر  
الى الكتاب المقدس ككتاب قوانين وفرائض للمحافظة على  
سلامتي ، بل أنظر الى هذا الكتاب كمجموعة مبادئ  
تشجعني على النمو في سبيل الكمال

فالقانون هو نائبٌ ينوب عن العقل والذكاء وأما المبدأ  
فهو عقيم لا فائدة منه ما لم يمتزج بالعقل والذكاء

أما المعلم فتتوقف عظمته على مقدار ما يطرقة من مواضع  
الحياة الرئيسية التي يتطلب من تلاميذه وتابعيه اجتهاد أفكارهم  
وعقولهم لا دراكها والبلوغ الى قلبها . واني أعتقد بأن يسوع  
وغيره من كبار المعلمين والمصلحين ، كان آخر ما طلبوه من  
الناس الخضوع المجرّد والطاعة العمياء . لاننا بالحقيقة لا

نستطيع ان نتبعه عن رغبة وقناعة ما لم نستعمل كل ما أوتينا  
من فطنة وفهم .

اننا نقرأ في الكتاب أن الحرف يقتل أما الروح فتحي  
ولذلك فإن الطريقة التي لا بد ان تُضِلَّنَا عن اتباع خطوات  
يسوع انما هي في نظرنا الى العبارات والالفاظ التي تفوه بها  
نظرة خارجية مهتمين بمعناها الحرفي اكثر من مرمائها الروحي  
البعيد . فان يسوع شرقي بطبيعته وحياته . وقد علم الناس  
على الطريقة الشرقية بالاشعار والافتراضات والامثال . وقد  
أوضح لنا رئيس الاساقفة هويتلي ، أن اكثر ما طلبه يسوع  
من العالم اذا نظرنا الى معناه الحرفي نرى أحد أمرين : اما أنه  
يدعو إلى السخرية والهزء أو انه يستحيل تنفيذه ولكن هذه  
هي الطريقة الشرقية التي يعشقها الشرق في تعليمه ، أما الغاية  
منها فهي أن تترك التلميذ ساجداً لذاته في عالم الخيال الروحي  
ليستخرج بفطنته الغاية الروحية المنطوية عليها عبارات المثل  
أو الحكاية لان العمل بما يطلبه الحرف عقيم الثمرة ولذلك يسمى  
الى الثمرة الروحية الخفية

ومن الامثال التي تظهر لنا هذه الطريقة التهذيبية الجميلة

أن يسوع بعد ان غسل أرجل تلاميذه قال لهم ان يقتدوا به،  
وكما انه غسل أرجلهم فليغسلوا هم ايضاً أرجل غيرهم من الناس  
فاذا فهمنا هذه الوصية بظاهاها أفلا يرى كل منا انه من  
التوافه الغير المعقولة ان يدور التلاميذ أو غيرهم من المسيحيين  
على الناس ينزعون احذيتهم من اقدامهم ويغسلون أرجلهم؟  
ولكن كل انسان يستطيع بقليل من اعمال الفكرة ان يدرك  
الطريقة الجميلة الفتاة التي استخدمها يسوع بهذه العبارة  
ليوضح لنا عظم فضيلة الخدمة بتواضع

ومثل ذلك عند ما سأله الشاب عن القريب والطريقة  
الواجبة في معاملته، فقص عليه يسوع حكاية السامري  
الشفيق ثم اردفها بقوله، « اذهب أنت وافعل هكذا، »  
فان ابسط الناس يستطيع ان يفهم ان يسوع لم يطلب الطاعة  
البيسطة لمساعدة الجرحى والعناية بهم واخذهم الى الفنادق  
والمستشفيات، بل انما اراد ان يعلمنا وجوب مساعدة المحتاجين  
مهما كان دينهم أو جنسهم أو وطنهم

وان مبدأ الاعراض عن السوء وعدم مقاومة الشر  
الذي علم به المسيح قد أسىء فهمه اكثر من جميع المبادئ

الآخري . فقد قال يسوع ، « من ضربك على خدك الأيمن  
فحول له الأيسر ، وإذا طلب أحدٌ ثوبك فأعطه الرداء أيضاً ،  
ومن سخرك ميلاً فامش معه ميلين » . وقد شوّه نظر الناس  
إلى حروف هذه الوصايا الجمال الروحي البالغ الذي ألبسها  
إياه ذلك المعلم الصالح إذ خيل إليهم أن يسوع أراد بهذه الوصايا  
أن يعلم الإنسان الجبانة والتخنت . غير أننا في نظرنا إلى هذه  
الوصايا نجد بنا أن نطرح الحرف القتال جانباً وننظر إلى  
الروح المحيية التي تقطن في هذه الوصايا فنرى أنها أحكم  
الوصايا التي سمعها الإنسان منذ وجد على الأرض وأسهلها  
انطباقاً على الحياة في جميع فروعها . فإن كل رجال الأعمال  
من غير استثناء يديرون الخمد الثاني أربعين مرة في النهار  
عوضاً عن المرة الواحدة . فإن الرجل منهم لو كان يريد أن  
يقف ليرد لكل إنسان ضربته ويصنع كل من يصنعه فإنه ما كان  
يصل إلى مكتبه مرة قط . لأنه لو أراد الإنسان أن يلتفت  
إلى كل كلب نابح عليه ويطارده حتى ينتقم منه فإنه ما كان  
يتخذ له عملاً غير هذا العمل في حياته . لأن المبدأ الذي تعبر  
عنه هذه الكلمات التي تفوه بها يسوع إنما هو جوهر العظمة



✓ الحقيقية وشرف الاخلاق الانسانية . فهو يُظهر ان الانسان المتفوق بفكره وادراكه لا يستطيع ان يحمل حقداً في قلبه . ولا يقدر ان يضر سوء الاحد من الناس . فلا يقابل الذي يصنعه بمثل فعله ، ليس لانه يخافه ، بل لانه يحقر ان يفعل ذلك . والمسيح قد قدّم هذا المبدأ السامي لا مثال هذا من المتفوقين بعقولهم ومداركهم

وان هذا المبدأ القاضى بالاعراض عن الاساءة وعدم المقاومة لهو اسمى ما بلغ اليه البشر من الانتصارات الروحية فكما ان المصارع الياباني الماهر يغتنم فرصة العنف الذي يبذله خصمه في مقاومته ليكسر ذراعه أو يخلع عنقه بأن يحجم عن المقاومة في حين ان خصمه يكون متوقفاً مقاومة شديدة منه وهكذا يتم له الانتصار عليه من غير ان يقاومه، كذلك جميع انتصاراتنا الروحية لا تتم لنا إلا عن طريق التسليم وعدم المقاومة . وعلى هذا المنهاج بعينه يظهر الرجل المتهدب تفوقه بالتأدب والاحتشام على الرجل الدنيء السافل

ولذلك فأنى عند ما أقول انى أتبع يسوع انما أقصد انى أسمى أن أنقذ مبادئه بحياتي، بسلوكى وتصرفى في العالم،

وقد وجدت بالاختبار ان ذلك قد ساعدني في الغالب للحصول  
على طمأنينة بالغة ورضى وقناعة واحترام لذاتي ، وقد رأيت  
ان ذلك قد جعل حياتي مع جيراني وأقربائي أفضل كثيراً  
من ذي قبل وبعث في عزيمة في جميع أعمالى .

واننى اخال ان بين الناس من يحترم نفسه ويجرب أن  
يتخلص مما يلقي على عاتقه من المسؤولية . فان المسؤولية التي  
يحملها الانسان في حياته هي أفضل معلم له في هذا العالم .  
واننى لا أعتقد بأن يسوع يطلب منى أن أهرب من حمل  
مسؤوليتى . ولا أستطيع أن أجد لنفسى مبرراً يدفعنى كلما  
كنت في حالة شريرة أن التفت الى يسوع وأقول له ،  
« أنت قلت لى أن أفعل ذلك » . فان يسوع لم يطلب لى أن  
أفعل شيئاً قط . ولكنه قدم لى هذه المبادئ السامية ونفخ  
بى من روح حكمته وفطنته ما أستطيع معه على اختيار كل  
ما يوافقنى ويلائم غرائزى منها ، فهو ينشط قوتى العاقلة  
ويقسّمها ولكنه لا يقتلها البتة .

وشر أمثال الظلم والجور التي احدثها التمسك بالحرف  
دون الروح ظاهر في العلاقة بين تعاليم الكنيسة وغريزة

حفظ النوع الانساني . فقد قال يسوع مرة ، « ان من نظر الى امرأة ليشتتها فقد زنى بها في قلبه . »  
وقد طالما ثار الكثيرون من الناس على الطبيعة البشرية بسبب سوء فهم هذه الآية وتفسيرها بأن العاطفة الطبيعية بين الرجل والمرأة ، التي لا يخلو منها رجل أو امرأة ، انما هي عاطفة شريرة شيطانية . وكم ألقوا من النظم ووضعوا من القوانين للتبتل والعذراوية ، بحجة ان الذين يتبتلون ويكبحون جماح شهواتهم هم أطهر من غيرهم من المتزوجين الاصحاء الذين يحافظون على عواطفهم الطبيعية . وقد عالج تولستوى الروسى هذا الموضوع بتطرف كثير وابحاث عقيمة ، لان عقله كان مُشبعاً بتعاليم القرون المتوسطة المظلمة ، ومن أقواله ، « ان في كل شهوة شراً أكيداً . » والشهوة هنا انما يقصد بها الشوق النقى الكامل الذى يمتلج به قلب الرجل نحو المرأة .

وكل هذا يوضح لنا النتائج الفاسدة السقيمة التي يؤول الحرف اليها . فان الشعور العام فينا يخبرنا ان المبدأ الذى اراد يسوع اظهاره لنا بالآية السابقة هو ان صحبة الرجل

والمرأة يجب ان تنال اسمى درجات الاعتبار والافتكار ، لان  
الخيال الصحيح الذي يوحد هذه المحبة في وحدة واحدة هو  
الخلاص الوحيد لغريزة حفظ النوع في الانسان . وكل من  
يسعى الى استئصال بذرة هذه الغريزة من الطبيعة البشرية  
انما ينزل بالانسان الى اسفل درجات الضلال والفساد .

واننى أستطيع ان اقول انه مامن ضلال وقع به الانسان  
منذ وجد على الارض حتى الآن وحدث من الاضرار  
والمصائب الفواجم في العالم مثل الفكرة الرجسة القائلة بأن  
الطبيعة البشرية شريرة او قذرة . فان اجيالا عديدة من التعاليم  
الضالة قد زرعت في عقولنا ان « الشهوة » ، التى ليست  
بالحقيقة سوى تحريك العاطفة الطبيعية في قلب الانسان ، انما  
هى عارٌ ونجاسة .

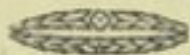
على ان العقل السليم يجب ان يقودنا طبيعياً الى الادراك  
بأن العاطفة الفطرية فى المرأة والرجل هى بالحقيقة أجمل قوة  
فى تطورات الحياة . لان العائلة تضمحل بدونها ، وتفقد  
الانسانية كل ما فى الحياة العائلية من الكمال والسعادة . ويخسر  
العالم بخسارة هذه العاطفة الحب العذري وكل الثروة الشعرية

البالغة الفائضة من ينبوع هذا الحب الطاهر . بل ان جميع  
الاحياء العائشة في العالم تزول وتضمحل بزوال هذه العاطفة .  
ولذلك فان العقيدة الآمرة باحتقارها والقائلة بانها شريرة  
نجسة إنما هي عقيدة رجسة وثمرة قتالة للحرف القتال

ولا غرو فان كل عاقل يدرك ان هذه الرغبة الجنسية  
التي تقرب الرجل من المرأة لحفظ النوع الانساني يجب أن  
يتبصر الانسان في الانقياد اليها وأن يكبح جماحها بضميره  
وعقله . ولما كانت هذه الرغبة أقوى رغبات الحياة لذلك  
يجب ألا يغرب عن الاذهان انها إذا أريد تقييدها وحصرها  
انفجرت وأحدثت بانفجارها افضع الجرائم والردائل . وأما  
القائلون بوجوب تقييدها بحجة أنهم يعرفون مثالا أو مثالين  
أضرت فيهما لجمالة في طريقة استعمالها والانقياد اليها ، فهم  
أشبه بالقائلين بوجوب حجب نور الشمس لانه أحدث  
صداعاً في رؤوسهم .

غير اننا اذا نظرنا الى قول يسوع هذا ووضعناه مع

قول آخر حضّ فيه الرجل على ترك جميع نساء العالم  
والالتصاق بامرأته، لوضعت امام عيوننا الغاية التي قصدتها  
من هذه الآية، وأدركنا الحقيقة الناصعة التي يُبنى عليها  
الزواج بامرأة واحدة، ولعرفنا حينئذ: ان الزواج بامرأة  
واحدة إنما هو الطريقة الطبيعية الوحيدة لقضاء الشهوة  
الطبيعية بما يلائم الآداب الراقية ويحافظ على شرف المبادئ  
الزوجية



## ماذا أقصد

عند ما أدعو يسوع مخلصي

« انى أدعو يسوع مخلصي لانى بقوته  
ارتفع من أدنى دركات الغايات الدينثة الى  
أوج السعادة والراحة »

انى بملء طوعى واختيارى وكال راحة ضميرى  
وقناعى أدعو المسيح مخلصاً لى ولكنى أريد أن أوضح معنى  
هذه الدعوة فى عقيدتى

فأنا أقصد بهذه الدعوة، انى بما لىسوع من التأثير على  
استطيع أن أرفع حياتى الى مستوى رفيع فى سعادة الحياة،  
وبقوته ارتفع من أدنى دركات الغايات الدينثة الى أوج  
الراحة والغبطة .

على أنى لا أتمخض يسوع مخلصاً لى لاعتقادى بأنه ينقذنى  
من غضب الله، إذ لا اعتقد بأن فى خلق الله شىء من الغضب  
فلا أستطيع أن اصدق ان الله يغضب على عند ما أفعل خطأ  
ما ويرغب فى تعذيبى والانتقام منى ، بل أنا أعتقد بان الله

يحزن عليّ ان فعلت سوءاً ويشفق علي نفسي من اعماق قلبه كما  
أشفق أنا علي ابن لي عند ما يفعل شراً. وما أجمل ما وضعه  
ماتر لنتك في فهم الشيخ أركال في «Pelleas and Melisande»  
حيث قال، «لو كنت لها لكنتُ أشفقُ علي جميع الناس» (١)  
وانني لا ادعو المسيح مخلصاً لي لمجرد أنه سيأخذني عند  
موتى من هذا العالم الشرير الى أرض النبطة والنقاوة والجمال  
فاننى أو من من أعماق قلبى بأن الخلاص لا يتم للانسان  
بتغيير محيطه بل إنما يتم له خلاصه بتغيير وتبديل أخلاقه  
ومبادئه. وأنا انظر الى المسيح كمخلص لي لانه، دون غيره  
من جميع المعلمين، قادر علي تبديل اخلاقي وتغيير مبادئى  
ولا انظر الى المسيح كمخلص لي رغبة منى في ان يحافظ  
علي سلامتى من الأذية والاختطار. لاننى لا أريد أن أكون  
سالماً من الخطر والأذية. ولا اسأل الله ان يحرسنى ويحفظ حياتى  
من الخطر، بل أصلى طالباً ما هو افضل من هذا بما لا قياس  
له، متوسلاً الى الله ان يحفظنى قويا شجاعاً امام اختطار العالم.

(١) وقد قال عمر الخيام الشاعر الفارسى بهذا المعنى ما يأتى :

« حكمت الهى بالعذاب فياترى      بأى مكان فيه أنت تدبى »  
« فليس عذاب حينها أنت كائن      وأى مكان فيه لست تكون ؟ »



على ان أقوى غرائز الانسان إنما هي غريزة حفظ الحياة ، وقد قال شيشرون « ان الدفاع عن النفس أول شريعة من شرائع الطبيعة » . ولكن هنالك طريقين للمحافظة على الحياة ، الواحدة باقامة الجدران وقلاع الدفاع حول الحياة والثانية بتقوية الحياة الداخلية في اعماقنا وتشجيعها لتدافع بذاتها عن ذاتها . فالطريقة الواحدة تأمر بالبعد عن كل ما يؤذى أو يسبب فساداً أو ضرراً ، والثانية تأمر بتقوية ما فينا من قوات الصحة والحياة لمحاربة الامراض أين وأبان هاجمتنا . فالواحدة تلبسنا درعا للمحافظة على سلامة اجسادنا والثانية تضع في يميننا سيفاً . أما أنا فأتخذ يسوع مخلصاً لانه يقوي غرائزي المقاومة للشر ، وينعش ما في من الشجاعة ، والرجاء ، والقوة الحيوية ويملاً كياني هممة ونشاطا . ولذلك فاني لا اريد ان اعتزل العالم وابتعد عن الاشرار من الناس خوفاً من أن يتسرب الى شيء من شرورهم ، لاني واثق بان في اعماقي قوة تقدر ان تبطش بالشر ايما وجدته ولذلك فهي لا تخافه ولا تخشى بأسه . على ان هذا النظام الآمر بالبعد عن الناس خوفاً من أن ينالنا شيء من شرورهم ربما كان صالحاً

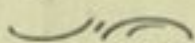
للاولاد الصغار حتى تنضج قوتهم . ولكنه نظام فاسد مضر  
للبالغين من الناس لانه يخنثهم ويذهب بقوتهم  
وقد قسم بعضهم النفوس إلى فقرية وذوات اصداف .  
فذوات الاصداف منها تعتمد في المحافظة على سلامتها على  
اصدافها العظمية ، فتتخذ اصدافها الصلدة درعا خارجياً تدرع  
به ليقبها طواريء الزمان . واما الفقرية فقوتها كائنة في فقراتها  
الداخلية فاذا فوجئت ذوات الاصداف بخطر زحفت متحصنة  
داخل اصدافها ، واذا فوجئت الفقرية بخطر عمدت الى محاربتها  
بقوتها والتغلب عليه . اما انا فلا رغبة لي في ان اكون نقسا  
صدفية .

ولا اعتقد باننى سأنفذ من الاخطار ، لا في هذا العالم  
ولا في العالم الآتى ، لاننى اؤمن بأن الحياة شقيقة الاخطار  
وحيثما لا خطر لا حياة . اما اذا قدر لي ان اكون في مأمن  
أبدي من الخطر في السماء فذلك إنما هو نتيجة لما سيكون لي  
من القوة للتغلب على الاخطار والبقاء الدائم في السماوات  
وليس لان الجدران ستكون بالغة الارتفاع ويستحيل على  
الافلات منها .

## كيف أنظرُ الى الصلاة

« الصلاة لا تغير الارادة الالهية، ولكنها

تطبق الحياة عليها »



اننى أومن بالصلاة من أعماق قلبي . فأصلى في مخدعى  
وفي سكون وحدتى، كما اشارك الناس في صلواتهم العمومية  
على اننى أود ان اوضح في هذا الفصل خلاصة عقيدتى  
في الصلاة .

ان أفضل تعريف للصلاة ينطبق على فكرى ويقنع  
قلبي هو هذا : « الصلاة هى إلباس الرغبات الفكرية ثوبا  
من الالفاظ الساذجة » فاذا صليت فانا أجهد فكرى لأعبر  
بالالفاظ عن اعماق رغبات نفسى . واوجه هذه الالفاظ الى  
روح الله الملائمة الوجود لاننى كلما فكرت به تعالى أشعر بأن  
قوته غير المنظورة تشجعنى على ايضاح اسمى رغبات نفسى  
وكل ما أرمى اليه من وراء هذا العمل إنما هو السعى  
وراء ادراك القوة الكائنة في الارادة الالهية وتكييف ذاتى  
على ما تودّه لى . ولم افكر قط في حياتى في ان اعيد ارادة

الاب الكلي الحكمة بارادتي . لاني اعتقد بأن من الغباوة  
البالغة ان أسمى إلى مثل هذا الجنون . لان ما يريدہ الاب  
لي هو أفضل بما لا قياس له من جميع ما افكر به لذاتي  
وانني أحب كثيراً ان أردد التشبيه الذي وضعه هوراس  
بوشنال في هذا الموضوع ، وخلاصته اننا عند ما نصلي نشبه  
رجلا جالسا في قارب صغير قريبا من الشاطئ ، وهو ماسك  
بيده جبلا غليظا مربوطا إلى وتد في الشاطئ ، وهو يشد به  
بهمة ونشاط ظنا منه بانه يجذب الشاطئ اليه والحقيقة انه  
إنما يجذب ذاته إلى الشاطئ . وهكذا فاني وان خيل إلى  
اني ارغم الله بصلواتي لكي يفعل لي على وفق ما اطلب منه ،  
لان ضعف مداركي العقلية لا يجد طريقة أفضل من هذه  
للتعبير عن رغباتي ، فان وراء كل هذا تركم رغبتى الخفية  
ضارعة إلى الله وقائلة ، « لتكن مشيئتك انت ، لا مشيئتي »  
لاجل ذلك لا أومن بما يسميه الناس ، « الاجابة  
الخصوصية عن الصلاة » ، فأنا لا أصلي إلى الله أن يمطر على  
الارض أو يحدث أقل تغيير في ناموس الطبيعة ، ولا أطلب  
منه تعالى ان يعطيني مالا أو صحة أو ان يحرس حياة اهلي

وأحبائي . لان أبي السماوى فى جميع هذه يعرف ما أنا فى  
حاجة اليه اكثر منى . وكل ما التمسه بالصلاة ان اكون قنوعاً ،  
راضياً بكل ما أناله من عطايا الحياة ، قادراً ان اعيش مطمئناً به  
تعالى راضياً بنظام الحق العظيم قابلاً بما قسمه لى فى هذه الحياة  
على ان هنالك كثيراً من الآيات التى يتسلح بها البعض  
للبرهان على ان يسوع قال ، ان كل ما نطلبه بالصلاة  
ونحن مؤمنون يكون لنا . ولكننى اعتقد بان أمثال هذه  
الآيات الشعرية الرمزية إنما هى نوع آخر من التعبير الشرقى  
الجميل الذى إذا لم ننظر إلى روحه اكثر من حرفه تضيع  
علينا فائدته وربما زادنا بلبلة وتشويشا اكثر من ذى قبل .  
فتصور أيها القارئ العزيز ان فى هذا العالم الذى نعيش فيه  
بليون ونيف من أبناء الانسان وكل واحد منهم يركع مصلياً  
الى الله ، وافرض فى ذهنك ان كلا منهم يريد نوعاً خاصاً من  
الطقس الذى يحبه ، فالواحد يلتمس شمساً تحيى بحرارتها  
زروعه ، والثانى يطلب مطراً يروى حقوله المتعطشة ، والثالث  
يلتمس ريحاً شرقية ، وغيره يطلب ريحاً غربية ، إلى آخر ما  
هنالك من الرغبات البشرية المتناقضة ، فيتمثل أمامك إذ

ذاك انك تعيش في عالم تسود الفوضى في انحاءه وتعمّ البلبلة  
والتشويش جميع ابناؤه ، لانه لا تسود فيه إرادة المهندس  
الحكيم الذي وضع شرائعه بل تتحكم فيه الملايين من الرغبات  
والشرائع التي يسنها البشر الجهلة

ويلوح لي ان الصلاة قد تمحوت في الناس إلى عادة  
ملازمة وأصبحت من الرغبات العادية التي يمارسها الانسان  
على مقتضى ظروف الزمان والمكان . اما أنا فاني قلما اصلي  
راكعا على ركبتى لاني اعتقد بان الله كما أو من به لا يريد البتة  
ان يراني ساجدا امامه كعبد ذليل حقير ، فهو ليس بالسلطان  
الظالم أو السيد الجائر ليتلذذ برؤية رعاياه يزحفون على الارض  
متدلين . بل هو أبٌ وصديق عطوف ولذلك يريد ان يأتي  
اليه ابناؤه واصدقاؤه كما يأتي الابن الى أبيه والصديق الى  
صديقه . على اني اركع على ركبتى أو أقف منتصبا في الصلاة  
على مقتضى الظروف عند ما اكون في الكنيسة مع بقية ابناء  
طائفتها ، ولكنني افعل ذلك من قبيل المحافظة على الادب  
والاتماد عن الشذوذ ، ولان ذلك لا يؤثر بي فعلته أم لم أفعله  
أما اذا كان فريق من الناس لا يصلون الا وهم راكعون فاني

بعلء ارادتى اسجد راكما معهم ، بيد اننى اسجد لكراماهم  
لا اكراما لله لان الله لا يطلب ذلك منى وانما هم يطلبون  
واحب ان اشارك الناس في صلاتهم العمومية ، سواء  
قرأتها في كتاب كما في الكنائس الشرقية والكنيسة  
الايسكوبالية والرومانية ، أم أصغيت إلى الواعظ كما في  
الكنائس البروتستانتية الأخرى ، لاننى اتشجع وازداد قوة  
بأن أرى إخوانى في الانسانية متحدين معى في الدنوا من  
هيكل الله الغير المنظور ، ومهما كنت واثقا بصحة ارائى  
وسلامة عقائدى فلربما ظهر اخيراً ان هذه الآراء وهذه  
العقائد ليست بأفضل من غيرها ، وان الاب السماوى يقبل  
شركتهم في الصلاة افضل من شركتى

لان كل ما أقوله في هذا الكتاب ليس من باب الجدل  
والمحاكمة ، لاظهار تفوقى أو أنايتى ، بل انما هو اعتراف  
بسيط أود أن اظهر به حقيقة عقيدتى بطريقة احافظ بها على  
الصراحة والامانة والاستقلال الذاتى



## كيف أنظر الى الروح القدس

« ان الانسان روح أستطيع أن أنظر  
الجسد الذي تحمل فيه . وأما الله فروح لا  
أستطيع أن أنظر جسدها . أما روح الله  
فهى الروح القدس »

انى أو من بالروح القدس ، ولكن ايماني هذا لا يبنى  
على أساسات ما فوق الطبيعة أو غير ذلك من الخوارق .  
لانا اذا تكلمنا عن روح الانسان فنحن نقصد بذلك ذات  
الانسان الحقيقية التى بها نعرف ان الانسان أرقى من  
الحيوان . لان الانسان فكر أو روح لها جسد مادي تحمل  
فيه ، وليس الانسان جسداً مادياً تحمل فيه روح أو فكر .  
هذه عقيدتى الراسخة في شأن الانسان وأنا اتمسك بها لاننى  
أجد انها أقرب إلى العمل والفكر من العقيدة القائلة بان  
الانسان حيوان مفكر

وكما ان الانسان روح أستطيع ان أرى الجسد الذي  
تحمل فيه ، هكذا الله روح لا أستطيع أن أراها . وفي الناس



نفر من ذوى التأثير الصالح عليّ وهم في نظري أرواح صالحة ،  
وروح الله لها على حياتي أعظم التأثير وأنفعه وخصوصا  
بواسطة يسوع المسيح ، ولذلك فهي روح مقدسة ، ولكن  
قداستها قد تناهت في الكمال حتى أنها بحق تدعى الروح  
القدس .

وأما موضوع الثالوث ، فسواء كان الله واحداً في ثلاثة  
أقانيم ، آب وابن وروح قدس ، أم كان إلهاً واحداً بغير أقانيم  
ثلاثة فإن ذلك موضوع لا أستطيع أن أفهمه وهو أسمى من  
أن يبلغ فكرى إلى إدراكه . وهو لا يؤثر في حياتي المسيحية  
قط طالما أنا أو من بتأثير هذه القوة الالهية العظيمة في جميع  
مظاهر حياتي . واما رأى السائد على الناس بأن الله يغضب  
عليّ اذا لم أو من بموضوع لا أفهمه وينتقم منى شراً انتقام فهو  
في عقيدتى وهم لا حقيقة دونه

غير انى في مقدمة الراغبين في مشاركة الناس في تقديم  
الاکرام والعبادة للروح القدس والانخراط في سلك المرتلين  
والمسبحين بحمده وشكره . ولكننى اعتقد بانى كما لكل

إنسان ملء الحق في إيضاح حقيقة معتقدي .  
فإن الله روحٌ بالحقيقة ، كما أن الإنسان روح بالحقيقة .  
وإنه لمن الضلال أن نقول أن الإنسان أو الله لهما روح فيهما  
بل يجدر بنا أن نقول أن كلا منهما روح بذاته ولكن روح  
الإنسان هي نسمة علوية خالدة من روح الله . ولذلك أوضح  
النبي هذه الحقيقة بجمال شعري فتان بقوله ، « أن روح الإنسان  
مصباح الرب » .



# مالا اقصدہ

عند ما أقول أنا مسيحي

« انه الناسي لا يبرر كونه ما تفصره بكلامك

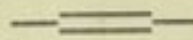
منى توضح لهم مالا تفصره »



## اننى لا أخص بمسيحيتى

عقيدة من العقائد المقررة

« ان عميدتي جامعة تشمل جميع  
العقائد . واننى بملء اختيارى أدعو كل  
إنسان يتبع خطوات يسوع بامانة واخلاص  
أخاً حبيباً لي . »



اننى لا أعتقد بأن ارادتى تنطبق على العقائد المقررة في  
أية كنيسة من الكنائس . وأشك كثيراً في ما إذا كانت  
كنيسة من الكنائس تقبلني كأحد أعضائها المتمسكين بطقوسها  
وتقاليدها . ومع ذلك فانى أستطيع ان اكون عضواً في أية  
كنيسة من الكنائس المسيحية من غير ان تتأثر عقائدي الخاصة  
ومبادئى . واثق بأن السلطات الكنائسية المختلفة لا تطردنى  
من الشركة معها لاننى لا اعترض على عقيدة ما من عقائدها  
التي لا أومن بها . وأنا لا افعل ذلك رغبة منى في الخداع  
والمراوغة ، كلا ، ولا لانى سهل الانقياد إلى التصديق بما لا  
أومن به من العقائد والآراء . بل أنا افعل ذلك لاننى أعتقد

بأن العقائد والنظم المختلفة التي يقوم الخلاف عليها في الكنائس المسيحية إنما تتألف من قضايا متعددة لم يعرف شيئا منها أحد من مشرعي العقائد كما انى أنا لا اعرف عنها شيئا . واكثر هذه العقائد تتألف من قضايا نظرية قد طالما كانت موضوع مناقشات ومجادلات حادة بين الطوائف المسيحية، وقل بين هذه القضايا ماله أقل تأثير في المواضيع المتعلقة بالحياة المسيحية وبعبارة وجيزة أقول ، انى من صميم قلبى أسلم بالمرحج العام المشترك الذي يضم كسور العقائد المسيحية كلها الى وحدة واحدة . فان هنالك عقائد عامة تؤمن بها جميع الكنائس المسيحية . وهنالك غيرها من العقائد والطقوس الخصوصية التي تؤمن بها هذه الكنيسة ولكنها تختلف عن العقائد والطقوس الخاصة الاخرى التي تؤمن بها تلك الكنيسة . أما أنا فانى أو من بالعقائد العمومية التي يؤمن الجميع بها واما العقائد والطقوس الخصوصية التي لسكل واحدة منها منفردة عن رفيقاتها فانها قلما يهمنى أمرها . وسواء عندى حق هي أم لا .

ولزيادة الايضاح نقدم هذا المثل ، اذا ضمك مجلس فيه

ممثلون من جميع الفرق النصرانية من ببارومية الى السيدة.  
ماري ادي ( مؤسسه فرقة الكريستيان سيانس « العلم  
المسيحي » ) الى يوليم بوث زعيم جيش الخلاص ، وسألت  
كل واحد منهم رأيه في التثليث ، وطريقة انعام المعمودية  
بالرش أم بالتغطيس ، والكهنوت ، والنعمة الرسولية ، وأنواع  
السلطة في الكنيسة ، والمطهر ، والمعصمة ، والخمير والفطير  
وغير ذلك فانك تحصل على اجوبة بمقدار عدد المجاوبين وكل  
منهم يناقض الآخر . غير انك اذا سألتهم ما الاجدر بالانسان  
ان يكون أميناً أم خائناً ؟ نقياً أم مدنساً ؟ تقياً أم مجذفاً ؟  
قائداً لذاته أم ان يكون قياده في يد غيره ؟ عفيفاً أم  
شهوانياً ؟ فان كل واحد منهم يجيبك بنفس الجواب الذي  
يجيب به رفيقه .

ولعل هذا مادعا أمرسون ان يقول ، « ان جميع الرجال  
الابرار في العالم يدينون بدين واحد »  
على ان جميع الخلافات المستحكمة بين الكنائس المسيحية  
هي من اعمال الماضى المظلم . وقد نشأت هذه الخلافات في  
مواضع يندر ان يكون في أية كنيسة كانت في هذه الأيام

مَنْ يعيرها اقل اهتمام . واذا قام الخصام اليوم بين أبناء هذه الطائفة وتلك الطائفة فانما هم يحاربون بعضهم بعضا لأجل الخصومات القديمة التي كانت في أيام اجداد اجدادهم وقلما يوجد بينهم من يعرف الاسباب الرسمية التي دعت الى الخصومات . واما المبادئ التي توجد في جميع الكنائس على السواء والجميع يؤمنون بها إيمانا واحدا فهي الارث الوحيد الذي ورثناه عن آبائنا وسيظل عاملا نافعا لابنائنا واحفادنا واحفادهم من بعدهم . واما المبادئ الخصوصية الباقية فهي أشبه بمصران الزائدة المعوية في جسم الانسان فان كل ما تقوم به هذه الزائدة من الخدمة للانسان في التطورات الحديثة انها كثيراً ما تلتهب وتنذر حياته بالموت اذا لم يبادر إلى قطعها للحال .

وان السبب الحقيقي لوجود الطوائف المتعددة في جسم المسيحية في الوقت الحاضر مع انها ادركت الضرر العظيم الناتج عن ذلك ، فهو ان كل طائفة قد الفت من افرادها مجموعا منظما له شرائعه وقوانينه ، فبنت لذاتها الكنائس والاندية والمدارس ، ونشرت دعوتها بواسطة الوعاظ ،

والمبشرين ، والكتبة ، والمعلمين ، والوكلاء ، والكهان ،  
والاعوان ، وعينت لكل منهم عملا خاصا به يتقاضى لقاءه  
أجرة معينة ، ولذلك لم تبق ثمة من وسيلة لهدم كل هذه  
المؤسسات وطردهم جميع الموظفين من وظائفهم وأعمالهم  
ولا يختلف الحال في الكنائس عما هو في دور الحكومة  
فان كل عاقل يعرف ان النظام الحاضر السائد في العالم الذي  
يقسم العالم الى أمم مختلفة لكل منها حكومتها ومصالحها  
المنافضة لمصالح الاخرى انما هو نظام هادم نهايته الخراب  
والشقاء ، وبالعكس من ذلك النظام الذي يقول بتوحيد جميع ممالك  
الارض في مملكة واحدة . ولكن هذا يقتضى للقيام به زمان  
طويل . فان التنظيم والتوحيد هما أشبه بالنماء ، فاذا جربت  
أن تعجل فيه فانك تكون كمن يقضى عليه ليفسح المجال  
للفوضى والاضطراب . مثل هذا حدث في الثورة الافرنسية  
ومثله حدث في روسيا عندما دحرجوا عرش القيصر وعوضوا  
عنه بالبلشفية . فعند ماسعى القوم في فرنسا وروسيا الى تغيير  
النظام القديم وتبديله بنظام أفضل تم لهم تحطيم قوى النظام  
القديم ولكن الفوضى كانت نتيجة اعمالهم ولو الى حين ،



وسدّت في وجوههم المسالك المؤدية الى النظام . ومع ان  
الناس في جميع أنحاء العالم يرغبون في الوحدة بين الكنائس  
المسيحية فان هذه الوحدة لمن أشق التغييرات التاريخية لان  
العادات ، والتقاليد ، والمصالح ، والرغبات المتحكمة في العالم  
المسيحي يجب أن تتغير كلها وتبدل بما هو أفضل للوحدة  
الجديدة . وذلك لا يتم دفعة واحدة بل يقتضي له زمان طويل .  
وكما سبقت فقلت ، أقول الآن ، ان مايقوم بين  
الكنائس المسيحية من الخلاف والخصام انما هو تاريخي اكثر  
مما هو عملي . فان الخلاف الذي يفصل بين الكنيسة  
الانكليكانية وكنيسة الميثوديسيت ، مثلا ، انما هو خلاف  
حصل في النظر الى موضوع تسلسل الكهنوت من الرسل  
الى اليوم ، ولكن الحقيقة التي لا مريّة فيها انه قلما يوجد  
بين أعضاء هاتين الكنيستين من يدرك حقيقة هذا الموضوع  
أو انه على الاقل يهمله أن يدرسه ليسبر غوره . ولذلك فان  
الخلاف بين هاتين الكنيستين قائم على اختلاف بسيط في  
التقليد والعادة ، والطقس ، والتنظيم والشعور . غير اننا اذا  
نظرنا الى الحقيقة المجردة نرى ان في كل من الكنيستين

أعضاء كثيرين من خيرة المسيحيين يظهرون بأعمالهم الصالحة وسيرتهم الشريفة انهم يؤمنون إيماناً واحداً بالرب يسوع وزعامته السماوية للحياة البشرية ، ويجربون على السواء أن يفتنوا خطواته الصالحة .

والخلاف بين الكنيسة المعمدانية والكنيسة المشيخية ( البرسبتيريان ) انما هو قائم على طريقة اتمام المعمودية . ولكنك قلما تجد عضواً في هاتين الكنيستين يؤمن بأن الطريقة التي تم بها المعمودية سواء كانت بالتغطيس الكامل أم بالرش لها أقل تأثير في تكوين الاخلاق والآداب المسيحية . فالخلاف كائن بين هاتين الكنيستين ولكنه نتيجة لقوة استمرار الماضي في الحاضر .

ولاشك ان العقيدة ضرورية للناس . لان الانسان لا يستطيع أن يفكر البتة ما لم يكن له موضوع يفكر به . أما هذه العقيدة الضرورية التي سادت وتسود على جميع الكنائس فانما هي المخرج المشترك العظيم الذي يضم جميع صور الطوائف تحت جناحي الايمان بزعامه يسوع والحقيقة الخالدة الكائنة في المبادئ الشريفة التي نطقت بها شفاهه وأيدتها سيرته وأعماله في حياته

## انني لا أخص بمسيحتي

الخضوع لأي نظام من النظم دون غيره

« لاتعنى المسيحية بسيرة الانسان مالم  
تكن سيرته ثمرة من ثمار أخلاقه الصالحة »

ان مسيحتي لاتضطرني البتة الى أن أطبق سيرني على  
أى نظام من النظم التي تعرضها هذه أو تلك الكنيسة دون  
غيرها . فان هنالك كثيراً من الاعمال التي أعملها بفطرتي  
ولكن هذه النظم تمنعها وتحتقر من يعملها . وهنالك كثير  
من الاعمال التي تجعلها في مقدمة الواجبات الضرورية ولكنني  
أهملها في سيرتي وقلما أعبأ بها . لاجل ذلك لا أريد أن انخرط  
في عضوية أية جماعة تريد أن تقيد حياتي بقيود الطاعة العمياء  
لاوامرها : ولذلك سأظل خارجاً عن بعض هذه الجماعات  
ولكن البعض الآخر الذي لا يتطلب مني مثل هذه الطاعة  
العمياء أستطيع أن انخرط في عضويته .

فان صحيفة أعمالى حرة طليقة من سطور الطائفية  
وبنودها ولم يخطر لي قط أن أفكر في كيف تنظر الطائفية

الى أي عمل من أعمالى قبل أن أقوم به لان لى اليه دافعاً غير ذلك . لان القوة التى تدير سفينة حياتى كائنة اولا في نظرى الى أن أجعل سيرتي مطابقة لمبادئ يسوع الخالدة ، وبعد ذلك في إصغائي الى الصوت العميق في داخل ضميرى ، ومراعاتى لعواطف عائلتى ، وجيرانى ، واخوانى في الانسانية التى أنا عضو منها . ولذلك أبذل قصارى جهودى لكي أطبق حياتى على أسمى العادات والتقاليد العاملة في المحيط الذى أعيش فيه ، والابتعاد عن أى عمل من شأنه أن يزعج سلامة الذين يعتقدون بخلاف ما أعتقد من غير أن أحتقر أيّاً منهم أو أعارض على مبادئه لاني أعتقد بأن ما عندى من القوة للاعتراض على مبادئه يجب أن أحتفظ به لما هو أفضل من ذلك وأكثر نعمة للانسانية قاطبة ، وكل ما أطمح اليه أن لا أحتقر أحداً من الناس الذين أعيش بينهم وألا أتلفظ بكلمة أو أبشر عملاً يجرح عواطفهم وحاساتهم ما لم تدع الى ذلك حاجة ماسة لا بد منها .

ولكن هذا كله في عقيدتى لا دخل له في الكنيسة او في الدين . لانه مظهر من مظاهر المدنية والتهديب والعاطفة

الصالحة . فاني لا اعتقد بأن الدين يقوم بالنظم المتضاربة التي  
تضيّق مسالك الحياة بل هو عبارة عن مبادئ عمومية لتهديب  
الروح وتدريب الفكر في مناهج الحق والحياة .

## اننى لا أقصد بمسيحتى

اننى قديسٌ ظاهر

« لست المسيحية لاقليسة مختارة من  
الناس . لانه لیس على الارض من أمة أو  
شعب لا يستطيع أن ينتفع من مبادئها »

إذا قلت أنا مسيحي فان ذلك لا يعنى اننى قديس ظاهر  
لاننى لا أنا بالقديس ولا أنا بالمتظاهر بالقداسة . ولكن  
الحقيقة التي لامرية فيها اننى فردٌ من الناس الذين يرغبون في  
أن يعيشوا بحشمة وأدب في المحيط الذي حولهم ، واننى لست  
بأفضل منهم ولا أردأ من الرديء فيهم . واعرف الكثيرين  
من الناس الذين لا علاقة لهم مع كنيسة البتة ولكنى احترمهم  
كل الاحترام لشهامتهم الحقيقية وسمو اخلاقهم ، ونقاء

سيرتهم ورقة أرواحهم . وأعرف الكثيرين من الاعضاء  
العاملين في الكنائس الذين لا يتخلفون عن حضور أية حفلة  
أو خدمة لكنائسهم ولكنني أودّ مع ذلك جميعه ان اظل  
بعيداً عنهم سبحانه حياتي . غير ان هذا لا يعني أن الدين لا  
فائدة منه ، كلاً ، والف كلاً ، بل انما يوضح بأجلى بيان ان  
هنالك كثيراً من الناس ، في الكنيسة وفي خارج الكنيسة ،  
قلما يدركون من حقيقة الدين ما يدرك كاتب هذه السطور  
من لغة الصين.

وفوق ذلك فاني لا أقصد البتة بمسيحتي اني قدس  
ظاهر كما يفهم الناس من القداسة والطهارة . لاني لست من  
المؤمنين بالعبادات السرية والالفاظ السحرية . فلا اقضي  
ساعات طويلة في الصلاة . ولا أعتزل العالم اياماً وأسابيع  
لكي اجتمع بالروح الكلي واحظى بالانشقاق السماوي باتحادى  
مع روح الله ، لاني اعتقد بأنه افضل لى بأن أسمى إلى معرفة  
ما يريد الله منى بأعمالي وبالقيام بواجباتى اليومية بطريقة  
تحسن في عينيه تعالى . واني أذكر ان يسوع قد قال في الانجيل

ما يؤيد رأبي في هذا الموضوع انه في اليوم الاخير سيأتى اليه  
كثيرون ويقولون له ، « ألم نتنبأ باسمك ، وباسمك ألم نصنع  
العجائب ؟ » فيجيبهم الرب قائلاً ، « لماذا تدعونى يا رب ،  
يا رب ولا تعملون ما أقوله لكم ؟ أبعدوا عنى أيها الملاعين  
انى لم أعرفكم قط »

على اننى قد رأيت في حياتى من الرؤى والاعلانات  
والمظاهر الروحية بمقدار ما رأى أبعده الناس شعوراً وخيالاً .  
ولكن هذا كله لا يستطيع أن يكون لى أساساً راسخاً ابني  
عليه دعوتى المسيحية ، وقد طالما أثرت في حياتى الدروس  
والتاثيرات النفسية فعمدت الى درسها وانتقادها والريية منها  
ولكننى لا أومن بالانذارات السابقة ، ولا بالارواح الشريرة  
والمناجاة والرسالات الروحية . ولا اعتقد بأن الانسان تفوده  
الارواح في حياته حيثما شاءت بحيث تضيع ارادته ، وذلك  
بطريقة فائقة الطبيعة . وأعرف اننى أحد افراد ابناء الانسان  
الذين ورثوا الاوهام والخرافات عن اسلافهم المتقدمين على  
حمر الوف السنين ، وآثار هذه الخرافات ظاهرة في جميع

اعمالهم لكل ذى عينين ولاكنني انظر الى ذلك كله نظري  
الى وسخ أدبي علق بذهن الانسانية. وعلى كعاقل بصير ان  
اغسله عن ذهني ليظل فكري نقياً صافياً. ولذلك فاني اعتقد  
بان جميع الخرافات القديمة الباقية اثارها وكل ما يخامر نفوسنا  
بسببها من المخاوف والتخرصات والسحر والرعب أو هام  
لا شأن لها مع الدين الحقيقي بل هي آثار للبربرية التي نشأ  
عنها الجنس البشرى





## ان مسيحتي لا تضطرني

إلى اتباع تعاليم يسوع بتدليل والافتداء بحياته بخنوع

« ان ما اناله من يسوع هو أقصى  
درجات الحرية »

ان أفضل ما أعبّر به عن الحقيقة التي تدفعني إلى القول  
بأنى مسيحي هو الكلمة البسيطة التي يفهمها كل ذى شعور  
سليم في العالم انى اجرب ان « اتبع » خطوات المسيح .  
وهذه الكلمة « اتبع » هي بالحقيقة كلمة جميلة ولذلك أحب  
مضمونها : فانا لا أجرب ان أقتفى آثار المعلم الصالح بتدليل  
وجهل مقرونين بعدم الفهم لانى أعتقد بان كل معلم صالح  
يريد ان جميع المؤمنين به يدركون معنى تعاليمه ويفهمون الغاية  
من حياته حتى إذا تبعوه عرفوا ابن يسيرون . لان يسوع  
لا يريد أن اتبعه في طريقه صامتاً ، بل يريد ان اتخذ من  
مبادئه طريقاً خاصة بي اسير عليها حراً طليقاً . فعوضاً عن  
ان اقول انى اعلم مثل المسيح ، فانى أعتقد بانى أكون  
تلميذاً أفضل إذا قلت انى أتصرف على وفق طريقتي وانا

بأذن قصارى جهدى لجعل هذه الطريقة طبق رغبة معلمى  
يسوع . لان الفرق عظيم جداً بين الاقتداء بالمسيح بذلة  
وصفاة وبين العمل بتعاليمه عن إدراك حقيقي لفائدتها الخالدة  
وقد قال يسوع مرة ، « تعرفون الحق والحق يحرككم » .  
ولذلك فاني بمعرفتي للحقيقة المسيحية أحصل على أقصى  
درجات الحرية

وان من أشرف صفات المعلم العظيم انه يحرك من  
عبوديتك ، لانه يقوى وينعش قواك المفكرة للسيادة على  
مجارى حياتك . ولا يقيد شخصيتك بقيود ثقيلة تربط تعاليمه  
ومبادئه . لان المبتدئ في درس الموسيقى عندما يشرع في  
تفهم المبادي الاولية والسعي الى تحديدها في عمله يصبح صدى  
بسيطاً يردد انعاماً اردأ مما تعلمه . ولكنه عندما يدرس  
يتهوفن وتشويين فانه يجد ان افضل ما في نفسه من  
الانعام قد استخرج منها من حيث يدري ولا يدري . واني  
اصتقد بان وجودى في هذا العالم انما هو واسطة لايضاح حياتى  
بافضل ما أقدر عليه من التعبير ، ويسرنى أن اسمي نفسى

تلميذاً ليسوع لانه هو الذى يستطيع ان يساعدنى على هذا  
الايضاح بما لا يساعدنى به معلم سواه .  
وعندما أقول أنا مسيحي انما اعنى انى أتخذ مبادئ  
يسوع دليلاً لي في حياتى الحرة أكثر مما اعنى انى أتبع جميع  
وصاياه مرغماً . وانا أخص بوصاياه النصائح الخصوصية  
والارشادات التى كان يعطيها لافراد مخصوصين في ظروف  
خاصة . وانا عند إعمال الفكرة في درس الانجيل نستطيع  
ان نميز بين هذه الوصايا الخاصة والمبادئ العمومية التى هى  
المحور الوحيد لتعاليم المصلح الاكبر ولاعماله على الارض .



## ليست المسيحية

في عقيدتي نظام محرّمات ومقدّسات

« ان إله المحرمات والمقدسات هو دون  
سواه قد ملا هذه الارض بالزنادقة والمعطلين  
لان الاله الذي علمنا يسوع أن نعبده لا يستطيع  
أحد أن يرفضه أو يكفر به »

انى على أتم الثقة بان كثيرين من قراء هذا الكتاب  
سيقولون ان مؤلفه لا يحق له البتة في أن ينتمى الى دين من  
الاديان أو ان يدعي بأنه مسيحي من أبناء الايمان . وعندى  
ان أمثال هؤلاء القراء محقون في قولهم الى حد محدود . فانى  
بالحقيقة كافر في نظر اكثر اديان العالم الحاضرة وفي جملتها اكثر  
المذاهب والطوائف التى يخيل اليها انها مسيحية . لانى اعتقد  
بان اكثر مبادئها التى تتمسك بها وثنية صرفة

اما الفرق بين الوثنية والديانة الحقيقية فهو كالفرق بين  
الوهم الاعمى والايمان الناضج بالمعرفة . فالوثنية تحيى بالخوف  
والزجر عن هذا والنهي عن ذلك من الاعمال . والمبادئ

الوثنية تكاد تكون جميعها نظماً خرقاء لاستعطاف الله والتفكير  
لديه . أما طقوسهم واحتفالاتهم فانما يقصدون أن يكفوا بها  
غضب الالهة عنهم وجميع علومهم وبلاغتهم ومنطقهم موجهة  
للهرب من انتقام الالهة التي يعبدونها . واما ذبايحهم فلهذه  
حدة غضبها ولتسكين نائر انتقامها

وانى أعتقد بأن كل فرقة من فرق النصرانية تدخل  
في مسيحيتها شيئاً من هذه الخرافات القديمة تكون وثنية  
ضالة عن سراط المسيح المستقيم . لاننى لا أستطيع ان أتصور  
البتة ان الله غضوب محب للانتقام . بل أنا أعتقد بالعمس  
بان الله حليم رؤوف بمخلوقاته التى برأها وهو أب حنون  
يرحم الخطاة من أبنائه الذين أنا أولهم . فهو يحبنا جميعنا  
على السواء المرضى والاصحاء ، الاغنياء والفقراء ، الخطاة  
والقديسين ، والابرار والسفاحين ، ويدبر حركة الكون  
بحكمته لما فيه خيرنا وتقدمنا اجمعين

واعتقد بان الله تعالت حكمته لم يكن قط في حاجة الى  
ذبايح العجول والتيوس . كلا ، ولم يكن قط وحشاً ضارياً لا  
يلذ له سوى سفك الدماء البريئة والتلذذ بشربها . وكل ما نراه

في العهد القديم من هذه الفظائع التي كان ينسبها العالم الى شخص الله تعالى إنما هو نتيجة لان عقيدتهم بالله لم تكن قد نضجت بعد . وقد جاء يسوع لكي ينقض هذا الرأي الناقص ويقدم للعالم تعليمه الخالد باوثة الله ومحبته ورحمته الغير المتناهية وقد خلص العالم بتعليمه الذي قاده أخيراً إلى الصليب فقبله طائفاً ليؤيد بألامه عليه جميع تعاليمه الخلاصية

لاجل ذلك سيدبقى صليب يسوع إلى الابد أسماً مثالاً للالهية المتجسدة على الارض . أما العواطف التي تختلج في قلوبنا لآرام الصليب والحقيقة الخالدة التي يمثلها الصليب فهي لا تقل اخلاصاً عن عواطف أي كانت من خلاصة رجال الطقوس والحروف . ولكنني اعتقد بان هذه العاطفة يجب ان تكون حرة طليقة من قيود الرياء والتصنع

ان الرجل العادي من الناس عندما يقول ان هذا الانسان تقي ورع بطبيعته إنما يعني أولاً : انه قد قيّد فكره بقيود عقائد وآراء مقررة ، وكثيراً ما تكون في مواضع لا يعرف عنها شيئاً ، أو ثانياً : انه تقي في ممارسة الطقوس والاحتفالات ، من مثل الذهاب إلى الكنيسة ، والسجود

في وقت الصلاة والامامة بجميع اصولها وفروعها، والمحافظة على السبت وأمثال ذلك، أو ثالثا: انه يحظر على نفسه التمتع بملذات معينة، فاني عندما كنت صبيا كان على التقى الصالح ألا يلعب (بالورق)، والا يذهب إلى المسارح العمومية وألا يرقص أو يحضر سباق الخيول.

وربما نظر الناس في هذا العصر إلى هذه الامور نظرتهم إلى أشياء تافهة ولكن الحقيقة الناصبة ان هذه هي اقدم ديانة في العالم. هي ديانة المحرمات والمقدسات، ديانة البركات واللعنات. فان الوفا من السنين قد مرت على الدين قبل ان بدأ ينظر إلى تعليم الآداب، فقد كان في كل ذلك الزمان الطويل منشغلا بتنفيذ النظم والشرائع التي تعلمك ان هذا الشيء مقدس وذلك ملعون مُنجس. ولم يعرف التاريخ أمة من الامم الهمجية التي لم تكن لها محرماتها أو الاشياء المحظورة عنها، ومقدساتها أو الاشياء المباركة عندها. ولا يزال حتى اليوم كثيرون من الناس، الذين يخيل اليهم انهم متمدون، يحصرون دياتهم بالمحرمات والمقدسات.

هذا هو جوهر الديانة الفريسية التي ثار عليها يسوع

الاستأصل شأفتها من الارض . وقد انتقده الفريسيون مرة  
لانه فيما كان يمشى بين الزروع قطف بعض سنابل الخنطة  
وفر كها بين كفيه وأكل حبوبها في يوم السبت . وهذا مادعا  
يسوع إلى التصريح بقضائه العادل على ديانة المحرمات والمقدسات  
يقوله المشهور ، « ان السبت قد جعل لاجل الانسان وليس  
الانسان لاجل السبت » .

واذا قيل لك ان هذا الرجل كاثوليكي « فاضل » أو  
« ايسكويالي » فاضل « أو مسيحي « فاضل » فانما يريد القائل  
ان يبرهن لك ان هذا الرجل الفاضل هو شديد التعصب في  
المحافظة على الطقوس المقررة في مذهبه في شأن المحرمات  
والمقدسات لا ان يوضح لك ان هذا الرجل فاضل لانه ذو  
روح طيبة محبة للخير والفضيلة

فان اكثر الناس يعتقدون بان الدين هو دعوة الى الحرب  
مفهم اعضاء في هذه الكنيسة كما ان الجنود اعضاء في ذلك  
الجيش . لانهم ينظرون إلى الدين نظرتهم الغبية إلى الوطنية  
العمياء التي هي ثمرة من ثمار خرافة تفريق العالم إلى أمم وممالك  
مختلفة يحارب بعضها بعضا . ولما كانت هذه العاطفة المفرقة



البشر الى فرقٍ فرقٍ ، قديمة العهد ممتلئة من الشر يسهل على  
الناس الشعور بها، فان الكثيرين من زعماء الكنائس يستلذون  
نشرها وتعزيزها

اما أنا فلا اعتقد بان الدين واسطة للتفريق . فسواء  
عندي سميته باباويًا أو أسقفياً أو معمدانياً أو مشيخياً أو غير  
ذلك من الطوائف المتعددة ، فما هو في عقيدتي الاوثنية حمقاء  
كالتى نشاهدها بين البرابرة في جزائر سليمان أو في اواسط  
أفريقيا ، بل هذه هي الديانة الفتيشية<sup>(١)</sup> بعجزها وبعجزها .  
واذا كانت هذه هي الديانة الحقيقية فاننى سعيد بخور ان اكون  
كافراً بها وبمبادئها . وكثيراً ما أجد بعض اثارها ما برحت  
عالقة بفكرى فاشعر بخجل عظيم في أعماق قلوبى .  
أجل ان يسوع المسيح لم يعلم قط بمثل هذه الديانة ،  
ديانة المحرمات والمقدسات . والاله الذى أعبدته بروحى

---

(١) العبادة الفتيشية أحط الاديان الوثنية ، وتوجد بأشكال مختلفة عند  
الامم المتعمقين في الجبال نظير سودان أفريقيا . ويراد بالفتيشية الهوى  
الذى له روح أو خيال عن الروح كالشجرة والصخر والبيض والشوك والحبوب  
والبلح والقرن وعروق الحشائش وما أشبه ذلك  
المعرب

وأؤمن به من اعماق قلبي لن يرضى بته أن أجهد نفسي بالجوع  
والجلد والتعذيب والاماتة والركوع ساعات طويلة لقهر  
الذات أو غير ذلك من الطقوس المقاومة للحياة ، بل هو  
بالعكس يريدني ان اكون قويا جريئاً وديعاً حليماً ، وان استعمل  
كل ما عندي من العواطف ، وان افكر بكل ما أوتيت من  
الفتنة والادراك ، وان أعيش ممتعا بخيرات الارض حراً الى  
أقصى ما تبلغ اليه الحريه المقدسة ، هذا هو الاله الذي  
استطيع ان أعبده وأؤمن به أما إذا كنت على ضلال في  
عقيدتي وكان إله المحرمات والمقدسات هو الاله الحقيقي فاني  
لأفضل ان اكون بعيداً عنه حائزاً على سُخطه دون رضاه .  
لاني بالحقيقة أوفر صلاحاً من مثل هذا الإله . والإله  
الحقيقي الذي اريد ان أعبده إنما هو أبو ربنا يسوع المسيح  
الذي هو افضل مني ومن جميع الناس بما لا قياس ولا حد له  
لاجل ذلك اثق بان إله المحرمات والمقدسات هو دون  
سواه قد ملا هذه الارض بالترناذقه والملحددين . لان الاله  
الذي علمنا يسوع ان نعبده لا يستطيع لإنسان ان يرفضه أو  
يفكر به . ولكن الاله الذي ابقت لنا الوثنية عبادته ، الاله

السفاح الغيور ، المنتقم الظالم لا عجب اذا رأينا الناس يشورون  
عليه . ولولا انتقال فكرة هذا الاله الظلام المحب لسفك  
الدماء وقتل الابرياء وسدل الحجب الكثيفة على مبادئ  
يسوع الشريفة ، لما قرأ العالم شيئا من تهكمات فولتير وغيره  
من المعطلين . ولو عقلت الطوائف التي يشاق بعضها بعضا  
لعدت عما ورثته من المسيحية فاستأصلت جميع اعدائها



## الجوهر الحقيقي الذي انظر اليه

في المسيحية

« ان الكنيسة تمثل أفضل ما يستطيع  
البشر السقهاء بافكارهم المتناسون طرقهم في  
ظلمة الحياة ان يفعلوه بوحى عجيب »

---

ان جوهر المسيحية كائن في الحق الذي أوضحه يسوع  
بتعاليمه . هذه هي نفس القضية المسيحية ويجب ان يميز  
الانسان بينها وبين جسدها تميزاً صادقاً . أما جسد المسيحية  
فهو ممثل بالجمعيات المختلفة التي أنشئت لتأييدها والسير بها إلى  
الامام . والنظم والعقائد المتعددة لتنظيمها وترتيبها . ولكن  
هذا الجسد سقيم عليل ، فقد طرأت عليه تغييرات متنوعة  
على مرور الاجيال التي مرت به وسيظل عرضة للتغييرات  
الاجتماعية كما ان أجسادنا البشرية تتغير أبداً بشريعة النمو  
والانقراض . ولكن النفس تعيش الى الابد ولا تؤثر فيها  
تقلبات الزمان أو حوادث الايام .

وكم هنالك من ذوي العقول الكبيرة الذين يتركون

السكة السلطانية ويرمون ذواتهم في الحفر والاخاديد .  
لانهم يخلطون بين نفس المسيحية وجسدها . يعنى أنهم ينظرون  
الى الكنيسة نظراً الى المسيحية

لانه اذا كانت المسيحية عبارة عن الكنيسة لا أكثر ولا  
أقل فان عليها أن تؤدي جواباً عن الخطايا الكثيرة والجرائم  
العديدة التي اقترفتها الكنيسة على ممر العصور كجمعية من  
الجماعات البشرية . فان ما صدر من بعض زعماء النصرانية  
من الغلو في التعصب ، والترفض ، والظلم ، والظنيان والطمع  
والجشع وراء الرئاسة وحب الصدارة لا تنفق البتة مع روح  
المسيحية النقية الطاهرة الفاتحة قلبها لكل من يقبلها أمام  
وجه الشمس .

ويجب علينا أن نضع نصب أعيننا ان ما تسميه عامة  
الناس مسيحية ليس من المسيحية بشيء ، بل هو اكدياس  
مكرسة من التقاليد الموروثة ، والرغبات المحشوة بالحماسة  
والمخاوف والاهام المختومة بخاتم المسيحية .  
ان الكنيسة تمثل أفضل ما يستطيع البشر السقماء  
المتلمسون طرقهم في ظلمة الحياة ان يفعلوه بوحى عجيب ..

ويلوح لى ان الكنيسة تتقدم في كل يوم بخلع ما ورثته من  
التقاليد الوثنية الرثة ، ولكنها لا تزال عليها مسحة من  
صبغة الاجيال المتوسطة السوداء .

ومع كل ذلك فان القوة الكائنة في يسوع والوحي السامى  
المتدفق من ينابيع تعاليمه عظيم بهذا المقدار حتى ان القليل منه  
الذى تتمسك به الكنيسة قد كان كافيا لتأييد كل ما نشاهده  
من الخير والصلاح في أعمال الكنيسة

وانى اقتطف بهذه المناسبة فقرة من أقوال هافلوك  
اليس الذى قال فيه المسر ما نكن ، « لا أشك بته في ان  
هافلوك اليس هو اوفر مدينة من جميع الانكيا الاحياء » .  
وقد اوضح بهذه الفقرة كيف ان الهيام النقي الذى يختلج في  
قلب الراغب في درس الدين وتعرف اسراره كثيرا ما تقبض  
عليه اشباح الماضى وتقيده بطائفة من التقاليد العمياء التي  
تقل ارادته وتقوده حيثما شاءت وطاب لها الهوى . قال :  
« ان نير التقاليد ، والمجامع ، والطوائف ، والعشائر ،  
قد طالما كان ضربة قاضية على العاطفة الدينية كما على العاطفة  
العلمية . ولا اجدنى من حاجة الى ايضاح الطريقة التي يقضى

بها ثقل هذا النير على العاطفة الدينية . فان هذه الحقيقة واضحة  
وضوح الشمس في رابعة النهار ، لانه عندما تنبت نبتة  
العاطفة الدينية في نفس من النفوس الفتية تتركض غيلان  
الكائنات من كهوفها فتقبض على الضحية التاعسة للتأثير  
الالهى في قلبها وتشرع في التأكيد لها بان ما تشعر به من  
الهيام الدينية ليس مظهرآ من المظاهر الطبيعية الحرة كنور  
الشمس الجوادة كقلب الزهرة ، بل انما قد طبع بطابع القوة  
الفائقة للطبيعة وقيد الى الابد بقيود العقائد النظرية الميتة وهكذا  
تقع النفس الفاتحة قلبها لاول مرة لنور الدين فريسة لطعم  
هيامها فيطبق عليها الفخ وتسمى سجيننة بانسة يسير بها دليلها  
الاعمى الى حيث اراد : فينتف الريش عن جناحيها ويجردها  
من كل ما فيها من قوة ورفعة حياة، وهكذا يقضى عليها قضاء  
مبرما فتظل راسفة في قيودها الى الابد . »



## ما هي القوة المجددة في المسيحية

ماذا يغير فكرك من مبادئها؟

« غاية المسيحية الرفعة لا الاقناع »

اغناطيوس

إذا قلت أنك قد غيرت فكرك فإنك تعني أكثر من  
أنك غيرت رأيك أو أنك تشعر بخلاف ما كنت تشعر به قبلاً.  
بل أنت تقصد أكثر من أنك قد بلغت إلى رأي جديد غير  
رأيك القديم. ولكنني لا أستطيع أن أعبر عن هذا التغيير  
الفكري تعبيراً صحيحاً، بيد أنني أشعر بأنه أعمق وأقصر من  
جميع ما ذكرت من التبديلات .

على أنني قلما يهمني أن أقدم اسماً علمياً لهذا التغيير لأنني  
أما أكتب لقوم يريدون أن يفهموا جوهر موضوعي لا أن  
يشغلوا أذهانهم بالاصطلاحات الوضعية والتركيبة العلمية .  
ولكن كيفما كانت هذه القوة المجددة في المسيحية فهي  
قوة تغير فكر الإنسان لأنها تزيد في ترقيته ونموه ، فينال  
منها أضعاف ما فيه من الترقب والسهر . فهي والحالة هذه



تقوة عظيمة تهدمه ثم تبنيه افضل مما كان .  
ومن شر الاوهام السائدة في العالم ان العقول البشرية  
تتغير ، أولاً بالدليل والبرهان ، ثانياً بالخوف .  
ولكن الدليل لا يؤثر بغير العقل . والعقل ليس بالحقيقة  
سوى مدير للشخصية الانسانية ينظم قوتها ولكنه لا يستطيع  
أن يجهزها بقوة جديدة .

وانك اذا عملت الفكر في حياتك اتضح لك ان افضل  
ما ظهر لك من الحقائق في الوجود انما كان نتيجة للنمو في  
القوى الفكرية الداخلية والحصول على خيال أبعد من  
الصعود الى أعلى ما تبلغ اليه قواك حينما استطعت ان تبصر  
أفضل ما في الاصقاع التي أشرفت عليها من المناظر الجميلة .  
وكثيراً ما تشعر بتغيير عظيم في فكرك ولكنك لا  
تعرف كيف حصل ذلك التغيير ولا من هو الذي أحدثه  
فيك ، لان أعظم ما يطرأ على حياة الانسان من التغيرات  
الفكرية انما هو تلك التغيرات التي يعجز الانسان عن ادراك  
أسبابها .

وأما تغيير الفكر الناتج عن الدليل أو البرهان فهو

تغيير محدود. لانك اذا أقنعت رجلاً بادلتك وبراهينك  
وارغمته على التسليم لك بعقيدتك لانك تستطيع ان تتكلم  
بصوت أعلى من صوته ولك جلد على الكلام أكثر منه ،  
أو لانك أكثر منه دهاء وأوفر حيلة ومكرآ ، وهو بطيء  
الذهن ضعيف الحججة بالنسبة اليك ، فانه ربما يقول لك ، « حسن  
يا صاح ، فأنت محق في أدلتك وبراهينك ، وأنا مخطيء في  
عقيدتي . ولذلك اسلم لك . » وربما ذهب الى بيته مقتنعاً  
بصدق رأيك ، ولكنه في الغالب يعود الى ذاته في الليل ويراجع  
أقوالك وأقواله في الموضوع فيتذكر انه كان يجب ان يقدم  
كذا وكذا من الادلة لنقض أدلتك ولكنه لم يفعل ذلك لانك  
لم تترك له مجالاً . ولذلك تتسرب الريية الى ذهنه فيعود الى  
رأيه الاول معتقداً انك مخطيء دونه . ولكنك اذا طرحت  
أمامه موضوعاً وطلبت اليه ان ينظر فيه ويقرر خلاصة  
ما تبلغ اليه نضاجة عقله فان التغيير الذي يصير اليه يكون  
معتدلاً ثابتاً ، لانه يعرف اذ ذاك انه قد اقدم بملء اختياره  
عليه ولم يضطره أحد اليه .

لاجل ذلك لم يحاول يسوع ولم يقدم ادلة او براهين

على ما جاء به من الحقائق فقد اقتصر على تقرير ما كان يريد  
ان يقوله بقوله « قد سمعتم انه قيل — كذا وكذا ، أما أنا  
فأقول لكم — كذا وكذا » . هذا كل ما كان يقوله ولم يجرب  
قط ان يبرهن على صحة قوله . وليس هذا نتيجة لما كان له  
من السلطان العظيم ، بل هو طريقة المعلم البالغ المعرفة في  
الشريعة الملازمة لجميع النفوس . فتمد عرف ان الاشارة الى  
الحقيقة افضل من البرهان على صحة الضلال .

لان افضل المعلمين هو ذلك الذي يحمل كيس بذاره  
ويسير في حقول العقول البشرية زارعاً كيفما سار . فهو يبذر  
بذاره ، لكي يفرخ وينمو ، ولكنه لا يملأ سلة من التفاح  
او صهر يجا من السوائل لان الفكر الانساني لاهو بالزنبيل  
ولا هو بالبرميل . بل هو كائن عضوي حي قابل للنماء .  
وكل ما نحتاج اليه في طور تغييرنا ونمائنا ان نفتح عيوننا  
ونبصر الحق ونجني من ثماره اليانعات .

اجل ، بل يجب ان نأكله خبزاً حياً ونشربه ماء حياً ،  
لكي يجري مجرى دمائنا في عروقنا ، ويختلط بطبائنا وافكارنا .  
لان المعلم الاعظم قال ، انه هو خبز الحياة وماؤها وخرتها

المنعشة . واما الحقائق المتراكمة بعضها فوق بعض التي تتعلمها  
عن طريق عقولنا فما هي الا طريقة للنمو في الحق ، كما ان  
القواعد المسطرة التي يقرأها المبتدئ في تعليم السباحة انما تظهر  
له كيف يسبح . فالحقائق العقلية لها مركزها ، وقواعد  
السباحة لها مركزها ، ولكن لا هذه ولا تلك تستطيع ان  
تأتي بشمرة ما لم تتزج بدقائق الحياة .

وهذا ما أراد يسوع أن يظهره لنا بقوله ، « يشبه ملكوت  
السموات خميرة أخذتها امرأة وخبأتها في ثلاثة أكيال دقيق  
حتى اختمر الجميع . »

فان انتصارات المسيحية كلها انما كانت تجرى على نحو  
الموال الذي به تخمر الخميرة الصغيرة العجينة كلها . فقد  
انتشرت المبادئ المسيحية الاولى في جميع أنحاء العالم ونمت  
وتكاثرت بين جميع الامم والشعوب كما تنمو الجرثومة  
الصغيرة وتنتشر وتتكاثر في جميع دقائق دم الانسان ، وهذه  
هي قوتها التي لا تقاوم .

وقد استعمل يسوع تشبيهاً ثانياً للمسيحية بقوله « انتم نور  
العالم » لان نمو المسيحية كان أشبه بنمو أشعة الشمس الضئيلة

عند الفجر التي تنير العالم ببطء مبددة ضباب الجهل والغباوة .  
وانني أحب ان اتصور يسوع كشجرة ورد مزينة  
بالورود النضيرة قائمة في وسط بستان التاريخ ، تعطر فكر  
العالم بعبير زهورها .

وقد أوضح الشهيد اغناطيوس هذه الحقيقة في رسالته  
الى المسيحيين في رومية حيث قال ، « ان غاية المسيحية الرفع  
لا الاقناع . »

وانني لا احتاج الى برهان لكي اوضح ان الخوف من  
العقاب والرجاء بالثواب لا اثر لهما في تغيير طبائع الناس .  
وربما كان لهما بعض التأثير في ادارة اعمال الانسان ولكن  
لا سلطة لهما على تغيير افكاره .

لذلك يجدر بنا الا نتوقع من الخوف من نار الجحيم او  
الرجاء بفردوس النعيم ردّ الناس من الضلال الى الحقيقة ،  
بتبديل طبائعهم ، لان مثل هذه التأثيرات انما تتناول سلوك  
الانسان دون اخلاقه .

ولم تكن خيبة الانسان في اعماله من اعتماده على الخوف  
من العقاب والرجاء بالثواب فحسب ، بل هنالك كثير من

القوات التي اعتمد عليها وخاب بها سعيها لان كل هذه القوات كانت وقتية باطلة . وكثير منها كان شريراً اضر بالانسان اكثر مما نفعه . ولذلك اعتقد بان جميع ما اثمره منطق اللاهوتيين من الامار ، وجميع الاحتفالات الطقسية التقليدية التي ورثتها الكنيسة عن الوثنية ، والكرامات والحمايات الخاصة وجميع العطايا المالية التي نالها رجال الكنيسة من الملوك والامراء ، وجميع المساعدات والحملات الصليبية التي قاموا بها للدفاع عن الايمان قد اقامت عقبات كأداء في طريق انتشار المسيحية اكثر مما ساعدت على نشرها وتعزيز مبادئها . اما انتصار المسيحية الحقيقي فانما كان بنمو شجرة الحق التدريجي في فكر الانسان بقوة لا تقهر . وتقدم الانسانية المطرد الذي لا بد منه ، الذي جاء نتيجة للمبادئ السامية التي بزغت انوارها من حياة يسوع وحكمته في العالم .

اما القوة المجددة في المسيحية فتتألف اولاً ، من الاشارة الى الحقيقة دون البرهان عنها . ثانياً ، من التأثير الشخصي ، واعني به القوات الكائنة في خميرة الحق الذي بشر به يسوع والمحبة التي غرسها في اذهان ابناء الانسان .

## ماذا أرجو من مسيحيتي

« اننى لا أريد أن أضمن حياتي بل أود  
أن أهدبها »

—=—=—

ان ما ارجوه من المسيحية هو نفس ما يرجوه منها  
العالم بأسره ، وما انا في حاجة اليه منها يحتاج اليه العالم بما  
لا يقل عن حاجتى ، وأنا لا اعنى بالعالم المسيحيين فحسب ، بل  
سائر ابناء الانسان قاطبة .

فانا لا ارجو من الايمان الناضج ان اخلص نفسى ، بل  
انما التمس ان اتعلم كيف اعيش في هذه الحياة كما يليق وينبغى .  
لاننى لا اريد ان اضمن حياتى بل اود ان اهدبها . ولا رغبة  
لى فى الهرب من الغضب الآتى ، بل انا راغب فى الحصول  
على قوة كافية استطيع بها ان اقوم بالجهاد الحسن فى معركة  
الحياة القائمة حيثما ولدتنى أمى . ولا اطمع من وراء إيمانى بنوال  
البركة فى العالم الآتى بل انما انشد منه ان يساعدننى على الحياة  
بطمانينة وقناعة فى جميع ادوار وجودي . ولا ارجو ان انجو  
من عذاب الجحيم واهوال نيرانه بل إنما اتوق الى الخلاص

والنجاة من الفوضى السائدة في العالم . وبالأجمال فاني آمل  
من ايماني أن أنمي رغباتي الطبيعية العادلة وأقربها واستثمر  
قواي الادبية وأحييها لكي أتمكن من ان احيا حياة هادئة  
معتدلة . لانني لا أتمس من مسيحتي النجاة من شيء ما ، بل  
انما ارغب في ان احصل منها على قوة تساعدني فاطبق ذاتي  
على كل شيء .

فان الفلسفة وحدها لا تكفي لهذه الغاية . ولذلك أنا  
في حاجة الى الدين . لانني احتاج الى قوة تنظم غرائزي ،  
وانفعالاتي النفسية وقواي العقلية . واني أجد كثيراً من  
المساعدة في أقوال الحكماء من مثل بنيامين فرانكاين  
وكوتفوشيوس وسقراط وامرسون وغيرهم . ولكنني لا  
أجد في أقوال هؤلاء الحكماء ما أجده في يسوع من الوحي  
النقي لاظهار الحق السامي ، والفهم الكامل لطبيعة القلب  
البشري والمجتمع الانساني ، والقوة العجيبة النابعة من شخصيته  
الفريدة في العالم .

على اني لا اريد أن احقر من قدر التاريخ المسيحي وما  
فيه من الاختبارات العديدة . فقد كان وراء جميع الاغلاط



والاوهام التي تسلطت على الناس قوة حقيقية مستترة . وقد كانت هذه القوة دليلا للاولاد الصغار من الصبيان والبنات في حداثتهم . وكم بعثت في عزيمة الرجال من غريبة في مغامراتهم وجبرت قلوب النساء وسكبت فيها بلسم التعزية في أوقات الاضطهاد والتجربة

أجل ، ان اختبارات المسيحيين في العالم هي مخزن ممتلئ من الكنوز الثمينة . ولا يمكن ان ننسبها كلها الى الاوهام والخرافات . لان تأثيرها في الاخلاق والتهذيب الانساني عظيم بهذا المقدار حتى لا يستطيع أحد على انكاره ولكنني أعتقد بان هذه القوة كلها قد نبعت من معين الحق الواحد الذي بشر به يسوع ، ومن التأثير العجيب الذي أحدثته ونمحدثه شخصيته الفريدة في القلوب . ولذلك يجدر بنا ان نميز هذا الحق الخالد وما علق به من الاوهام والخرافات الوثنية على ممر الاجيال الماضية

فقد حدث لي ان جاءت الساعة التي اضطرت فيها الى الفصل بين الزوان والحنطة ، والتخلص من الاقدار والقشور والحصى ، المختلطة مع حنطة يسوع النقية . لانني لم أقدر ان

أقدم على ما يفعله الكثيرون غيرى من رفض الجبوب كلها  
بمحجة انها ممزوجة بزوان الوثنية وقشورها . وكما انى لم  
استطع ان أهضم الفكرة القائلة بوجوب قبول جميع النفاية  
والسقاط والهذيان والهذر التقليدى المعنوّن باسم  
« المسيحية » الذى يتمسك به الكثيرون من منتحلى اسم  
المسيحية ويحترموناه .

وبعبارة وجيزة فانى لم استطع ان اجاهر بالكفر  
والالحاد ، لانى لم اقدر ان أميت الايمان الحى فى قلبى بأن  
هنالك حقاً خالداً فى المسيحية لا يمكن رفضه . وفى الوقت  
ذاته لم أقدر ان اكون مسيحياً فريسياً متصنعاً ازدردُ التقاليد  
والعادات ازدراداً من غير ان أعرف شيئاً أو اسعى إلى معرفة  
شيء عنها وعن حقيقتها — لم افعل ذلك كله لانى لو فعلته  
لكنت كاذباً مكاراً

ولذلك نشطت أخيراً واخترت الطريق الصالحة لذاتى  
وشرعت فى التمييز بين الجوهري والعرضى ، بين الادبى  
الحقيقى وبين النظري الوهمى ، بين الغيرة الأدبية والحنين

المتأجج للفضيلة والجمال الروحي في الجانب الواحد ، وبين  
مجموعة النظريات والمعائد الخرقاء التي تسوق الناس بالدبابيس  
والسياط ، المجموعة النصف همجية البعيدة عن الفطنة التي  
يسمىها الواهمون من ابناء الانسان ديناً ، وما هي عند التحقيق  
سوى مجموعة مخاوف سوداء من أهوال النواهي والمحرمات ،  
وخلاصة رغبات عمياء في السعادة الكاذبة الكائنة في  
المقدسات والمباركات



## المسيحية في الشرق

« اننى لا أعتقد بان أديان الشرق الاقصى  
سيكون لها من التأثير القتال على الحقيقة  
المسيحية البسيطة متى انتشرت بينها ما كان  
للاديان الوثنية في شعوب البحر المتوسط  
من التأثير الشرير على هذه الديانة الشريفه »

ان ما احدثته المسيحية من التأثير في خارج الممالك  
النصرانية عموماً، وخصوصاً في بلدان الشرق الاقصى، قد  
كان له أجل وقع على قلبى. واننى اعتقد بانه لو كان في الامكان  
حصر المسيحية بمخالصة مبادئها الاساسية فان جميع الشعوب  
الغير المسيحية ما كانت تتردد برهة في قبولها ديناً لها. لأن  
المرسلين الذين يرسلون الى العالم الوثنى ينجحون في أعمال  
بشارتهم بمقدار ما يتناسون ذكر الكنائس التى أرسلتهم. فان  
الطائفة هي اكبر عقبة تقوم في سبيل جميع سائر الامم الوثنية  
الى حضيرة المسيح. فالطائفة الرومانية الباباوية والبرسبتيرية  
( المشيخيه ) والاييسكوبالية ( الانكليكانية ) والمثوريستية ،

وغيرها من الطوائف المسيحية كلها عقبات كأداء في طريق  
المسيحية . ولو استطاع العالم المسيحي بأسره أن يتفق على  
إرسال مبشرين إلى البلدان الوثنية يشترط عليهم ألا يقولوا  
كلمة واحدة في خصوصيات الطوائف التي أرسلتهم ، بل أن  
يحصروا رسالتهم بالبشارة بحياة يسوع المسيح ، ونشر تعاليمه  
ومبادئه الحكيمة فإنه ما كان ينقضى القليل من الزمن حتى  
نرى المسيحية منتشرة منتصرة في كل مكان تحت الشمس  
وانني على أتم الثقة بأن الطريقة التي أتكلم بها عن  
الكنيسة ربما يسئ البعض فهمها فتعرضني لاقتبال سهام  
الاتقاد الحادة ، لأن أكثر الناس يستحيل عليهم أن ينظروا  
إلى الدين إلا بالنظارات التي يقدمها لهم تعصبهم الأعمى  
لطوائفهم .

ولكنني لا أبالي والحمد لله وأن أبالي بما سينالني من  
سهام الاتقاد الجارحة في سبيل إيضاح الحقيقة التي أو من بها  
تمام الصراحة .

على أن التنظيم من القضايا الكثيرة التعقيد في الاجتماع  
البشرى . فتي بعض الأحيان يخيل اليه أنه يقتضى لنشر

حقيقة من الحقائق ان نؤلف لها جمعية تناصرها ونبث الدعوة  
بها في جميع الجهات والبلاد . وفي اكثر الاحيان نرى ان  
الجمعية ذاتها التي الفناها لمناصرة الحقيقة المرغوب في نشرها  
قد كانت أهم عقبة في سبيل نشر تلك الحقيقة . ومن غريب  
الامور ان هاتين النتيجةين لا بد منهما في أية جمعية كانت  
فالجمعية تنصر الحقيقة التي أنشئت لاجل نشرها بين الناس  
من جهة ولكنها تعوق سيرها من الجهة الاخرى وقد خبرت  
هذا بنفسى فيما مضى على من السنين . فقد حصلت على منافع  
جليلة من الكنيسة ، ولكن الكنيسة قد عوقت في نمو الكثير  
من مواهبى وأفكارى

على ان الطريقة الوحيدة التي وجدتها لحل هذه  
الاحجية أن اعتقد بأن الكنيسة شجرة مشمرة تنمو وتتكيف  
مع الزمان . وقد كانت لها منفعتها في العالم بما اخرجته من  
ثمار اليانعات . وأما الحقيقة التي نشأت منها فكانت حتى اليوم  
مبرقة ببراغع الجمعيات والطائفيات . ولكننى أظن اننا اليوم  
في دور انحلال هذه الجمعيات والطوائف . بيد اننى لا أدري  
اذا كنا سنؤلف لنا جمعيات جديدة غيرها . لانه يستحيل

على أن اعتقد بان العقل العادى يستطيع أن يقبل أية حقيقة كانت مجردة عن جمعية أو طائفة تعضدها . ولكننى أو من من اعماق قلبي بأن قصة يسوع البسيطة السهلة، وتاريخ حياته وتعاليمه يكون لها تأثير أشد وأقوى إذا فصلت عما علقته عليها الطائفيات من الزخارف والبهرجات

وفي عقيدتى أن المسيحية ستصادف انتصاراً أعظم في الشرق مما صادفت في الغرب . ذلك لأنها لن يقضى عليها أن تغوص في أوحال المجادلات العقيمة التى غاصت فيها في العالم الغربى . لان جميع هذه الخصومات لا تبلغ الى الشرق الا ضعيفة ممزقة كل ممزق ، ولكن قصة يسوع المسيح ، وجمال الحكمة البالغة والقوة السامية التى في أقواله وأعماله تصل الى الشرق بكل ما كان فيها عند حدوثها من القوة والحياة .

لان الفكر البشرى يؤلف نصف كل حقيقة يمسك بها . فاذا اخبرتك حقيقة زرقاء وكان فكرك أصفر اللون فان النتيجة تكون خضراء . وليس في العالم حقيقة غير قابلة للامتزاج بغيرها ، وذلك ينطبق على المسيحية كما ينطبق على

غيرها فقد انتشرت أولاً في العالم الروماني، فامتزجت بالوثنية  
الأوروبية، وكانت النتيجة مزيجاً من التقاليد والعادات يسميه  
الغرب اليوم مسيحية

ولكن يسوع كان بالحقيقة شرقياً، ولذلك إذا امتزجت  
بشارته بالفكر الصيني والياباني والهندي، فإنه سيكون  
لنا منها شكل جديد لا شك في أنه سيكون أفضل من  
شكها الحاضر.

وانني لا أعتقد بأن البوذية والكنفوشوسية والبرهمية  
وغيرها من أديان الشرق الأقصى سيكون لها من التأثير  
القتال على الحقيقة المسيحية البسيطة ما كان للوثنية المنتشرة  
بين الشعوب القاطنة على شواطئ البحر المتوسط من التأثير  
الشرير الذي كاد يقضي على النور النقي المنتشر من رسالة  
يسوع .

وقد أجاد المستر ألفرد . ي . زيمارن حيث قال :  
« من يدري إذا كانت آسيا وأفريقيا ، بمالهما من الحرية  
الواسعة على استخدام اختراعاتنا والانتفاع بنتائج أبحاثنا



الغريبة من غير ان تفق تقاليدنا عقبات في طريقهما، ستقدمان  
لنا دروساً ابتدائية نستطيع بواسطتها على ادراك حقيقة يسوع  
وجوهر القوة الكامنة في المسيحية . غير انه يجدر بنا نحن  
أبناء الغرب . الورثاء الشرعيين لماضيها ، وقد بلغنا الى وقت  
أثقلت فيه كواهلنا الوصية التي تركها لنا اجدادنا بالفكر غير  
الصحيح والشعور الكاذب ، أن نشرع في تنظيف الخرائب  
الباقية لنا بترو وتمهل »



## لماذا أنتهي الى الكنيسة

« لو كانت الكنيسة كاملة لما كنت  
انتسب اليها بته ، لانني لا أحسب نفسي  
أهلاً للامتزاج بمن كان كاملاً من الناس ،  
ولو كان لي ذلك لما كانت لي منه تعزية »

لا شك أن كل من سيطلم على هذا الكتاب سيخطر  
له أن يسألني ، ما هي علاقتك بالكنيسة ؟ فقد أوضحت غير  
واحدة من أغلاط الكنيسة وكنت في بعض الاحيان قاسياً في  
انتقادي لها مستلفتاً الانظار بنوع خاص الى استقلالها عنها  
وحرية الخاصة . ولا ريب في أن هذا يدعو القارئ الى  
السؤال هل يخص هذا الرجل كنيسة من الكنائس ، وان  
كان كذلك فلماذا ؟ وما هي الكنيسة التي ينتمي اليها ؟

وها أنا أجيب عن السؤال الاخير أولاً . فلا أريد أن  
أسمى الطائفة التي انتمى اليها الآن ، ليس لاني أستعجى بها بل  
لاني اعرف الطبيعة البشرية معرفة صحيحة . وأعرف انه  
حالما يعرف القارئ العادي اني برسيبييري مثلاً ، أو روماني

أو معمدانى ، أو ايسكوبالى أو من هذه الطائفة أو تلك ،  
فانه للحال يدمغنى بطابع تلك الطائفة ويقيدنى بقيودها  
وعقائدها ناظراً انى كمن يتكلم بلسان طائفة معينة ، لا كفرد  
من البشر ذى نفس انسانية عامة حرة مستقلة . فيضع نصب  
عينيه اننى أتمسك بكل العقائد والنظم التى يخيل اليه ان تلك  
الطائفة تتمسك بها

ولذلك اكتفى بان أقول اننى عضو فى إحدى الكنائس  
المسيحية المتفرعة من شجرة كنيسة يسوع المسيح ، وكل ما  
اكتبه هنا يمكن ان يكون صادراً من أى عضو كان من  
الاعضاء المنتمين الى جميع الطوائف المسيحية على السواء  
غير اننى سأعالج هذا الموضوع من الوجهة التى انظر  
اليه بها دون سواى من الناس . فلا أريد أن أبذل جهودى  
للدفاع عن الكنيسة كجمعية ضرورية لا بد منها لحياة الانسانية  
بل جلّ ما أريد أن أوضح للقراء لماذا أحتاج الى الكنيسة ،  
ولماذا أحبها وكيف تنفعنى

اننى لا انتمى الى الكنيسة لانها كاملة أو معصومة عن  
الخطأ . فهى ليست كذلك فى عقيدتى . والحقيقة التى لامرية

ففيها انها لو كانت كذلك لما كنت أنتمى اليها بسة ، لانني لا  
أحسب نفسي أهلا للامتزاج بمن كان كاملا من الناس ، ولو  
كان لي ذلك لما كانت لي منه تعزية قط : فالكنيسة معرضة  
للخطأ لانها مؤلفة من ابناء آدم وانها وان كانت قد تأسست  
بقوة فائقة للبشرية ، فانها قد كانت منذ نشأتها وما برحت  
تدار بافكار البشر ورغباتهم . ولذلك اذا قلت انني انتمى الى  
الكنيسة فان ذلك لا يعني انني لا أنظر أغلاطها وانتقدها .  
فان المرأة تنتمى الى زوجها وتحميه وتخلص في وده ، ولكن  
هذا قلما يمنعها عن تعداد أغلاطه وانتقادها . وأنا انتمى الى  
بلادى ، ولكنني اعتقد بانني أظل أمينا في وطنيتي واخلاصي  
لبلادى عند ما انتقد بعض الاعمال التي تصدر من حكام  
بلادى ومشرعيها لانها مخطئة في عقيدتي . ودخول الانسان  
في عضوية أى جمعية كانت من الجمعيات لا يدل على أن كل  
ما تفعله تلك الجمعية حق لا غبار عليه . بل ان ذلك يساعده  
على الظن بان حياته قد أصبحت اكثر قيمة من ذى قبل وانه  
يقوم بواجباته كعضو في تلك الجمعية افضل مما لو كان خارجا  
من عضويتها .

إذن ، ما هي الاسباب التي تدعوني الى الانخراط في  
عضوية الكنيسة ؟

ان اول هذه الاسباب اعتقادي بان الكنيسة جمعية  
غايتها تعزيز أفضل الاراء وغرس أشرف المبادئ البالغة  
الاهمية في بستان العالم. وانني لأعرف كنيسة مسيحية ما لا تقف  
بجانب الفضيلة ، والنظام ، وعبادة الله ، والعمل بالمبادئ  
الانسانية الشاملة التي علم بها يسوع المسيح . فعوضاً عن أن  
انتظر حتى أجد كنيسة تنفق عقيدتها مع أفكارى وتلائم  
احتفالاتها وطقوسها ذوقى ومشاربى ، فأننى استطيع أن ادخل  
أول كنيسة أجدها في طريقى فأجد هنالك جماعة من الناس  
ينشدون الحق لينير عليهم مسالك حياتهم ، ويبحثون ما هو  
خير ليعملوا به وما هو شر ليباعدوا عنه ، وهذه أعظم قضية  
من قضايا الحياة الهامة . لانه لو عزمتم ألا اتخذ عائلة لنفسى  
حتى أجد عائلة من الناس تعيش على وفق المثال الاسمى الذى  
رسمته في ذهنى للحياة العائلية ، وان لا اتنى إلى مملكة من  
الممالك حتى أجد المملكة التي طالما حلمت بها ، التي تسودها  
العدالة الحقيقية ، وان لا اتخذ لى صديقاً ما لم أجد الرجل

الذي يبكي لبكائي ويرقص لفرحي ، فالاجدر بي حينئذ أن  
اركض مسرعاً والقي بذاتي في اعماق البحيرة فان هذا العالم  
لا يصلح لمن كان على هذه الشاكلة من الاخلاق  
ثانياً : أتتني الى الكنيسة لاني أحبها واحب الناس  
الذين يذهبون الى الكنيسة . ولا شك انهم معرضون للخطأ  
كما ان كل إنسان غيرهم معرض للخطأ ، بل ربما كان بينهم من  
لا تستطيع ان تعاشره أو تتفق معه ساعة . ولكنهم بالاجمال  
ليسوا من الخبيثاء القساء الظالمين الشهوانيين الخاملين . لانه  
ربما كان في أعضاء الكنيسة الواحدة بعض من الاربياء ، ولكن  
اكثر المنافقين المتعرجين على الجانبين ومتعدى الشريعة ، وزد  
اليهم جماعات المتفلسفين والمتشائمين ونفاية الادباء وخشارتهم  
هم خارج الكنيسة ، ولا أنكر أن في الكنيسة بعض التعصب  
والفريسية والرياء بين الناس الذين يدعون ذواتهم مسيحيين  
لاني بالحقيقة قد وجدت كثيراً من ذلك ، ولكنني قد  
وجدت تعصباً ورداءة وحقداً اكثر من ذلك بألف مرة بين  
الجماعات الخسنة الاخلاق التي تجتمع خارج الكنيسة وتهرّ على  
نوافذها المنيرة هرير الكلاب على شاهقات السحاب

وكل من يريد ان يختار لذاته كنيسة ينتمى اليها بمجرد  
به ان ينظر الى الجماعة وليس الى الافراد ، وان يتخذ الاكثرية  
قاعدة لاحكامه ولا يتخضع بما يشاهده مما يصدر من هذا أو  
ذلك الرجل في ظروف وأحوال خاصة . فان هنالك بعضاً  
ممن هم شمامسة في الكنيسة ولكنهم يضعون رملا في السكر ،  
وغيرهم ممن هم كفرة معطلون ولكنهم لطفاء ذوو أخلاق  
راقية وافكار شريفة ، ولكن ذلك لا يغير الحقيقة الواحدة ان  
من يفتش عن الرجل الشريف ليقدر ان يجده في الكنيسة  
المسيحية قبل أن يجده في خارجها ، وان من يفتش عن الغدار  
المنافق يقدر أن يجد الفأ مثله في اسواق المدينة ومخازنها قبل  
أن يجد واحداً بين اعضاء الكنيسة

ومن الاسباب التي تدعوني الى محبة الكنيسة انها أقدم  
جمعية في العالم ، وفي القديم على الغالب جمال يجذب النفس  
اليه اكثر من الحديث . فانا أحب الصخرة المغطاة بالطحلب  
اكثراً من الصخرة المجردة العادية ، وأحب ما يرافق التقاليد  
القديمية من الورع والتقوى بل ومن الاساطير والخرافات .  
واعتقد بأن اكثر الناس يؤثر فيهم القديم مثلي وأزود . فان

ما تبعته فينا بقايا الهياكل القديمة والآثار الرثة الباقية من  
كنائس الازمان الغابرة من التأمّلات والرغبة في الدرس  
والعبرة بتقلبات الزمان لا يمكن ان نحصل عليه من أعظم  
القصور الحديثة والكنائس الجديدة الشاهقة

غير انني عند ما أقول ان الكنيسة هي أقدم جمعية في  
في العالم فانا لا أخص بذلك كنيسة الطائفة التي أتمني اليها ،  
كلا ولا أعني بذلك كنيسة رومية ، أو جامع المسلمين ، أو هيكل  
البوذيين ، بل أنا أعني تلك الجمعية العظمى التي تضم في عضويتها  
العالم أجمع وما هذه الكنائس المختلفة سوى مظاهر متعددة  
لوحدها . لانني أقصد بالكنيسة هنا كل جماعة من الناس  
يجتمعون معاً للافتكار بالخالق العظيم ، والحياة الثانية ،  
وبضرورة القيام بالواجب ، وبالقضية الخالدة في ما هو الخير  
وما هو الشر . أما الكنيسة التي أتمني اليها اليوم فهي واحدة  
من موكب طويل من الجمعيات التي بنيت على المبدأ الواحد  
الذي بنيت عليه كنيسة ، الموكب الذي اجتاز بجميع الاجيال  
المتوسطة ، وسار في ممالك اليونان ومصر وبابل ، ووجد في  
كل صقع من اصقاع الارض التي عرفت فيها الانسانية معنى



المدنية ، الموكب الذي تستطيع أن ترى نيران مذبحة كصف  
مستقيم من مصابيح الشوارع يمتد في الماضي حتى ينتهي أخيراً  
في الضباب الذي كان كفنًا للجنس البشري . ولذلك فاني عند  
ما أذهب الى الكنيسة أشعر اني قد دخلت في هذه الجمعية  
العظيمة التي هي أوفر الجمعيات الانسانية شرفاً ووقاراً وجمالاً  
أجل ، اني انتمى الى الكنيسة لانني اعتقد بأنها ، بصفتها  
جمعية عظيمة ، تبعث بمادة الحياة الى جميع القوات الضرورية  
جداً للرقى الانساني . لان الكنيسة هي ينبوع الذي تفيض  
منه جميع الجداول النقية للفكر البشري الصحيح . ففى  
الكنيسة قد نشأت الفكرة الاساسية لجميع الحركات  
الاصلاحية في العالم . فالكنيسة بما فيها من التعليم الآمر  
بالاخوة والمساواة بين الناس قد سلحت الذين عملوا على  
نقض العبودية في العالم ودك حصونها الى الحضيض ، والكنيسة  
هي التي جرأت الانسان على الوقوف في تيار التقاليد البلهاء  
وصد سهام الهزء والسخرية ، ومنع الغازات السامة والمشروبات  
الروحية في هذه البلاد ( الولايات المتحدة الاميركية ) ،  
والكنيسة هي بالحقيقة أم حنون للمدارس العامة والكليات

والجامعات العلمية ، واذا كانت الحرب ، وهي البؤرة التي  
تجتمع فيها جميع قوات الشر والتخريب ، الحرب التي هي آخر  
زعيم قذف به الجحيم ليحرق هذه الارض بنيرانه الشيطانية ،  
الحرب التي هي أفظع ماورثته البشرية الحاضرة عن الهمجية  
والحيوانية الماضية ، اذا كانت هذه الحرب الشريرة ستزول  
يوماً ما من العالم فيكون ذلك نتيجة للجهود العديدة  
والثورات المتواصلة التي أثارتها الكنيسة عليها .

وانى أحترم الكنيسة ليس فقط لما تفعله في العالم  
مباشرةً ، او لما تقوم به من تقرير نظم السلوك وبذل العطايا  
في سبيل الخير والاحسان ، بل أنا أحترمها بنوع خاص لانها  
تحبى بطقوسها وصلواتها وأناشيدها وتعاليمها مبادئ يسوع  
المسيح وتعاليمه وتأثيره الشخصى في حياة العالم .

هذا بعض من كل مما يدفعنى الى الانتماء الى الكنيسة  
ومحبتها واحترامها بالرغم من انى أنتقدها . وانى سأظل عضواً  
فيها ما برح فرع من فروعها يقبلنى في عضويته .

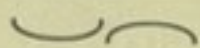


## أنا هو لا تخافوا

« من هو هذا الآتي من أدوم ، وحمرة

ثيابه من فصوصور ؟ »

أشعيا



ما من أحد يعلم كم انقضى على سكنى الانسان في هذه  
الارض من الالوف أو الملايين من السنين .

فان الحيوان البشري منذ اقتصب على قدميه وبدأ يحيا  
ليفكر خامرته الظنون بان هنالك كائنا غيره مفكر أمثله في  
هذا الوجود .

ولما كان الانسان يعيش في هذا الكيان والاختار  
محيقة به من كل جهة ، لان الحياة والخطر اختان توأمان ،  
ولما كانت حياته أرقى من حياة جميع المخلوقات ، فقد زاد ذلك  
في الاخطار التي تهدده ، ولذلك خطرت له للمرة الأولى  
العقيدة بان الكائن المفكر الاعلى هو عدوه اللدود .

ومما خطر له في تلك الازمنة السحيقة ان هذا الكائن

الأعلى الغير المنظور الذي تحيط الاسرار بوجوده هو اعظم  
وأسمى منه . ولا شك انه بالغ الذكاء حتى يستطيع ان يحتجب  
عنه بكل هذا التحفظ .

وعلى هذه الاوهام بنى الانسان دياتته الاولى ليطيب  
نفس هذا الاله بالتقادم والهدايا المتنوعة . واننا نرى نيران  
المذابح مشتعله في الماضي بمقدار ما استطاع المؤرخون أن  
يظهروا لنا عن قدمية العالم . فكان الانسان أولا يحرق مواشيه  
وثمار أرضه ليخفف حدة غضب عدوه الغير المنظور  
فاخترع جميع انواع الطقوس والاحتفالات يقيمها  
لاسترضاء هذا الكائن الجبار والحصول على رضاه . ولا تزال  
اثار هذه الطقوس ظاهرة حتى يومنا هذا

ومع ان الانسان كان يعرف ان صفقته خاسرة كيفما  
تقلبت الظروف ، فكان يروغ من عدوه ويتزلف اليه وهو  
عارف ان هذا العدو العظيم سيقبض روحه عاجلا أو آجلا  
لذلك كانت الحياة بطبيعتها فاجعة مؤلمة . وأفضل ما في  
تواريخ الآداب الماضية فواجع ينسحق لها القلب مرارة  
وحزنا .

وليس التاريخ القديم بالحقيقة سوى سلسلة مرعبة من  
الفظائع والحروب الهائلة التي كان هذا العدد الغير المعلوم يثيرها  
على أبناء الانسان.

وقد عرف الانسان النار لأول مرة من البراكين  
المشتعلة، فخيل اليه ان الرعود المتصاعدة منها دليل على غضب  
ربه الجبار وان مقذوفات تلك البراكين انما هي حجارة  
يضر به بها.

غير أن الانسان تعلم على ممر الزمان كيف يستخرج  
النار لنفسه من الصوان والخشب وغيرها وقد خطا بذلك  
خطوته الاولى في سبيل التقدم باجتيازه من الارتعاد أمام  
نار البركان الى طبخ ما كله على نيران المواقد

وقد رأى الكهرباء لأول مرة في وميض البرق فكانت  
تهدم منازلهم وتقتل اولادهم، ولكنه تعلم أخيراً كيف يستخدم  
هذه القوة التي كان عدوه المجهول يحتكرها لنفسه فيما مضى  
من الزمان، وصار ينقل صوته بهذه القوة من بلاد الى بلاد  
فوق الجبال والاوودية والبحار والانهار، واستخدمها لحمل  
اثقاله، وتنوير المساكن والمدن التي يعيش فيها إلى غير ذلك.

حما لا يحصى من الاعمال .

وقد ظل عدو الانسان الاول قاطنا في البحار البعيدة

مرعبا لجميع الناظرين الى البحر حتى جاء كولومبوس

وهذا العدو بعينه هو الذي حوط الاحراش بسياج

من المخاوف والاوهام حتى خيل الى الانسان ان الاحراش

ممتلئة من العفاريت والجان

غير ان الخوف قد أوجد لهذا العدو الجبار جيوشاً

لا تحصى من الندماء والخلان . فكم قام باسمه من الذين ادعوا

بأن في طوقهم تأييد السمادة البشرية من السحرة والعفاريت

والجان والارواح الشريرة والابالسة والهة الاحراج والبحار

وغيرهم من الارواح الخبيثة ، أجل ان حياة الانسان من بطن

أمه الى بطن الارض كانت جهاداً واحداً مستمراً للنجاة من

العدو العظيم الذي كان يطارده ليأخذ بمخناقه ولم يستطع ابن

امرأة أن ينجو منه .

فكان يُنزل الملوك عن عروشهم ، ويُخرس أصوات

المنتصرين في أجل ساعات انتصاراتهم ، ويخطف الطفل

الرضيع عن ثدى أمه ويفصل العروس من جانب عروسها في

أول يوم من قرانها ، ويشير في الناس من حين الى حين  
تيران الشر والبغضاء فيذبهم في الحروب مئآت مئآت  
وأوفاً أوفاً .

ولا بدع اذا رأينا الناس يستعطفونه ويقضون اعمارهم في  
الامانة والصلاة لله رب من سخطه ، بل ليس بالغريب أن  
يحمق الانسان فكره وفطنته ويؤمن بما يرى الاولاد  
الصغار بطله وما فيه من الخرافة ويصدق جميع العقائد الوحشية  
بل ويعمل كل ما في طاقته ليرد عنه غضب هذا العدو الحقود  
المحب للانتقام .

غير ان هذا الكائن الغير المنظور قد تجسد أخيراً وظهر  
للانسان . ولكنه كان غريباً جداً عما عرف الانسان عنه من  
ذى قبل حتى انه لم يعرفه . « الى خاصته جاء ، وخاصته لم  
تقبله . »

وبعد أن فارق العالم شرع الانسان في بناء القصور  
الشاهقة من التقاليد الوثنية حول ذكره ، مما جعل اتباعه  
واقفاء خطواته صعباً عسيراً .

لان بساطة رسالته وحياته كانت مما لا يحيط به ووصف ،

وقد قضت على تقاليد عشرة آلاف سنة هازئة بها .  
وقد عاش ذلك الكائن المفكر الاعلى في هذا العالم  
فاعلاً خيراً لجميع الناس ، وكان يأخذ الاولاد الصغار ويضعهم  
في حضنه ويباركهم ، وكان يشفي المرضى ، ويعزي الخزانى ،  
ويخاطب المضطربين بما يزيل اضطرابهم ، ويفتح عيون  
العميان ، وينطق بما لم ولن تسمع بمثله الانسانية من آيات  
الحكمة والبلاغة .

وكل ما قاله عندما أظهر للناس وجهه الجميل فخافوا  
لانهم لم يعرفوه ، كل ما قاله ذلك العدو الذي كانت ترتعد  
من مجرد ذكره فرائص الانسانية على ممر الاجيال السابقة  
لمحيته هذه الكلمات القليلة :

« أنا هو لاتخافوا ... »





## هل نموت ؟

محاضرة ألقاها معرب الكتاب في عاصمة الجمهورية المكسيكية

في مساء الجمعة الواقع في ٢١ أوغسطس سنة ١٩٢٥

في مثل هذا اليوم الحادى والعشرين من شهر  
أوغسطس ( آب ) سنة ١٩٢٢ كانت الباخرة مجاستيك  
تمخر بنا عباب البحر مقربة من شواطئ العالم الجديد . في  
مثل هذا اليوم منذ ثلاث سنوات كاملات كانت أمواج  
الاتلاتيك تحمل بنا الى مدينة المدينة، الى عاصمة العواصم،  
الى نيويورك ، أعجوبة العمران وعروس العلم والعرفان .

في مثل هذا اليوم ، منذ ثلاثة أعوام ، كانت تتنازع  
قلبي عاطقتان قويتان عميقتان : الواحدة تجذب به الى الشرق  
فتذكره بالاهل والاطوان والثانية تجذب به الى الغرب فتثير  
فيه محبة الاطلاع والرغبة فى المعرفة . وتحت تأثيرات هاتين  
العاطفتين كنت أصعد بين البرهة والاخرى الى سطح  
الباخرة الجبارة فانظر تارة الى الشرق وطورا الى الغرب لعلى

أخفف من حدة ما بي من الحنين الى الوطن الذي فارقت ،  
والشوق الى الوطن الذي سألقى . وفي مثل هذه الحالة من  
الحنين الشديد والشوق البعيد نظرت فاذا بي أرى صروحا  
تناطح الجو ارتفاعاً ، نخيل الى انها جبال ارتفعت من البحر  
لتحدثنا بعمامة رافعها وجلال صانعها . وفيما أنا أمعن النظر  
فيها رأيت واذا بملاك منير قائم في أعلى قننهما ، يهتف بصوت  
يتدفق حلاوة وينبع حياة قائلاً : « أيها الغافلون أفيقوا من  
غفلتكم ! أيها المستعبدون تحرروا من عبوديتكم ! أيها المقيدون  
حطموا قيودكم وكسروا اغلالكم واهلموا الى ، فانا رسول رب  
العالمين اليكم أبشركم بالحرية وبالعتق من العبودية ! أيها الحزاني  
على أوطانكم ، أيها الراثون والنادبون كنفوا عن احزانكم  
ومراثيكم فقد اكتمل دور شقائكم وآن لكم أن تنالوا قسطكم  
من الحياة امام وجه الشمس ! انهضوا ! أفيقوا ! لماذا تكونون  
عبيداً وقد برأكم الله أحراراً لكم ما لمستعبديكم ووليكم ما عليهم  
أمام وجهه القيوم ؟ هلموا الى فاعطيكم ماء حياً يكون لكم اذا  
شربتموه كل ما تريدون . أجل ، تعالوا فاعطيكم ماء المعرفة  
الخالدة الذي اذا شربتم منه تبرد غلتكم ، التي أوقد الجهل نيرانها

في أعماقكم ، ولا تعطشون الى الابد ! » .

سمعتُ كل هذا باذني، بل بعقلي وقلبي، فقلت في سري :  
« مَنْ ترى يكون هذا المنادي السماوي والرسول الالهي ؟ »  
ثم نظرت حوالى واذا بشيخ جليل من رفقاء السفارة قد  
استرسلت لحيته البيضاء على صدره فزادته هيبه ووقاراً، دنا  
منى وقال لى ، « مهلا ولا تدهشني أيها الرفيق ! فقد رأيت  
ما لم ترَ وسمعتَ ما لم تسمع، وما أغرب ما رأيت وما سمعت  
عما عرفته وألفته ! أفلا تزال تذكر الكلمات الاخيرة التي  
سمعتها وأنت تفارق أرض أبائك وأجدادك والدموع تدرف  
سخينة من عينيك ؟ »

فقلت ، « نعم ، نعم ، لا أزال اذكرها ولا أستطيع أن  
أنساها ! لانه من ذا يستطيع ان ينسى جراحه أو يغفل عن  
ذكر قيوده التي تحرر منها ؟ واننى لا ازال اذكر ذلك الطاغية  
رسول الشراة والعبودية والطمع والجشع يتخطر في الشرق  
من أقاصيه الى أقاصيه وهو يزأر بصوته كالوحش الضاري قائلاً :  
« ويلٌ للاحرار ! ويل للمتمردين على الظلم ! فان حبالى كثيرة ،  
وجيوشى غفيرة ، وثروتى وفيرة وعدنى بالغة ! أبعدوا أنوار

المعرفة ! اسدلوا ستائر الجهل والظلمة ! اشترخوا لوجدان !  
اقتلوا الشبان ! شتتوا الشيوخ ! احرقوا زروع الوطنية  
وابذروا في حقولها بذار العبودية حتى لا تبقى في هذه  
الارض من بقية ! فالارض للسيف واصحاب السيوف يجب  
أن يرثوها !

وما فرغت من كلامي حتى خارت قواي فسقطت على  
قدمي الشيخ وتضرعت اليه قائلاً ، « بربك قل لي أيها الشيخ  
الرفيق ، مَنْ هو هذا الصارخ الذي ينادي بالعتق من  
العبودية ؟ » .

فاجاب وقال ، « ان هذا الصارخ هو رسول الحرية  
والمعرفة الذي انقذ أمةً هي أرقى أمم الارض من عبودية  
مرة كانت تقاسي أهوالها سنين عديدة » .

فقلت له ، « وما هذه الناطحات السحاب التي أراها  
أمامي ، وما هذه الصروح والقباب البالغة الهندسة  
والايقان ؟ » .

فاجاب وقال ، « ان ما تراه يا صاح هو ثمار يانعة أخرجتها  
شجرة المعرفة التي غرسها يدا هذا الرسول في ارض هذه

الامة الصالحة ولا تنال أمة من امم الارض قسطها من الحياة  
ما لم تذوق ثمار هذه الشجرة »

فقلت ، « وهل في طوق هذا الرسول ان يفرس مثل  
هذه الشجرة في بلادنا فينقذ أمتنا من ذلك الطاغية الجبار  
رسول الجهل والعباوة بعد أن اذهاوسلبها انفتها وثروتها  
فأمتت على شفير هاوية الموت ؟ » .

فقال ، « لا تخف من الذى يقتل الجسد واما الروح  
فلا يقدر ان يقتلها . فان الامة كالفردي ، لها جسد معرض للشقاء  
والاخطار كما ان لها روحا لا يمسه ضرر ولا فساد . ولذلك  
لا تموت وان تموت روح أمتكم وان خيل اليكم ان جسدها  
مشرف على الموت . كما ان أرواحكم تظل حية وان ظهر لكم  
ان أجسادكم تصير الى الفناء » .

قال هذا وتركني مودعاً لان الباخرة وصلت في تلك  
الساعة الى مينائها فنزل الى البر مع النازلين وهو يردد بصوته  
اللطيف قائلاً ، « نحن لانموت ، نحن لانموت ، كلا ولا تموت  
يلادنا ! »

ويسرني بعد مرور ثلاث سنوات كاملات على فراق

هذا الشيخ الحكيم أن أتخذ من عبارته الاخيرة — نحن  
لانموت — موضوعا للدرس الذي رغبت في أن ندرسه معاً  
في هذه الليلة . وقد رأيت أن يكون بشكل محاورة بيني وبين  
شيخ آخر تيمناً بذكر شيخى القديم الذى أزاح أنحن غشاوة  
من أغشية الجهل عن عيني لاني أعتقد بأن المحاورة بين اثنين في  
موضوع واحد يتخذ كل منهما طريقاً يطرَقها للبلوغ الى ما يريد  
تناقض طريق رفيقه لما يسهل فهم الموضوع على السامعين  
ويساعد على التمسك بالرأي الذي يرون صوابه . «فان أحسنت  
وفيه منتهى جهدي فذلك من حسنات الاجتهاد وإلا فحسبي أن  
أفتح باباً يَلِجُهُ من وفقه الله الى سبيل السداد» راجياً أن  
تحوز هذه الخدمة الحقيمة قبولكم أيها الاحباء فتثبت ايمانكم  
على صخرة الحق التي هي أساس خالدة لجميع الاديان والاطوان :

### هل نموت؟<sup>(١)</sup>

جلس جماعة من الاصدقاء الى مائدة العشاء في أحد  
الامساء ، وشرعوا يتحدثون في آداب الشبان والشابات في

(١) الموضوع ملخص عن الانكليزية .

القرن العشرين . فقالت سيدة<sup>ة</sup> من الحضور ، انها تجبذ العادات الحديثة التي يسير عليها الاحداث وتمتقد بملاءمتها لروح العصر الحاضر . وكان الجالسون الى مائدة الطعام يترددون في تصديق ما يسمعونه في كل يوم عن تطرف الشبان والشابات في علاقاتهم الحديثة بعضهم مع بعض وفي سائر اجتماعاتهم . ولذلك نظرت هذه السيدة الى وجه كل منهم وقالت لهم ، « ان ما تسمعونه من هذا القبيل حقيقي لا ريب فيه وربما كان بعضاً من كل مما هو جارٍ بين أحداث اليوم . »

ثم نهضت متحمسة وقالت ، « اني لأجد أقل غرابة في ما أراه من تصرفات الشبان والشابات في هذه الايام ، بل أحبذ من أعماق قلبي كل ما يفعلون . ففي الايام القديمة عند ما كنا بعد صغاراً كان الصبيان الذين من عمرنا يتمتعون بما يشاؤون من طيبات الحياة ، أما البنات فلم يكن يؤذن لهن أن يشاركن الصبيان في شيء من دواعي المسرات والافراح ، بل كثيراً ما كان يحظر عليهن مشاهدة ما كان يجريه الصبيان في ألعابهم وملاهيهم . أما اليوم فكل ما يجوز لهذا الجنس

يجوز لذلك . وما الروايات المختلفة التي نسمعها عن تطرف  
البنات في سلوكهن سوى تخرصات باطلة وأوهام فارغة ،  
لان الحقيقة التي لا مريّة فيها هي هذه : ان فريسية الانسان  
القديم قد تقوّض بنياؤها وتهدّمت أركانها وزالت بزوالها  
المظالم البربرية التي ألحقتها همجية الأجيال الغابرة بالمرأة .  
ولذلك فأنا أعتقد اليوم بأن لابنتي ملء الحق أن تفعل كل  
ما يفعله أخوها من غير أقل نقصان اذا كانت في ذلك ارادتها  
ومسرتها . بيد اني ولا شك أرجو ان يكون كل منهما  
معتدلا في عمله كائناً ما كان عمله . »

وما فرغت تلك السيدة من كلامها حتى ظهرت ملامح  
التسليم على وجه كل من الحاضرين من غير أن يعارضها احدٌ  
من الجالسين الى المائدة . غير اني وقد انحل عقد المنتظمين  
في المجلس سرت مُطرقاً بعيني الى الارض مفكراً بما فاهت  
به تلك السيدة حتى بلغت الى زاوية في دار الكتب فوجدت  
الطيب صدیقی قد سبقني الى تلك الزاوية وجلس على مقعد  
خشي امام الموقد يصطلي ، فقعدت الى جانبه ، ثم سألته رأيه  
في الموضوع ، لانه كان في السابعة والستين من عمره وقد



رأى وسمع وقرأ كثيراً من الآراء الحديثة المتنوعة في شأن  
الاحداث والشيوخ وعرف خطأها من صوابها ، وخبر الحياة  
بجميع مظاهرها من المهد الى اللحد . وقد كان جالساً الى المائدة  
مع الجالسين غير أنه لم يعارض المرأة عند ما صرحت برأيها ،  
ولذلك شرع قبل كل شيء بوضع لي السبب الذي دعاه الى  
السكوت ، فقال :

« انى لم أعترض على كلام المرأة لثقتى بأن اعتراضى كان  
يفتح الباب لمجادلة طويلة بين الجمهور ، والمجادلات بين الجماهير  
لا فائدة منها ، بل كثيراً ما تثبت كلام المتجادلين في رأيه  
صواباً كان أم خطأ . وأما ما سمعناه من هذه المرأة فربما اظهر  
لك جديداً لأول وهلة لانه ينحصر بما ياتى : « ان الشبان  
يتمتعون بملذات الحياة ، ويشبعون حواسهم من اللهو  
والخلاعة ، فلماذا يكون هذا محظوراً على الشباب ؟ ، ولكن  
هذا ليس بالجديد أيها الصديق ، بل هو تعبير آخر للقول  
المشهور ، « كل ما يجوز لديك يجوز للدجاجة » . وقد بنى  
هذا القول على قول آخر أقدم كثيراً منه — القول الذي  
نراه سائداً في جميع أدوار التاريخ ، في ازمنة الرخاء كما في

أزمة الخراب على السواء . »

فسألته قائلاً ، « وأى قول تعنى ؟ »

فأجاب وقال ، « إنما أعنى أقدم ما أخذناه عن العالم القديم ونقلناه عن فلسفته المادية ، وهو إيضاح أبعدياس وورثته المدنية الحديثة من مدنية الاجيال الغابرة ، بيد اننا سمعناه الليلة من سيدة تعيش في القرن العشرين وتحسب انه فلسفة جديدة هبطت لأول مرة على فكرها وتجسد بها خيالها . أجل ، بل هو اعتراف صريح من الانسان ان حياته ليست في نظره سوى لحظة من اليقظة بين لانهيتين من الظلمة الخالدة . هو الآية القائلة ، « فلنأكل ، ولنشرب ، ولنفرح ، لاننا غداً سنموت ! » أفليس هذا نفس ما قالته هذه السيدة ولكن بعبارة مختلفة عن عباراتها ؟ »

فقلت له ، « بلى ، انه نفس موضوعها ، وانى لعلى رأيك . ولكن ترى هل نحن في زمن عاد فيه هذا اليأس القديم الى الظهور ثانية ؟ هل هذه هي روح المدنية الحديثة ؟ »  
فأجاب قائلاً ، « اننى لا أتطرف الى الظن بأن روح هذا العصر كلها تميل الى العمل بهذا الرأي . بيد اننى أعتقد

يأن الساعين وراء الم لذات الجسدية على أنواعها العديدة هم أكثر في هذا العصر منهم في أي عصر كان من العصور في تاريخ العالم . »

فقلت له ، « انك محق فيما تقول . ولكنني أعتد بأن الساعين وراء المعرفة والراغبين في تفهم هذه القضية العظمى وادراك كنهها اليوم هم أكثر من جميع من سبقهم الى ذلك من ذى قبل . »

فقال ، « وماذا تعنى بقولك ، ( القضية العظمى ) ؟ » فأجبتة قائلاً ، انما أعنى ( بالقضية العظمى ) ما استطيع أن أعبر لك عنه بما يأتي : « ولماذا لا يجب أن نأكل ونشرب ونفرح في حين اننا غداً سنموت ؟ » فان العلم اليوم يلتمس البرهان على صحة الايمان الذي علمته الاديان في مختلف الزمان والمكان . لان الانسان لا يستطيع بعد تعرف القليل من أسرار الطبيعة أن يصدق بأى إيمان كان كما كان يفعل آباؤه وأجداده الاولون . فان العلم قد اكثر من اللادريين والغنوسطين ولذلك رى الحيرة قد استولت على الاكثرين غير أن بعض الطوائف قد شعرت مؤخراً بما تسرب الى

قلوب الناس من الشك والاضطراب فرغبت في مساعدتهم  
على إدراك الحقيقة التي يسمعون وراءها، فقام فريق من رؤسائها  
وزعمائها يناقضون حرفية الشريعة ويسايرون الناس في  
شكوكهم ، ويفسرون ويؤلون بما ربما أقنع بعض المتعلقين  
باذيال الحرف والمادة دون الروح والحق. بيد أن هذا التساهل  
من رجال الدين لم ينزع حيرة الناس من صدورهم بل كثيراً  
ما زاد في الطين بلة وعمل على تكاثر الشكوك والاهام  
« وأما السيدة التي سمعناها تصرح بما صرحت على  
المائدة فانما هي تنطق بفهم الكثيرين من الذين يعتقدون بأن  
البرهان على صحة وجوب الايمان مستحيل على ابناء الانسان  
ولذلك صرحت بلسان الاكثرين ان لكل بشري على الارض  
ملء الحق ان يعمل كل ما يرى لذاته لذة في عمله. فهل لديك  
أيها الصديق الحكيم ، وقد تجاوزت السابعة والستين ، ورأيت  
من الاختبارات الالوف والملايين ، هل لديك أن تأتيني  
ببرهان صريح يزيل حيرتي ويوضح لي ما أشكل علي فهمه  
في هذا الموضوع الخطير ؟ »

وما فرغت من كلامي حتى أغرب صديقي في الضحك،

ثم نظر الى وقال ، « ان سؤالك يا صاح ، لماذا لا يجب ان نأكل ونشرب ونفرح في حين اننا غدا سنموت ؟ » سؤال أجيبك عنه بجواب بسيط هو سؤال آخر : « ولكن هب أنك لا تموت ؟ فان البرهان الذي يسعى اليه العالم من هذا القبيل ماهو الا تثبيت لهذا الغرض الذي جعلته جواباً عن سؤالك فان الانسان يريد أن يعرف هل وراء حياته هذه حياة أخرى خالدة ؟ وهل يوجد إله خالق بالحقيقة كما تنص الكتب المقدسة ؟ فان وجد جواباً إيجابياً عن واحد من هذين السؤالين حسبه جواباً عن السؤالين معاً . ومتى عرف ان الموت ليس عند التحقيق سوى تغيير بسيط في مظاهر الحياة الدائمة فانه يدرك في الحال انه لا بد من وجود الاله الخالق . وما اغرب أن الانسان عرف منذ البدء تمام المعرفة ان الموت تغيير يطرأ على الحياة ويحولها من حالة الى حالة وليس انقراضاً يودي بحياته كأن لم تكن بيد انه اليوم يشكك بهذه الحقيقة ! » فسأله قائلاً ، « وماذا تعني بقولك منذ البدء ؟ أهمل أنت تشير الى كتاب التكوين ؟ »

فأجاب وقال ، « كلام أقصد ذلك يا صاح ! بل انما أعني

الانسان في بدء حياته المظلمة قبل ان يدخل في طور المدنية :  
الانسان المتوحش الذي لا يخطر له مثل هذا الشك بل هو  
يشعر في اعماق قلبه بأن في كيانه ذاتاً باقية لا ولن تموت وان  
مات جسده . لان الانسان يخامرهُ الشك حتى يرغب في  
حصر كل ما في الحياة والوجود بقيود فكره المحدود . فيعمد  
الى تعرّف أسرار الطبيعة كلها بفكره الضيق ولكن الامتحان  
يظهر له عجزه بصورة واضحة ، يبدا انه بما فطر عليه من  
الانانية والكبرياء لا يقرُّ بعجزه وقصوره ولذلك يعمد الى  
الانكار والاحاد والشكوك . ثم لا تلبث مثل هذه الحالة  
المضطربة ان تقوده الى العزم على ان يأكل ويشرب ويفرح  
لان عقله المقيد بقيود الانانية والخيلاء لا يفقه للحياة من  
معنى أسمى وأبقى من هذا . واكفي أوضح لك عقيدة  
المتوحشين أودّ ان أورد لك قصة أعرفها ، فهل لك اعتراض  
على ذلك ؟ » .

فقلت له ، « عفوك يا سيدي ، قل ما بدا لك »

فاستوى في مجلسه وقال لي ، « حدثني صديق لي قال :

كان لي من بضع سنوات صديق عزيز سافر الى الكونغو في

أفريقيا مع رفيق له . وبعد قليل من الزمن رجع رفيقه وبقى  
لوحده في بقعة من مجاهل تلك الاحراج . وكان في تلك  
الناحية عدد من المزارع الصغيرة الممتدة على شواطئ النهر .  
ولم يكن في تلك النواحي رجل أبيض غيره . ولذلك كان عليه  
ان يحسن التصرف مع سكان البلاد الاصليين خوفا على حياته  
فلم يكن يجسر قط على التدخل في أمر أية عادة من العادات  
المرعية هناك . وحدث مرة أن مات زعيم القبيلة التي كان  
يعيش بينها فشرع أصحابه وذووه في الاستعداد للقيام بحفلة  
جنازته وفي جملتها ان يجرقوا عدداً كبيراً من نساءه وعبده  
وهم احياء . فلم يجرأ على مباحثتهم أو منعهم عن الاقدام على  
مثل هذا العمل الفظيع . ولكنه اضطرب وعرته قشعريرة  
الرهبه والخوف ، بيد انه لم يكن له من القوة ما يحول به دون  
تلك الفعلة الشنعاء وقد هم بالانصراف من ذلك المكان لئلا  
يرى كرم الوقيد تُعدّ لتلك الذبيحة الوحشية ، ولكنه لم  
يقدر على ذلك لان قوة خفية مزعجة كانت تمسك به وتضطره  
إلى البقاء لكي يرى ما سيكون

« وقبل غروب الشمس جاء القوم بالضحايا من النساء  
والعبيد ووضعوهم جميعهم على أكوام الوقيد ، فاختلج قلبه في  
صدره إذ رأى ذلك ، ولكنه عبثاً حاول أن يهرب لان محبة  
الاطلاع على ما يجمله الانسان كانت تمسك به فلم يستطع الى  
الهرب سبيلا . وقد أسف بنوع خاص على رئيس عبيد  
المتوفى لان القوم بذلوا عناية خاصة في تهيئة الكومة التي  
خُصّصت له .

« وفيما الناس يمدقون بذلك المنظر المريع والنيران  
تتحفز للشبوب لتلتهم الاكوام وما عليها من الضحايا التعسة  
تقدم زعيم القبيلة الذي خلف المتوفى ، وكان ابن أخت له ،  
وجاء الى حيث كان رئيس العبيد على أهبة الاحتراق وأدنى  
فمه من أذنه وأسر فيها بضع كلمات لم يسمعها أحد قط . وكان  
هذا آخر ما رآه الرجل الابيض لانه لم يستطع بعده أن  
ينظر الى ذلك المنظر المفتت الأكباد فأدار ظهره عنه وسار  
في طريقه راكضاً الى حيث لا يرى أحداً من أولئك البرابرة  
المتوحشين ولا يسمع صوتاً من أصواتهم المرعبة . وقضى تلك



الليلة بين الاحراج حزينا متألماً مما رأى وسمع ، بعيداً عن  
« القرية وضوائها .

« وفي صباح اليوم التالي رجع الى كوخه في القرية وهو  
يتذكر مامراً به ، وقد أخبرني ان الأمر الذي لم يقدر على  
فهمه بل لم يستطع أن يقف عن التفكير به انما هو العمل  
الذي أقدم عليه الزعيم الجديد عند ما دنا من رئيس العبيد  
وخاطبه وهو على أهبة الاحتراق بعد بضع دقائق ، وكان  
يفكر في ذاته قائلاً ، . ما الفائدة التي يرجوها هذا الزعيم  
الفتى من مخاطبة عبد سيقضى حرقاً وتندثر حياته كأنه لم  
يكن ؟ »

« وقد زاد هذا الأمر في اضطرابه حتى اضطرب أن يحضر  
بذاته الى دار الزعيم الجديد للفحص عن القضية . وعند ما وصل  
الى غرفته سأله قائلاً ، « هل لك أن تخبرني بما قلته لرئيس  
عبيد خالك الميت وقد أوقدت النار تحته وأمسى على سفير  
هاوية الموت ؟ »

فأجاب الزعيم الجديد وقال له ، « ليس في ما قلته له  
كبير أهمية . فقد طلبت اليه أن يخبر خالي ان الزورق

الذي تركه لي رث بال . وكان أولى به ألا يوليني منةً بمثله .  
وبعد أن فرغ الطيب من سرد هذه الحكاية أشار إلى  
بيدي إشارة أدركت منها انه يحيانى الى ذاتي لكي أستخرج  
مقصوده منها بنفسى ، فأجبتة قائلاً ، « اننى فهمت ماتعنى .  
ان رئيس العبيد الذي كان يحترق كان مزماً على الاجتماع  
بالزعيم المتوفى في بضع دقائق ولذلك أرسل ابن أخته الرسالة  
المرقومة لكي يوصلها اليه . وبعبارة أخرى ان ذلك الرئيس  
المتوحش البربرى كان يظن هكذا . »

فأجاب الطيب وقال لى ، « كلا ، انه لم يفكر بذلك تفكيراً ،  
بل وثق به من أعماق قلبه وعرفه كما يعرف كل انسان ما يعرفه  
في حياته . عرف ذلك على البديه من غير بحث ولا تنقيب  
ولا تعليل ولا استنتاج . لان المتوحشين الذين يعيشون على  
القطرة يعتقدون بالحياة بعد الموت كما يعتقدون بالحياة ذاتها .  
ولذلك نراهم يحرقون نساء الميت معه عند موته لكي يجتمع  
بهم في الحياة الثانية كما انهم يقبرون أسلحته معه ويضعون  
الطعام والشراب في قبره . »

فهم لا ينشئون نظرية يبحثون صحتها في الحياة بعد

الموت ، بل انما يشعرون شعوراً طبيعياً انهم سيظلون احياء وان ماتت اجسادهم وفي اعماق كل واحد من ابناء الانسان على اختلاف طبقاتهم شعور مثل هذا الشعور ولكنه قد قبر مع غيره من مئات الانواع من طبقات الشعور الطبيعي التي ورثناها عن جدودنا القدماء . وقد ادرك افلاطون ان في اعماق حياته مثل هذا الشعور ولذلك صرح به على رؤوس الاشهاد ، فقال انه لم يكن واثقاً اذا كان غيره من الناس خالداً .  
يبد انه كان على أتم الثقة بأنه هو ذاته كان خالداً .

فأجبتة قائلاً ، « ولكن افلاطون لم يكن من عامة الناس ، واذا كان في جميع الناس مثل هذا الشعور الخفي الضائع في ذواتهم كما تقول ، فاني اخاف أن يصعب علينا الحفر لاستخراجه من اعماقه . وفوق ذلك فقد قرأت لاحدكم رأياً رشيداً في هذا الموضوع يرجع فيه هذه الوراثة الى وهم أحد الجدود السالفين بأن له ذاتين ، وذلك انما نشأ فيه من الاحلام التي قادته الى الاعتقاد بأنه شخصان : شخص يراه في الاحلام وشخص يلبسه جسده في اليقظة . فهل في هذا ايضاح لهذه القضية ؟ »

فهز رأسه وقال ، ( كلا ، ليس هذا بالايضاح الذى  
نشدته يا صاح ، لانه لا يوضح لنا شيئاً . بل ربما كان زيادة  
في التضليل على الباحثين . واما الذات التى نراها فى الاحلام  
فربما كانت نتيجة لشعور ذات غير متجسدة تحمل بكياننا  
بصورة غير منظورة . واننى أسلم بأن معرفتنا الخفية لحياتنا  
بعد موتنا يصعب ان نظهرها من اعماقها . وقد دعا المشككون  
والمحددون والماديون هذا الشعور العميق القديم فى حياة  
الانسان — تقليداً ووهماً لا حقيقة دونهما . وقالوا ان الناس  
الفوا الايمان بأن لهم نفوساً — هى اجزاء روحية من ذواتهم  
تظل حية وان ماتت الاجزاء المادية التى يتألفون منها . ولكن  
هذا الايمان مع غيره من المعتقدات الاخرى التى لم يؤيدها  
العقل والعلم قد زالت وانقرضت كما يخيل الى الملحددين .  
ليس الحال على هذا المنوال ايها الصديق ؟ »

فقلت له ، « بلى ، وان هذا نفس ما طالما عرضته عليك  
اننا نريد برهاناً ينطبق على العقل ويؤيده العلم والاخبار »  
فأجاب وقال ، « اذن فلنجرب البرهان العقلى انرى  
اذا كان يصدقنا أم لا . وليس شك ان هنالك كثيراً من

«البراهين الاخرى التي يسلم بها علماء النفس والقائلون بمناجاة  
الارواح ، ولعلمهم على حق فيما يقولون ، ولكن في مثل هذه  
القضايا يجدر بكل إنسان ان يرجع إلى اختبارات الشخصيه  
اما أنا فلم تقنعني اختباراتي . فقد رأيت وسمعت اموراً كثيرة  
لا يمكن ايضاحها لشديد غرابتها في مناجاة الارواح والتنويم  
المغناطيسي . بيد اني لم أجد برهاناً قط استطيع ان أوضح به  
انني قد تخابرت مع الاموات أو ناجيت ارواحهم — بطريقة  
يسلم بها العقل الصحيح . ولذلك عمدت الى فكرى اقراء  
واستجليه . لاني مثلك أيها الرفيق استُ بافلاطون وليست  
لى حكمته وعاطفته»

فسأله قائلاً ، « وهل وجدت في العقل ضالتك

المنشودة ؟ » .

فقال ، « فلننظر معاً لنرى إذا كنت أنت تعتقد بذلك  
فقبل كل شيء أود أن أعلم هل في كيانى شيء يبقى ويضمحل  
عند ما يموت جسدي ؟ ذلك سؤال سهل جداً . لاننا نعرف  
ان الحياة التي في جسد الانسان لا تنهى بل تتحول إلى اشكال  
تختلف عن الاشكال التي تحمل فيها الآز ، فاذا تركت جسدي

في جوانب التلال فان الحياة التي فيه لا يضيع منها شيء .  
واما المادة التي يتألف منها الجسد فكنا نعرف اليوم انها لا  
يعتريها فناء أو اضمحلال بل هي تتغير وتتحول من لحم وعظم  
الى دود و تراب ثم لا تلبث أن تصير نباتاً فحيواناً فانساناً  
فان كنت مادياً فأنت تعتقد بانى مركب من قوة  
أو مادة ، وبما أن القوة أو المادة التي يتركب منها جسدي  
لا تفنى بل تتحول وتتغير من شكل إلى شكل فوجب عليك  
والحالة هذه ان تؤمن بانى غير قابل للفناء . وبعبارة أخرى ،  
انك تستطيع أن تفرق بين الدقائق التي يتألف منها كيانى  
ولكنك لا تستطيع ان تذهب بوجودى . وعندما أموت  
فانا لا أفنى من الوجود بل أتغير إلى عناصر أخرى . فان  
قليلا من ماء البحر تحوله حرارة الشمس إلى بخار فينفصل  
عن البحر ولكنه لا يلبث أن يتحول إلى نقط من المطر  
تساقط ثانية إلى حيث كانت في البحر . وكذلك جسدى  
يموت فيتحول الى العناصر المختلفة التي تألف منها ولا يبقى له  
وجود كجسد بشرى ، غير انك لا تستطيع أن تقول انه قد  
فنى و اضمحل ، لان كل ذرة من ذراته المتفرقة في الارض

يظل لها وجود بذاتها . وهذه حقيقة ثابتة لا يختلف فيها عالمان اليوم .

فقلت له ، « انى من المعتقدين بهذه الحقيقة ، وارى أن المعارضين لك في صحتها أقل من القليلين في هذا القرن »  
فاستأنف الكلام وقال ، « قد اضطرنا البحث للوصول إلى نتيجة غريبة بذاتها ولكنها ضرورية بما سياتر عليها من الفوائد . فقد ظهر لنا مما سبق ان الجزء المادى من الانسان لا يفنى ، ولذلك فان كان في كيانه جزء يفنى فلا شك ان هذا الجزء غير مادى . لاننا رأينا بالبرهان العقلى المؤيد بالعلم والاختبار ان الجزء المادى فينا يتغير ويتحول ولكنه لا يفنى فاذا كان للانسان روح وكان لا بد أن يكون فيه جزء فان هذا الجزء هو الروح بعينها . ولذلك وجب على المادى أن يسلم بان جسده خالد لا يفنى وان الحياة التى في جسده خالدة باقية ، ولكن نفسه يجب أن تكون زائلة فانية . ولا تنس انى سبقت فقلت ان البحث قد أرغمنا للوصول إلى نتيجة غريبة ، وهل هنالك أغرب من هذه النتيجة ؟

فقلت له ، « رويدك أيها الصديق ، ان المادى لا يسلم

بته ان له نفساً — أو روحاً مستقلة عن المادة »  
فأجاب وقال ، « حسنٌ ما تقول ، فان كان المادي لا  
يسلم بان له نفساً مستقلة عن المادة فهو ولا شك يسلم بان له  
نفساً غير منفصلة عن المادة . وهو يؤيد بتسليمه هذا ان هذه  
النفس المتصلة بالمادة هي خالدة بخلود المادة المتحدة بها . وانني  
اصارحك القول ايها الصديق أن في رأى الماديين من الغرابة  
اضعاف اضعاف ما في رأى الروحانيين . فالمادى يخيل اليه أن  
ليس له نفس كما يعتقد الناس بل انما له دماغ مادى يموت  
بموت جسده ، فهو يحسب ان دماغه هو ذاته الخفية التى  
يسمونها (أنا) . وهل سبق لك ان رأيت دماغاً مصبراً  
بالكحول ؟ » .

فقلت له ، « نعم ، ولماذا ؟ »  
فأجابني قائلاً ، « انما سألتك هذا السؤال لأرى اذا  
كنت تعتقد بأن هذه التلافيف هي التى أوجدت البخار  
والكهرباء والتلغراف اللاسلكي وهي التى كتبت الياذة  
هو ميروس وفلسفة سقراط وأشعار شكسبير وملتون ودانتي  
والمعري وهينغو وغيرهم من أئمة الفكر الانسانى . فان كنت



كذلك فاني أود أن أمعن النظر في وجهك وفي عينيك !  
فقلت ، « وهل تريد ان تنظر إلى وجهي وعيني لترى  
إذا كان دماغى مختلفاً ؟ » فأجاب على الفور قائلاً ، « نعم ! »  
نفيل اليّ إذ ذاك انى انتصرت عليه . فقلت له ، « وهل  
نستطيع ان نفكر صواباً إذا كانت أدمغتنا مختلفة ؟ أم هل كان  
في وسع هو ميروس أو غيره من النابغين أن يكتبوا كتبهم لو  
كانوا مصابين بمس في ادمغتهم ؟ »

فأجاب قائلاً ، « كلا ! ولم يكن لباغانيني (١) أن يؤلف  
موسيقاه الخالدة بقيثارة مكسورة أو رباب مقطع الاوتار .  
ولكن باغانيني وان انكسرت قيثارته أو ربابه يظل موسيقياً  
من غير أن يتغير . لان القيثارة لا تصنع الموسيقى كما ان الجبة  
لا تصنع الكاهن . ولنبحث برهة عن هذا الرجل باغانيني  
كيف صار موسيقياً عظيماً في العالم . أفهل صار موسيقياً عظيماً  
لان أصابعه كانت مرنة تعرف الضرب على القيثارة بسرعة  
ومهارة ؟ كلا ! بل انما كان عليه أن يمرن أصابعه ولم يكن له

( ١ ) هو نقولا باغانيني الايطالى أشهر مشاهير الضاربين على الرباب ، ولد  
في سنة ١٧٨٤ وتوفي سنة ١٨٤٠ ، وقد ظهرت عبقريته في فن الموسيقى وهو  
لم يتجاوز التاسعة من عمره ولم تفارقه كآبة الحياة .

ذلك إلا بعد جهد طويل . يعنى انه كان يجب عليه أن يعلم أصابعه ويدربها بما في دماغه من القوة . وربما خيل إلى المادى هنا انه قد فاز في ميدان المناظرة ، لان دماغ باغانينى هو الذى هذب أصابعه في فن الموسيقى ! ولكن ذلك خطأ فاضح لان دماغه ذاته يجب أن يُدرَّب ويتمرن قبل أن يصير قادراً على تدريب أصابعه . فان عليه أن يعلم دماغه علوماً عديدة ويدرسه دروساً كثيرة قبل أن يصير موسيقياً . وما هو هذا الذى أثر في باغانينى فجعل دماغه يميل الى درس الموسيقى وتعلمها ؟ أليس هو باغانينى نفسه ؟ ولذلك فان وراء دماغه قوة مستقلة لها السيادة على الدماغ ، أليس كذلك ؟ »

فقلت له ، « يمكن أن يكون هنالك ما تقول . ولكن كثيرين من الناس يقولون ان الوراثة الطبيعية تفعل ذلك وان ضغطة هذه الوراثة أو قوتها الكائنة في جزء من أجزاء دماغه قد جعله يميل الى الموسيقى ويتعلم دقائقها وأسرارها . » فقال ، « وأي دماغ تعنى ؟ »

فأجبت قائلاً ، « دماغ باغانينى . »

فقال ، « اذن كان لباغانينى دماغ ، وكان له تأثير ووراثة

راسخة في قسم من دماغه تعمل على تهذيب سائر الاقسام  
الاخرى في فن الموسيقى ؟ »

فقلت له ، « كلا ! فاني اذا سلمت انه كان لباغانيني دماغ  
فانما أخسر بذلك دعوى المادى التى أدافع عنها ، لانه يجب  
علي والحالة هذه أن أسلم بوجود المالك الشخصى الذى يملك  
هذا الدماغ . فالمادى لايسلم بوجود هذا الشخص بته . فهو  
يقول انه لم يوجد قط شخص باسم باغانيني مستقل عن دماغه  
لان دماغه كان إياه كما انه هو كان عبارة عن دماغه فقط .  
وإن قسما من هذا الدماغ كان يحتوى على قوة وراثية هذبت  
الاقسام الاخرى في الموسيقى »

فسأنى قائلاً ، « ولكن من هو منشئ هذه القوة  
الوراثية ؟ وما هو اصلها ؟ »

فأجبت ، « لاشك ان اصلها ميل قديم للموسيقى في  
بعض جدود باغانيني . وقد اتصل اليه بالوراثة من جيل  
الى جيل . »

فقال ، « حسن ما تقول . ولكن فلنذهب الى ذلك  
الجد القديم الذى ورث عنه باغانيني ميله الى الموسيقى ، من

ابن جاء ذلك الجد الاول بميله الى الموسيقى ؟ كيف حصل  
على هذه الهبة ؟

فقلت له ، « يستحيل ان تكون هذه هبة في الاصل .  
فان اول جد من جدود باغانيني انما مال الى الموسيقى بتأثير  
المحيط ، بل ربما كان ذلك بطريق الصدفة . ومن يدري ما إذا  
كان قد خسر رجلا من رجليه فاضطر ان يلتمس معاشه من  
الضرب على القيثارة . »

فقال ، « لنفرض انه خسر رجلا من رجليه كما تقول ، وانه  
لم يجد طريقاً لتحصيل معاشه بغير الضرب على القيثارة ، في  
حين انه لم يكن له اقل معرفة بذلك العمل قط . فان قسماً من  
دماغه ، في مثل هذه الحالة ، يجب ان يقول للقسم الآخر ،  
أصغى الى ايها الرفيق ، انك مائت اذا لم تتعلم الضرب على  
القيثارة ، فابذل في ذلك منتهى جهدك والا كنت من  
الخاسرين . فما هو الذي جعل القسم الآخر الأمر من الدماغ  
يخاطب القسم الثاني بمثل هذا ؟ فانت تقول انه لم يكن في  
دماغ ذلك الجد الاول اقل أثر للوراثة ، فكيف استطاع  
القسم الآخر من الدماغ ان يصدر مثل هذه الاوامر ؟ »

فقلت له ، « ان هذا القسم الآمر كان قادراً على  
الاستنتاج بقوة العقل . »

فقال ، « ومن اين حصل على هذه القوة ؟ »

فقلت له ، « انه ورثها ممن قبله . »

فقال ، « حسن ماتقول ، فان هذا يعود بنا الى حيث  
كنا . ان باغانيني كان موسيقياً لانه ورث في جزء من دماغه  
قوة من احد جدوده القدماء الذي كان موسيقياً ، وان هذا  
الجد كان موسيقياً لانه ورث عن تقدمه القوة على الاستنتاج  
بالادلة العقلية . ولكن هذا الجد الاول الذي كان عارفاً بالمقدمات  
والنتائج العقلية ولم يكن في دماغه اقل اثر للوراثة ، من اين  
حصل على هذه القوة ؟ »

فقلت له ، « لا أعرف ، ولا أظن ان أحداً في العالم  
يعرف هذا ! » .

فقال لي ، « وهل تعتقد بان ذلك سرٌ غامض ؟ »

فأجبت قائلاً ، « هكذا يظهر لي . بيد اني اقدر ان اقول  
ان جد باغانيني الاول الذي كان قادراً على الاستنتاج قد نشأت  
فيه هذه القوة من ضغط المحيط على حياته ، ولكن هذا بعيدنا

الى بداءة النشوء والارتقاء واصل بذرة الحياة، وهنالك يقوم  
أمامنا السر الغامض ثانية كما يقوم ههنا  
فقال لي، « وكأني بك تريد ان تقول ان مذهب الماديين  
مبنى على الاسرار شأن سائر المذاهب والنظريات الاخرى.  
يعني ان المادية سرٌ غامض كجميع النظريات الاخرى .  
أليس كذلك ؟ » .

فقلت له « ان هذا نفس ما أريد ان أقوله »  
فاجابني قائلاً ، « إذن ، فالمادي شخص مخير بين  
افتراضات متعددة . ينظر الى دماغ مصبر بالكحول فيقرر في  
ذهنه بان هنالك في ذلك الوعاء الصغير الموضوع أمامه ،  
بقطع النظر عن الدورة الدموية ، يرى ذات بولس الرسول  
او اسحق نيوتن او ابا العلاء المعري او أيوبا أو محمدًا أو اشعيا .  
وان هذا الدماغ هو الذي يفكر دون صاحبه . »

« ان فريقا من القدماء كان يعتقد بان السكيتين مركز  
الفكر ، وغيرهم قالوا بالعكس من ذلك ان الكبد مركز الفكر ،  
وذهب غيرهم الى ان القلب هو بالحقيقة مركز الفكر دون  
غيره . بيد انهم قد اقتصروا في عقائدهم المختلفة على ان السكيتين

« او الكبد او القلب انما كانت مراكز للفكر فقط، ولم يقل احد قط انها كانت عبارة عن الناس انفسهم ! فلم يخلطوا قط بين سقراط وكليتيه او الاسكندر وكبده او شارلمان وقلبه .

« ولكن العلم المقرون بالاختبار المتواصل قد اظهر ان الدماغ هو مركز العقل دون سائر الاعضاء . وانك تستطيع ان تغير الطريقة التي يفكر بها الرجل العادي من الناس بان تغرس ابرة في هذا او ذلك الجزء من دماغه . وكل ما نعرفه عن الدماغ انه المركز الوحيد للعقل والادراك . فدماعى هو جزء من جسدى واقع فى ملكيتى املكه كما املك قلبى وكبدي وسائر اعضاء جسمى . وانى اسلم بانه لو تعطل أى عضو فى جسدى تعذر على قضاء حوائجى كما لو لم يتعطل ذلك العضو ولكن لا دماغى ولا كبدي ولا أى جزء اخر من جسدى هو ذاتى . »

فقلت له ، « ولكن لا تنس انه اذا مس دماغك اقل

ضرر تغير طبيعتك بكاملها . »

فاجاب وقال ، « حسنا تقول انه اذا اصيب دماغى

بضرر تغيرت مجاري حياتى وعجزت عن القيام بامور كنت

أقوم بها لو ظلت لدماعى سلامته الاولى . ولا يوضح ذلك جيداً نعود الى صديقنا باغانينى فلنفرض انه جلس أمامنا يضرب على قيثارته ونحن نستلذ أنعامها . فاذا حللنا وترآ من اوتار القيثارة فان ذلك ولو قلل من جمال الانعام فانه لا يبرهن على ان باغانينى غير موسيقى . بل اذا حللنا سائر الاوتار وترآ وترآ وحطمنا القيثارة تحطيماً فان باغانينى لا يتغير شىء من فنه البتة بل يظل كما هو . وهكذا الحال معى ، فان مرض دماغى اظل انا ذاتى ، وان مرض قلبى او أى عضو اخر اظل كما انا الى ان تنحل جميع اعضاء جسدى فتظل الذات التى كانت هذه الاعضاء آلات لها تديرها كيف شاءت تظل - حية الى الابد .

« فان باغانينى ليس بالقيثارة التى يستخدمها فكره لاستخراج الانعام ولذلك يظل كما هو ، ويظل فنه على حرمة ولو تكسرت قيثارته ، وأنا لستُ بدماغى الذى هو آلة فكرة ، ولذلك فاننى لن أموت ولو مات دماغى وكل جسدى . »  
فقلت له ، « اننى أتمنى لك من صميم قلبى أن تنال رغبتك ولكن أليس فى الامكان اقناع الملحد بالبراهين العقلية ؟ »



فضحك وقال ، « ان ذلك بسيط جداً يا صاح ، ولكن  
الملحد ينكر العقل وكل ما يأتي به العقل من الأدلة والبراهين .  
و مع انه قليل المعرفة فهو شديد التعصب لجهله فلا يسلم إلا  
بما تقع عليه حواسه وتصل اليه معرفته القاصرة .

« فان الانسان على هذه الارض أشبه بطالب العلم في  
مدرسته . لا يستطيع أن ينال من المعرفة إلا ما يستطيع على  
ادراكه . ولورجعت بفكرك الى الانسان في جميع أدوار  
التاريخ لرأيت انه لم يستطع أن يتعلم إلا ما كان في طوقه أن  
يدركه . أجل ، ان الانسان طالب علم ، يأخذ فروع المعرفة  
الكائنة في العالم شيئاً فشيئاً . فيدرس الحساب أولاً ومتى أتم  
دراسته انتقل الى الجبر لانه يصير قادراً على ادراك قضاياه  
ومسائله .

« وفي عقيدتي ان أنصح حقيقة في تاريخ تقدم الانسان  
انه يحصل على المعرفة في حياته بنفس الطريقة التي يتلقى فيها  
تلميذ المدرسة علومه . لان المعرفة انما ينالها الناس بالنسبة الى  
مقدرتهم على فهمها وادراكها . ولا يوضح ذلك نمثل بمعرفة  
نحن الطيران ؛ فقد كان الرجل الذي يعتقد بالطيران في السنين

الماضية بحسبُ مجنوناً خيالياً . وكان الناس في ذلك العهد يعتقدون بأن سكك الحديد والتلغراف هي آخر ما بلغت إليه مقدرة الانسان وان الاعتقاد بالطيران وهم من الاوهام .

« ولا شك ان كل انسان كان يود لو ان في امكانه ان يخلق فوق الارض ولو قليلاً ، ولكن لم يكن قط من رجل يحلم بأن في طوق الانسان أن يسابق الطير في جريها . ومن الناس من قالوا ، ( اننا لم نخلق لنطير ) ومنهم من قال ، ( ان الطيران مستحيل علمياً بل هو خطيئة في عيني الله . )

وكان الناس ينظرون الى من يشتغل بآلة من آلات الطيران نظراً الى مجنون قد أضاع رشده . ولم يُصرح أحدٌ بتصديقه لمثل هذه المهرطقة إلا وكان يُهزأ به ويُتهم عليه كأنما هو يؤمن بالجن والعفاريت . ومع كل ذلك فان تفرافقاً قليلاً من الناس كانوا يعتقدون بأن الطيران غير مستحيل فعمدوا الى تحقيقه بالفعل لانهم اعتقدوا بأنه حقيقة كائنة في الوجود منذ الأزل لم يهتد اليها أحدٌ من أبناء الانسان لانهم لم يكونوا إذ ذاك قد بلغوا الى المستوى الذي يدركون به جوهرها ، وأدركوا انها لا تزال تنتظر من يظهرها للناس لكي

يستخدموها في ما يعود عليهم بالخير والفلاح . وقد ظلت هذه الحقيقة في الوجود تنتظر الانسان حتى يتم له قدر كاف من المعرفة للبلوغ اليها .

« وقد تشوق الناس الى الطيران الوفاً من السنين ، وتاقت نفوسهم الى تعرف حرية الجو . وقد كان شوقهم عظيماً ولد في قلوبهم آمالاً كباراً . ومع كل ذلك كانوا يضحكون من نفوسهم لانهم كانوا يعلمون ذواتهم بمثل هذا الوهم الفارغ وكانوا ينظرون الى الطيران نظرتهم الى اكثر الاحلام خمولا ، والاحلام رفيقة الخياليين ولا تليق برجال الجد والعمل » وعند ما ظهر هذا الحلم الى حيز الحقيقة وطار الانسان للمرة الاولى فرح الناس بتحقيق حلمهم القديم وصاروا ينظرون الى الطيران كعمل عادي لا يحتاج الى كبير اجهاد في الفكرة للتصديق به . وبعد ان كان البشر يعتقدون بأنه حلم غريب صاروا يشقون اليوم بأنه حقيقة ناصعة . ولكن لماذا لم نعرف هذه الحقيقة قبلاً ؟

« اننا لم نعرف هذه الحقيقة قبل ذلك الحين لاننا لم يكن لنا من الادراك ما كنا نستطيع به ان نفهم ماهيتها

وجوهرها. ولكن عندما نما ادراكنا وازدادت معرفتنا صار  
المستحيل عندنا ممكنا والغريب المستهجن عادياً مألوفاً  
« أجل، ان الانسان تلميذ مدرسة ذاهب الى مدرسته،  
وهو كالتلميذ شديد التعصب لما يعرفه . فقد كان يعرف قبلا  
أن الارض مسطحة وكان شديد الثقة بمعرفته . وكان العلم قد  
قرر وقتئذ ان الارض مسطحة وكان كل انسان يسلم بصحة  
هذه الحقيقة ما عدا نفرآ من الروحانيين الغرباء عن زمانهم .  
أما الماديون فلا يصدقون بشيء لا تقع عليه حواسهم الخمس  
أو يؤيده الحساب المبني على هذه الحواس الخمس، والحواس  
تقودك الى الاعتقاد بان الارض مسطحة لانك هكذا تراها  
بعينيك ولذلك لم يخطر للماديين غير هذا قط فاضطهدوا كل  
من خالفهم في عقيدتهم هذه !

« وفي صدر التساريخ رأى الانسان الشمس في كبد  
السماء فخيّل اليه انها إلهه واثبتت له حواسه صدق خياله .  
وكان يعتقد بان الشمس إذا رضيت عنه تنبتُ زروعاً وتكثر  
الخيرات في أرضه . وكان الانسان في ذلك العهد سعيداً بأنوار  
إلهه وما يبعثه اليه من الاشعة والحرارة . وكان يعتقد بان هذا

الاله اذا غضب يقنع وجهه بقناع أسود ويحجب النور عن  
الانسان فتحل به المصائب والاحزان . ومن في تلك الايام  
استطاع ان ينكر ان الشمس هي له السماء والارض ؟ ومن  
الصوفيين من تجرأ في ذلك الحين فقال ان الشمس لا تفرق  
بشيء عن النار . وانه لا بد من وجود إله عظيم يدير هذا  
الكون ، وهذه الشمس هي آلة بيد الله يستخدمها لمنفعة ابناء  
العالم . غير أن أمثال هؤلاء كانوا يضطهدون ويقتلون لانهم  
احتقروا الاله المنظور الذي كان جميع الماديين يؤمنون به .  
فالصوفيون الحكماء الذين يخضعون لسلطان العقل الداخلي  
كانوا في جميع ادوار التاريخ يعارضون الماديين الذين لا يؤمنون  
الا بما يعرفون وبما تقع عليه حواسهم الخمس . أفليس عجيباً  
والحالة هذه ان المادى المتكل على حواسه الخمس في تفهم  
أسرار الطبيعة كان في كل زمان ومكان مخطئاً في احكامه في  
حقيقة الانسان ، والمادة والوجود ؟

فسأله قائلاً ، « وهل كان الماديون مخطئين في جميع  
أحكامهم على السواء ؟ »

فأجاب والحدة ظاهرة في كلامه ، « نعم ، نعم ، انهم  
( ٢٢ - ٢ )

كانوا وما زالوا بعبيدين عن الحقيقة بعد السماء عن الارض .  
فقد اعتقدوا بأن الشمس إله . وان الارض مسطحة . وانه  
يستحيل على الانسان أن يطير عن الارض ، وان الكبد  
مركز الشعور ، واليوم يصرحون بعقيدة جديدة هي أغرب  
من جميع ما تقدمها من العقائد وخلاصتها ان توماس اديسون  
هو عبارة عن بضعة دراهم من اللحم تستطيع أن تضمها في  
قنينة صغيرة . وهم يقولون أيضاً ان دماغ الانسان هو ذات  
الانسان ، وان لا وجود حقيقياً له على الارض ، بل لارجاء  
له بالوجود إلا إذا كان دماغه يتحرك ويعمل ، فان مات دماغه  
مات هو أيضاً وانقطع من الارض ذكره . غير انني أعتقد  
من صميم روعي بأنهم بعد ان خطئوا في جميع معتقداتهم التي  
عرفناها قبل اصدار استحيل على فكرى ان يصدقهم في عقيدتهم  
هذه لا سيما وهي أعظم جميع العقائد «

فقلت له ، « إذن من هو في جانب الحق ؟ وما هو

الحق ؟ »

فأجاب قائلاً ، « يجدر بي قبل الجواب عن سؤالك هذا

أن أعود بك إلى السؤال الاول . فانه لما كانت الحياة الكائنة

فينا ستظل حية الى الابد ، ولما كان كل شيء فينا سيظل في الوجود غير قابل للفناء بل يتحول من شكل الى شكل ، فيجدر بنا ان نحصر القضية بهذا السؤال : هل في الانسان جوهر روحي أو شعور مستقل هو غير دماغه وجسده ؟ فاذا كان له مثل هذا الجوهر الروحي فانه سيظل حيا وان تفرقت دقائق الجسد الى عناصرها الاولى وتحولت الحياة التي فيه الى حياة غيرها في كائنات أخرى. وقد انقسم الناس في الجواب عن هذا السؤال الى ثلاث طبقات : الماديون واللا أدريون والصوفيون . فالماديون في الطرف الواحد عباد الدماغ يجيبون بصراحة ، كلاً وألف كلاً ، ليس للانسان مثل هذا الجوهر الروحي ! واللا أدريون في الوسط يواظبون على حياتهم وجهلهم لكل شيء فيجيبون اننا لا نعرف شيئاً . أما الصوفيون فيجيبون بكل ثقة قائلين ، نعم ، نعم ، ان هذه القوة كائنة في الانسان وهي هي دون اللحم والعظم تمثل ذات الانسان .

« أما اللا أدريون الذين لا يدرون بشيء ولا جواب عندهم سوى « لا نعلم » فهم احياء أموات يحيون ولا يريدون

أن يعرفوا من الحياة شيئاً . وأما الماديون الذين يجيبون  
« بالنفي الصريح » فقد أوضحنا قبلاً أنهم منذ البدء اتخذوا  
لنفوسهم هذه الصفة ، وأظهرنا أنهم كانوا مخطئين في جميع  
آرائهم . ولكن ترى من هم الصوفيون الذين يجيبون بالاثبات  
والإيجاب ؟ ألا أنهم أبناء الطبيعة الساذجون الذين يعيشون  
على الفطرة وقد تعلموا من الطبيعة الشعور بدوام البقاء —  
الشعور بالخلود الشخصي الذي دفع زعيم القبيلة الجديد أن  
يحمل العبد المرتجف فوق النيران والسائر إلى الموت رسالة  
إلى خاله الميت لأنه كان يؤمن بأن العبد ماض إلى سيده . هم  
الروحانيون وجماعات العلماء المتزايدة كل يوم الذين أظهرت لهم  
المعرفة الحقيقية والاختبارات المتواصلة حقيقة النفس والخلود .  
هم الأنبياء الذين نبغوا في جميع الأديان . ورجال الدين  
والفضيلة في كل زمان ومكان واتباعهم الذين ماتوا والذين هم  
في قيد الحياة إلى الآن — وجميع الملايين وملايين الملايين من  
الناس الذين آمنوا بهذه الأديان ويؤمنون بها حتى اليوم . هم  
جميع الذين يعتقدون كما اعتقد أفلاطون بأن الإنسان لا يموت  
وإن تحول دماغه ولحمه وعظمه إلى عناصر أخرى . وبعبارة وجيزة



هم جميع الذين أدركوا قيمة النظام والحكمة البالغة التي تدير هذا الوجود .

فقلت ، « وهل تعتقد بأن وجود النظام في الوجود — النظام الذي لا يستطيع رجل عليه مسحة من التهذيب أو العلم أن ينكره متى عرف شيئاً قليلاً عن مسير السيارات ونظام القبة الزرقاء — ان هذا النظام العجيب يدل دلالة واضحة على الحقيقة الواحدة التي تشير إليها ؟ »

فأجاب وقال ، « ان هذا نفس ما أردت أن أوضحه . وأخص بالذكر النظام الذي أظهرنا ثمراته النافعة في أثناء حديثنا ، النظام المتناهي في الكمال الذي يمنح الانسان من المعرفة على مقدار ما يستطيع أن يبلغ اليه فهمه وإدراكه . فهل تعتقد بأن هذا النظام صدفة عمياء ؟ كلا والفرق كذا ! فانه كما ان نظام النجوم الذي يُسير كلاً منها في دائرته بملء الدقة بعيداً عن الصدفة كذلك لا شيء من الصدفة والاتفاق في هذا النظام الكامل .

« وحيثما يوجد نظام أو ترتيب أو هندسة فلا أثر هنالك للصدفة أو الاتفاق . لان النظام يحتاج الى المنظم

والترتيب الى المرتب والهندسة الى المهندس . ولذلك عند  
ما نرى الهندسة ندرك للحال انها عمل أو اختراع شخص  
حكيم اقتضى لعملها فكره أو قصد - ولا يمكن أن نتصور  
غير ذلك - ونحن واثقون بأن الرجاء بدوام البقاء المغروس  
في أعماق الملايين العديدة من مخلوقات المهندس الأعظم انما  
هو جزء من التدبير السامى الذى رسمه المهندس الحكيم في  
هندسته ولكن بشكل متناه في البساطة . ولو كان هذا الرجاء  
بعدم الموت بلامعنى مقصود لما رأينا منتشراً في جميع أنحاء  
الوجود . فالرجاء بالطيران مثلا كان حقيقة كائنه في العالم  
ولكنه كان حقيراً جداً بالنسبة الى هذا الرجاء العظيم ، بيد  
انه تحقق عند ما حان وقت تحقيقه . وهكذا ستأتى ساعة  
نعرف فيها جميعنا اننا لا ولن نموت عند ما يحين الوقت لمعرفة  
ذلك ورؤيته رأى العين . فان المهندس الاعظم لا يخيب آمال  
الناس ، لانه هو نفسه غرس هذه الآمال في صدورهم لكي  
يحققها . ولذلك فاني لا أوافق حضرة السيدة على ما صرحت به  
في هذه العشية واعتقد بأنها قد أخطأت في كل كلمة من  
كلامها . «

فسألته قائلاً ، « وأى سيدة تعنى ؟ لان الموضوع أنساني

حديث العشاء . »

فقال ، وقد وقف وهم بالخروج ، « انما أعنى السيدة  
التي كانت جالسة الى مائدة العشاء معنا . فاني أو من من أعماق  
قلبي بأن الآية ، « فلنأكل ولنشرب ولنفرح لاننا غداً  
سنموت ، » مخوفة بالاحطار مملوءة بالاضرار . لانه من  
يكفل لك ان الاستسلام للاكل والشرب والفرح لا يكون  
ضرراً عليك بعد أن تموت ؟ فانا أوكد لك انه سيكون  
كذلك اذا فرطت به . »

فسألته ، « وماهي الآية التي تشير على أن أتخذها

دستوراً لحياتي بدلا من هذه ؟

وكان إذ ذاك قد بلغ الى باب المكتبة وهم بالخروج ،  
فلما سمع سؤالى وقف ، وأطرق يفكر برهة ثم قال ، « انه  
لا يوجد اليوم قاعدة أو آية فتأخذ محل هذه القاعدة الوثنية  
الملتثة ياساً وضلالاً . ولذلك فهي ستظل شريعة نافذة في  
العالم الى أن يحين الزمان لانقراضها وزوالها فتلقى في سلة  
المهملات . حينئذ ينظر اليها الانسان نظرتة الى الرأي القائل

بعدم حركة الارض أو بالوهية الشمس أو بعدم الطيران !  
فقلت له ، « ومتى يكون ذلك ؟ »

فقال ، « ربما يكون في السنة القادمة أو في الجيل  
القادم . لان المعرفة تأتي في أية ساعة شاءت . ومتى ظهرت  
يقبلها جميع الناس على السواء ، بيد اننى لأعرف الساعة التى  
تأتى فيها لان المعرفة قد أثبتت هذا لذاتها ولا نبوح به لأحد  
غيرها . ثم أغرب في الضحك وخرج وهو يقول فى ذاته  
« اننى لم أعرف قط متى كان الانسان مزمعاً أن يطير بل لم  
يخطر لى مثل هذا بته ولكنه بعد أن حدث عرفته وصرت  
أعتقد بأنه حقيقة راهنة . »

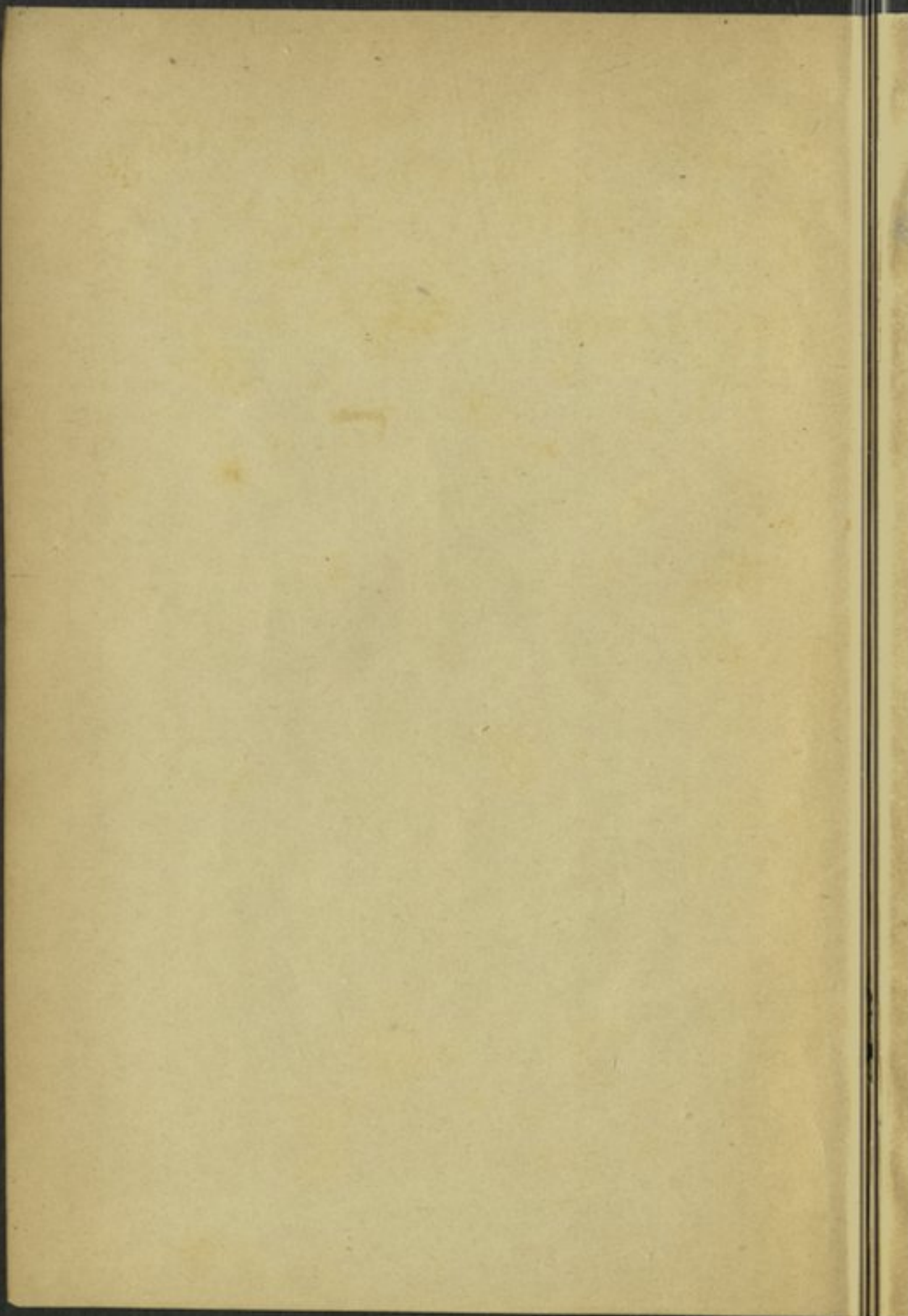
ثم أشار إلى يده مودعا وسار فى طريقه وكنت اسمعه  
يردد فى ذاته قائلاً ، « أجل ، قد تعلم الانسان فن الطيران  
عند ما آن الاوان . »

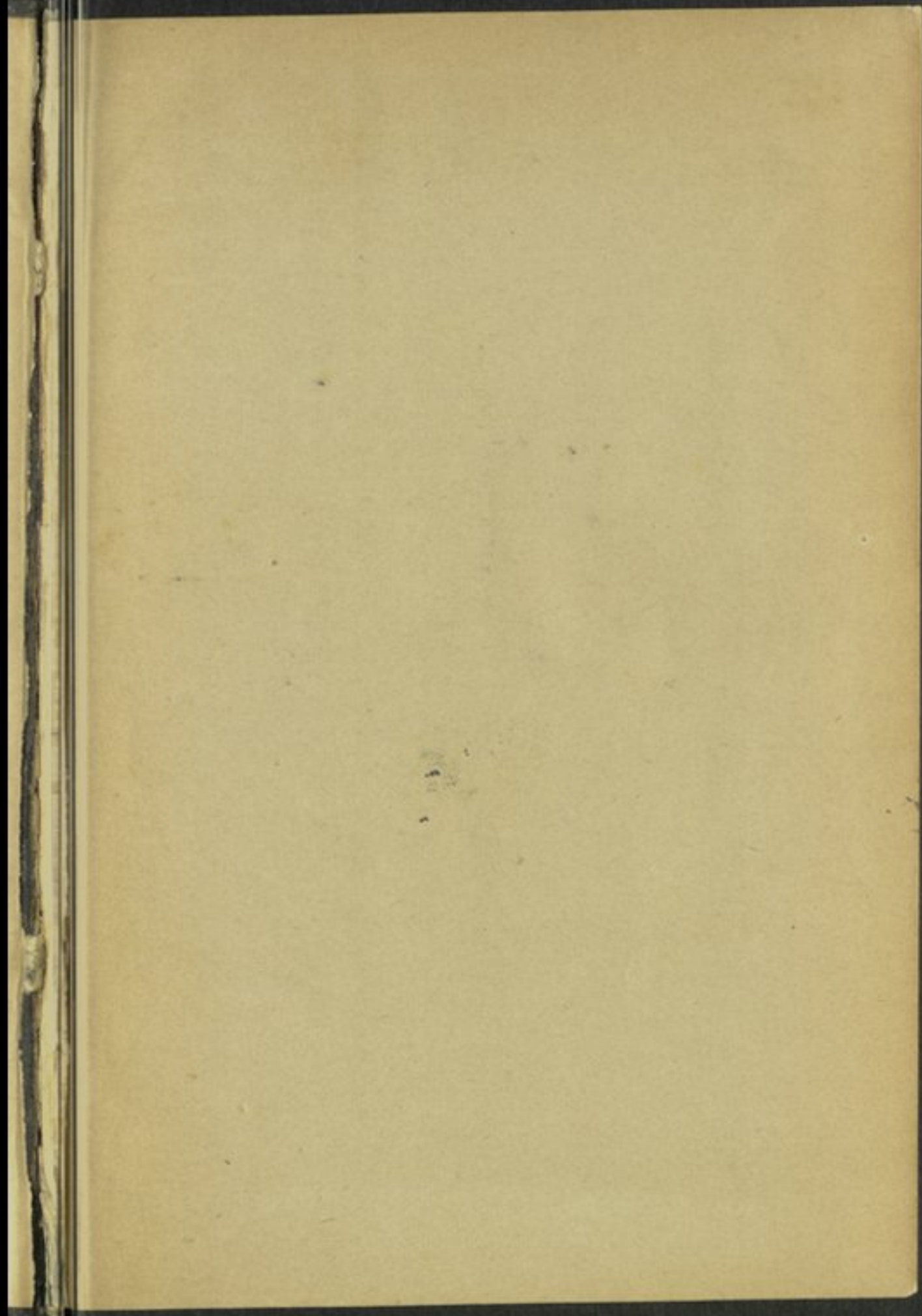
أما أنا فرجعت الى مقعدى أمام الموقد وماشعرت الا  
وقد قادنى فكري الى جمجمة رأيتها مرة فى احد الأديار  
وقيل لى حينئذ انها جمجمة قديس . ثم ما لبثت ان تذكرت  
مقاله صديقى الحكيم عن ادمغة الرجال العظام المحفوظة فى

الكحول نخامرني الشك ان تلك الجمجمة يستحيل أن تكون  
محتوية على القديس في داخلها ، فقد اخبرني المكلفون بالمحافظة  
عليها ان القديس مقيم في الفردوس . وسواء كان في الفردوس  
أم لا فانه لا بد ان يكون في مكان ما من الوجود . ولما كان  
كل جزء من الاجزاء التي تتركب منها جسده لا يزال في  
الوجود ولكن بشكل آخر وعنصر آخر لذلك لم يبق في  
قلبي أقل ريبية في أنه هو ذاته أيضاً لا يزال خالداً كما أن مادة  
جسده خالدة . فهو ذاته ولا شك كان أعظم جزء من كيانه  
المحدود ، واما الاجزاء الاخرى فلم تكن سوى مقتنيات  
خاصة به لوقت معين تخدم الجزء الاله الذي هو ذاته . وبعد  
ان فكرت برهة رجعت الى نفسي وقلت في سرى ، « ألا  
ان الاعتقاد بان المادة الحقيقية في الانسان الخادمة لذاته  
العظمى المتسلطة عليها ، هذه المادة الحقيقية تكون خالدة باقية  
والذات أو الروح أو النفس تكون معرضة للفناء هو أشبه  
بالاعتقاد بان رداء الانسان دون رجليه يحتوي على الحياة  
ويمشي من مكان الى مكان »

أجل ، إن هذا الرأي بعيد عن فكرتي ، إذ كيف يمكن  
أن يكون الرداء هو الذي يمشى دون الساقين — كلاً ولا  
استطيع ان أصدق أن القديس الذي رأيت حجمته هو الآن  
عصارة في الياف شجرة السرو النابتة على قبره . أما الذين  
يصدقون مثل هذه الغرائب فمثل هؤلاء أقول ، « لكم دينكم  
ولي دين ! » .









230:C89LA6:c.1

كراين، فرانك  
لماذا انا مسحي

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01000357



AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT  
LIBRARY

